مِن أنوار تجلّيات الملك الخلّاق

في تآليف سيدي محمد الحرّاق

المحتويات

١ - رسائله في التربية النبوية النورانية
٢ - ديوانه الذي به قصائده وتواشيحه ومقطعاته القدسية
٣ - حِكَمُهُ المنيرة للبصيرة الإنسانية
٤ - تفاسيره على آي قرآنية، وأحاديث نبوية، وكلام بعض الصوفية
٥ - شرحه للصلاة المشيشية، وللحزب الكبير للشاذلي ذي النفحة العالية، وللأبيات الثلاثة المبدوءة بـ: "توضأ بماء الغيب" الجنيدية، والموشحات المبدوءة بقوله: "ألف قبل لامين" الششترية

قدّمه وعرّف به تلميذه
سيدي محمد بن العربي الرباطي الدلائي

اعتنى به
الأستاذ عبد السلام العمراني الخالدي

قارنه على الأصول المخطوطة
الأستاذ رفيق الحداوي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

من أنوار تجلّيات الملك الخلّاق

في تآليف سيدي محمّد الحراق

المحتويات

١ - رسائله في التربية النبوية النورانية
٢ - ديوانه الذي به قصائده وتواشيحه ومقطعاته القدسيّة
٣ - حكمه المنيرة للبصيرة الإنسانيّة
٤ - تفاسيره على آي قرآنيّة، وأحاديث نبويّة، وكلام بعض الصوفيّة
٥ - شرحه للصلاة المشيشيّة، وللحزب الكبير للشاذلي ذي النفحة العالية، وللأبيات الثلاثة المبدوءة بـ: "توضأ بماء الغيب" الجنيديّة، والموشحات المبدوءة بقوله: "ألف قبل لامين" الششتريّة

قدّمه وعرّف به تلميذه

سيدي محمّد بن العربي الرباطي الدلائي

اعتنى به

الأستاذ عبد السّلام العمراني الخالدي

قارنه على الأصول المخطوطة

الأستاذ رفيق الحداوي

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: MIN ANWĀR TAJALLIYĀT AL-MALIK AL-ḤALLĀQ
FĪ TA'ĀLĪF SIDĪ MUḤAMMAD AL-ḤARRĀQ
(The works of
Sidi Muhammad al-Harraq)

Author: Sidi Muḥammad ben Muḥammad al-Ḥarrāq

Editor: 'Abdul-Salām al-'Imrāni al-Ḫālidi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 344

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: من أنوار تجليات الملك الخلاّق
في تآليف سيدي محمد الحرّاق

المؤلف: سيدي محمد بن محمد الحرّاق

المحقق: الأستاذ عبد السلام العمراني الخالدي

الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

عدد الصفحات: 344

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4483-9
9 782745 144836 90000

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وآله

تقديم وترجمة سيدي محمد الحراق
لسيدي محمد بن العربي الرباطي الدلائي

الحمد لله فاتح باب الأفهام، المتفضل بالتوفيق والإلهام، المرشد إلى أبواب معرفته بمحض الجود والكرم. فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بدر التمام؛ المبعوث لكمال شريعته للخاص والعام؛ الذي فتح به من أبواب معرفة الله ما أغلق على غيره، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار. الذين هم الخلفاء فيها من بعده، إذ أحرزوا الفضائل بإشراق سعده أنجم سمائه، وينابيع صفو مائه. صلاة وسلاما يكونان سببا لمراتب السعادة. ونناول بهما من فضل الله ورحمته الحسنى وزيادة. وبعد: فإن معرفة المشايخ أول واجب في طريقة القوم، وذكر شمائلهم والتنويه بشأنهم من علامة محبتهم أمر مقرر معلوم. فهذا تقييد شيء من بعض بعض ذلك في جانب شيخنا العلامة القدوة الفهامة، مصباح الظلام، وحجة الإسلام، شيخ الطريقة، ولسان الحقيقة، شريف النسبتين، ومفتي المذهبين الشريف الحسني القطب الرباني أبو عبد الله سيدي ومولاي محمد بن محمد الحراق ابن عبد الواحد ابن يحيى بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن موسى بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة ابن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر بن عبد الله

الكامل، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عن هذا النسب الشريف، وشفعه فينا بجاههم عند الله سبحانه وتعالى. كان هذا الشيخ رضي الله عنه إماما جليل القدر متضلعا في علم الظاهر. انتهت إليه فيه الرئاسة مشاركا في فنونه من تفسير وحديث وفقه، وفتوى ومعقول بجميع فنونه. وأما الأدب والشعر كاد أن ينفرد به في عصره قد شهد له بذلك كل من عاصره أو خالطه أو وقف على كلامه. وقد قال مولانا علي كرم الله وجهه: المرء مخبوء تحت لسانه تكلموا تعرفوا. وقال التاج ابن عطاء الله: كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز. ولما أخذ من علم الظاهر الحظ الأوفر، أكمل الله عليه نعمه بعلم الباطن ليكون رحمة في البلاد وقدوة للعباد. فكان رضي الله عنه سراجا وهاجا، وسحاب الرحمة بمياه العلوم ثجاجا. وقد قال سيدي يوسف الفاسي: إذا أراد الله أن ينفع عباده بأحد من خواص خلقه أغفله علم الباطن في ابتداء أمره حتى يتغلغل في علم الظاهر ثم يرده لعلم الباطن وطريقة القوم ولقد كان هذا الإمام رضي الله عنه أوحد أهل زمانه في علم الباطن أيضا وقد حرر طريقة القوم بين شريعة وحقيقة حتى سهلها للسالك؛ ونهجها في أوضح المسالك. وأتى فيها بالعجب العجاب من علم الإشارة، بألطف بيان وأوجز عبارة، وكشف غوامض من إشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم. وأسس طريقه على أربع قواعد: ذكر، ومذاكرة، وعلم، ومحبة، وكان يحض على كثرة الذكر غاية ويقول: ما رأيت أنفع لقلب المتوجه الصادق من ذكر الله. وكان رضي الله عنه يقول: إني ربحت مرّ باب الفضل فلا أدل إلا عليه. وما من شيخ إلا ولا يدل إلا على السبيل الذي مرّ عليه، ولا يوصل إلا للمقام الذي انتهى إليه؛ لأنهم رضي الله عنهم أهل حق وصدق، وما رأينا أجود منه بالعلوم والأحوال حتى أنه يغني من لقيه من حينه إن يسر الله عليه، وكان مؤهلا، وذلك لما أكرمه الله من كثرة العلم وسعة الصدر وحسن العبارة وشدة التحصيل مع ما توجه الله به من مكارم الأخلاق، وتواضع وتنزل مع عامة المسلمين حتى أن جليسه لا يمل مجلسه أبدا. ويود أن لو استغرق فيه يومه وليله. بل عمره كله لما يجد فيه من علوم وأذواق، وأحوال وأشواق، وحضور بين يدي الكريم الخلاق، ومع شدة

تواضعه وتنزله قد كساه الله من الحسن والإجلال، والمهابة والإقبال، ما لا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه. بل كان من أصحابه من لا يستطيع أن يرفع طرفه إليه. وقد قال الإمام ابن عطاء الله: إذا أراد الله أن يظهر أحدا من أوليائه كساه كسوتي الجلال والجمال للدفع والنفع أو كلاما هذا معناه. وكان رضي الله عنه إذا أخذ في المذاكرة يكسوه حال عظيم، ويعلوه بهاء جسيم. وتحمر عيناه ويقوى ضياؤهما حتى لا يستطيع أحد أن يطمح فيه النظر، وأخبرني بعض من حضر مجلسه وهو يدرس الحكم العطائية أنه في بعض الأيام تغشى وجهه نور حتى لم يميز ذلك الجالس بين لحيته وعينيه وشفتيه وأصحان وجهه وكأنما هو دارة قمر، وما سمعنا ألين ولا أعذب ولا ألطف من عبارته حين التقرير، وكانت همته رضي الله عنه في جميع الأمور عالية، وكان يقول: إن الهمة العالية هي التي لم ترض بدون الله إذ ليس وراء الله وراء. وكان رضي الله عنه متواضعا في لباسه يلبس جبة الصوف وحائك الصوف الخشين وياكل ما يتيسر من الطعام مع ما كان عليه من الكرم مواساتا وإعطاءا وإكراما حتى ان بعض ضعفاء الناس من ثغر تطوان وحاضرة فاس كادت ان تكون عائلته عليه. وكان يقول : الكلفة في الطريق هي عبادتها الكبرى ولا يزال العبد يتكلف حتى تسقط عنه الكلفة وتصير ألفة. كان رضي الله عنه يعطي عطاء الكرام، كاد أن لا يرد سائلا. وكان رضي الله عنه لين الجانب والعريكة يسيد الناس على عمومهم في ندائه وخطابه معهم حتى كان ينادي الأمة والوصيف بالسيادة ومع ذلك كان في الحق والصواب ذا عزم شديد.وحزم أكيد، لا يقبل رخصة من دون موجب شرعي، ويقول: اقتدوا بأهل الجد في جدهم، ولا تقتدوا بأهل الهزل في هزلهم ويحب أهل الجد والاجتهاد ويثني عليهم ويرغبهم في الازدياد ويجمع همة المريد على الله، وينهاه عن الحظوظ والالتفات لسواه، ويقول: القلب محجوب عن النظرة، ولو بالالتفات لأدنى من ذرة. وبالجملة ذكر فضائله وشمائله وأحواله تحتاج إلى أن تفرد بالتأليف وأن توضع في ديوان، ولسنا بصدد ذلك ولا من فرسان هذا الميدان. وإنما هي نقطة من بحر اقتبسناها تبركا ومقدمة لما أردناه من ذكر نسبتنا إليه ونسبته هو إلى مولانا العربي الدرقاوي وسندهما متصلا إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.ووضع رسائله

وحكمه وتقاييده على آي قرآنية، وأحاديث نبوية. وحل أقفال، وإزالة إشكال.في بعض إشارة الصوفية. وقصائده وشروحه. على بعض كلام الأئمة حسب ما وجدناه وتلقيناه منها أو اخذناه بعد استقصاء ذلك والبحث عنه في مظانه فأردنا جمعه وترتيبه ومناسبته وتبويبه ليسهل انتساخه وحفظه، وينتفع به من دخل في طريقته، أو كان معتنيا بالعلم الشريف من أهل محبته. والله المستعان. ومنه التوفيق وعليه التكلان فنقول هو شيخنا رضي الله عنه وأستاذنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا قد أكرمنا الله تعالى بملاقاته والأخذ عنه والإذن منه بمحض الفضل والكرم من غير معاناة ولا خدمة، ولا تعب ولا مشقة، ولكن كما قال هو رضي الله عنه:

فهي إن ترضى على حب لها
تاتيه رغما على أنف اللحي

وقال أيضا رضي الله عنه:

ثمن الوصول من الأحبة غالي
متعذر في سائر الأحوال
لو أنفق الإنسان فيه روحه
وجلائل الأموال والأعمال
ما نال منه بذاك أدنى ذرة
إلا بمحض الجود والإفضال

وكان سبب ملاقاتي معه رضي الله عنه أن بعض العلماء العاملين والصلحاء الواصلين كنت آوي إليه وكان يحبني ويدلني على الخير ويحضني فقال لي ذات يوم يا ولدي إني أريد أن أكرمك كرامة خاصة فقلت يا سيدي أكرمك الله بخير فدفع لي قصيدة الشيخ التائية التي أولها أتطلب ليلى وهي فيك تجلت. فكنت أطالعها وأذكرها أمامه، ويذاكرني ببعض معانيها. ويستعظمها الغاية. ويثني على قائلها فوق النهاية، فبقيت عندي أياما وأنا مولع بها، وقلبي منتشب بحب واضعها إلى أن قدر الله سبحانه وتعالى لقيه بحاضرة فاس وذلك في شهر الله ربيع النبوي سبع ومائتين وألف فاجتمعت معه يوما في مجلس عند

أحد العلماء بفاس من أصحابه فاخذ بمجامع قلبي فلم يسعني إلا أن حاولت ملاقته وتوسطت بواحد من أصحابه وأتيت إليه إلى داره رضي الله عنه فاستأذن عليه فأذن لنا فدخلنا فجلست بين يديه متأدبا خاضعا، ومحبا خاشعا. فواجهني رضي الله عنه ببشارة وإقبال، ومذاكرة وإزالة إشكال، وأطال المذاكرة معي نحو ثلاث ساعات، فكان من كرامته رضي الله عنه، أن وعيت كل ما ذاكرني به فتلقيت منه الإسم وأكرمني رضي الله عنه غاية الإكرام فكان من جملة إكرامه وإقباله أن قبلني بين عيني وقال لي بهّك الله بين خلقه وجعلك مفتي المذهبين ودعا لي بدعاء خير قد شاهدنا بركاته والحمد لله، وأرجو الله الزيادة من فضله. فخرجت من عنده فرحا مسرورا ذا حال منير، وطرف قرير. حتى أني أبهرت عقل من لقيني حين ذاكرته وذاكرني. وما هي من أول بركاتهم رضي الله عنهم. هم القوم لا يشقى جليسهم. وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله رجالا من نظروا إليه نظر عطف سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أو كما قال صلى الله عليه وسلم. فلما رجعت إلى بلدي حببت إلي الخلوة فتخليت عن الأشغال ولازمت بيتي فلما كان بعد ذلك بسنة وأربعة أشهر ذهبنا إلى زيارته رضي الله عنه بتطوان ومعي أربعة من إخواننا برباط الفتح فلما وصلنا إليه جددنا معه العهود، وذاكرنا في الشادة والفادة، وحرر لنا المقصود، فلما عزمنا على السفر قال لي رضي الله عنه إني أبرمت البارحة أمرا ولعله بإذن من الله ورسوله وهو أني جعلتك رئيس تلك البلدة وأذن لي في إعطاء الأوراد العامة والخاصة والأسماء ونشر كلامه وقصائده ودرس ذلك وإعطائه لمن يستحقه ومريده فكانت منحة إلٰهية. وموهبة رحمانية فأنشد لسان حالي يقول:

مـــا كــنــت أهـــلا فـــهـــم رأونـــي

لـــذاك أهـــلا فـــصـــرت أهـــلا

وكان من جملة ما قال لي: اثبت والله لئن ثبت ليكونن لك شأن عظيم، فلما رجعنا من عنده واشتغلنا بذكر الله ظهر سر الإذن والحمد لله ثم أتيته في زيارة أخرى فقال لي تالله لقد ذكرت الله بصدق ثم مدحته بأبيات فقال أيدك الله بروح القدس ثم بقصيدة أخرى فقال والله ليضيأنّ الله بك ذلك الأفق

ودعاؤه لنا وعطفته علينا لا نستطيع حصره ولا لفه ولا نشره، وإنما ذكرنا هذه الكلمات تحدثا بنعمة الله. وبيانا لهذا الشأن إنما ينال بفضل الله ولئن كان الإكسير له الخاصية في قلب الأعيان فنظرة العارفين إكسير القلوب، تؤهلها لحضرة علام الغيوب، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء. وجعلنا على عهده وآثاره وحسنة من حسناته، ثم هو رضي الله عنه أخذ الطريقة عن شيخ المشايخ القطب الكبير العارف بالله تعالى ذي الأحوال السانية والأخلاق المرضية، الولي الشهير الشريف الغطريف المستغني بشمائله عن التعريف سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركته آمين وكان سبب أخذه عنه رضي الله تعالى عنه أنه لما تغلغل في علم الظاهر والفتوى وكانت له في ذلك الصولة الكبرى، والرتبة القصوى. فبينما هو في غاية ذلك إذ حصل له مرض كبير بسبب ما أصابه أو سمعه ممن كان يحسده من معاصريه وكانت نفسه عالية، وهمته سانية. فمرض مرضا أشرف فيه على الموت فلما اشتد به مرضه قال سبحان الله فما فائدة هذا العلم والجاه الذي لا يوصل صاحبه إلى الله، ولا يعرفه بمولاه، والله لئن عافاني الله لأدخلن في طريقة القوم، ولألجأن إلى باب الكريم آناء الليل وأطراف النهار، عسى الله أن يمنحني بالعلم النافع والفتح الواسع، فلما عافاه الله سبحانه وتعالى أتى إليه طلبة العلم بتطوان على عادتهم لأن يقرأ معهم علم الظاهر فقال لا إلا أن نقدم شيئا من علم القوم فطلبوا منه الحكم العطائية فقال نعما هيه، فشرع في تدريسها بالزاوية الدرقاوية فكان يحضر مجلسه العلماء وأعيان الفقراء، فاتفق في تلك الأيام أن ورد الشيخ مولانا العربي لزيارة تلميذه الولي الفرد سيدي محمد البوزيدي بقبيلة غمارة، فلما كان بها أرسل بعض الفقراء إلى تطوان وأرسل معهم بغلته مسرجة ولم يكلمهم في شأنها، فلما وصلوا إلى تطوان بقي الفقراء كلهم متحيرين في أمرها فقال لهم الشيخ سيدي محمد الحراق: إنما أرسل الشيخ مولاي العربي هذه البغلة إشارة إلى أن نتوجه لزيارته وملاقته، وها أنا ذا متوجه إليه بحول الله وقوته. فقال له بعضهم الله الله يا سيدي انتهز الفرصة واغتنم هذه الكرامة، فخرج إلى القبيلة المذكورة، فلما وصل إلى عين ماء بقرب الشيخ توضأ وضوء أبي الحسن الشاذلي حين ملاقته مع أستاذه مولانا عبد السلام بن مشيش متبرِّئاً

من علمه وعمله إلا ما ياتيه على يد الشيخ، وأخبرني هو رضي الله عنه أنه لم يكن له علم بقضية الشاذلي وإنما هو محض إلهام من الله سبحانه وتعالى، وبعد ذلك وقف على أن هذا الوضوء شرط في الطريقة الشاذلية، فلما التقى مع الشيخ مولاي العربي قال له اذكر الله وذكر في الله، وأخبرني صهره وكان معه أنه لما جلس بين يدي مولاي العربي أتته امرأة بآنية من الصامت الحلو الخاثر.ودفعتها إلى مولاي العربي فشرب وأعطاه فضلته فشربها الشيخ سيدي محمد الحراق رضي الله تعالى عنه فكان كما قال في تائيته:

شربت صفاء في صفاء فمن يرد
من القوم شربا لم يجد غير فضلتي
تقدم لي عند المهيمن سابق
من الفضل واستدعاه حكم المشيئة

وأخبرني بعض خواص مولاي العربي وكان معهما حين اللقاء أن أول مذاكرة كانت بينهما أن قال له مولاي العربي: إن الشيخ الكامل هو الذي يكون في غاية السكر وفي غاية الصحو وفي غاية الجذب وفي غاية السلوك وفي غاية الفناء وفي غاية البقاء فقال له سيدي محمد الحراق: يا سيدي ظهر لي حسب عقلي الفاتر، وفهمي القاصر، أن هذا جمع بين متناقضين وهو محال، فقال له مولاي العربي: ورد في الحديث أن لله ملكا نصفه ثلج ونصفه نار فلا النار يذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار، والملك ينادي على لسان الاقتدار: اللهم كما الفت بين النار والثلج ألف بين قلوب عبادك المؤمنين. فشرح الله صدره للفهم ثم قال له الآن ظهر لي أن السكر يكون باطنا والصحو ظاهرا والجذب والسلوك كذلك كما يقال في الإيمان والإسلام، فسر مولاي العربي بذلك وقال له والله يا سيدي إلا كذلك وصار يكررها فانظر رحمك الله إلى عطفة المشايخ ونظرتهم بعين القبول كيف تحل الأقفال وتزيل الإشكال، وما هي بأول بركاتهم رضي الله عنهم فلقنه الأوراد، وبين له المراد، ولم يأمره بخرق العادة ولا كشف رأس ولا سؤال ولا لبس مرقعة ولا ذكر في الأسواق، وإنما حضّه على كثرة ذكر الله وجمع القلب على الله، وإخلاص العبودية إلى الله، وأذن له في

إعطاء الأوراد والتربية، فكانت مهيأة تنتظره فاغتنمها ورجع بسلام.

وإذا سخر الإلاه أناسا

لسعيد فإنهم سعداء

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ﴾ [فاطر: 2]، ولقد واجهته العناية بالسعادة فنالها، وخاطبته المراتب العالية فحلّها، وألزمه الله كلمة التقوى وكان أحق بها وأهلها، وما أحسن الأشياء تحل محلها. فلما رجع إلى منزله دخل بيته، واعتكف على ذكر الله معرضا عن ما سواه، إلى أن فتح عليه رضي الله عنه بالكشف الرباني والشهود العرفاني، والعلم اللدني القرآني، فاشتغل رضي الله عنه بتقييد الواردات، مواجها بخلع نقاب المخدرات، فظهر سر الإذن عن قريب، وعومل بالمواهب من حضرة الحبيب، فكان رضي الله عنه لا يذكر مولاي العربي إلا بالتعظيم الكبير، والثناء الكثير، ويقول مولاي العربي هو العارف بالله، العالم بالله، ويشهد له بالمشيخة العظمى والحال الأسمى، ويقول هو أستاذنا وسندنا ووسيلتنا إلى الله سبحانه. وإذا ذهب لزيارته يقول لأصحابه إنما أنا واحد منكم فلا تفعلوا معي أدبا بحضرة الشيخ أبدا، ويجلس بين يديه متأدبا خاضعا منصتا خاشعا مستفيدا ما يسمع منه أو يرد عليه من قبله كعادة أهل الصدق مع مشايخهم. وقال له يوما والله لو كان الإمام مالك موجودا و أمرني بشيء وأمرتني أنت بشيء لاتبعتك وتركته اكتفاء بكم. وقال له مولاي العربي مرة: إذا رجعت إلى تطوان فمر على مولانا عبد السلام فزره فقال نعم نفعل ذلك امتثالا لأمرك، وإلا فوالله لو كان حيا ما زدتُه على سنة السلام. لأننا قوم أغنانا الله بكم. وهذا حال أهل الصدق مع مشايخهم لأن الاكتفاء شرط في الطريقة. وأحواله رضي الله عنه مع شيخه وآدابه ومودته له لا نستطيع حصرها، وإنما ذكرنا هذه النبذة تبركا وتنبيها وثناء عليهما وتنويها. وأخبرني هو رضي الله عنه أنه قرب وفاة الشيخ مولاي العربي رأى في عالم النوم خلقا من الناس كثيرا ومعهم الشيخ مولانا العربي وعلى رأسه شاشية جديدة والناس كلهم كشف الرءوس، فأتي إليه مولاي العربي وأخذ الشاشية الجديدة التي كانت على رأسه وجعلها على رأس الشيخ سيدي محمد الحراق،

فلما استيقظ أولها بالخلافة من بعده، فلما مرت ثلاثة أيام جاء خبر وفاة الشيخ مولاي العربي، فكان الخليفة من بعده رضي الله عنه من غير شك ولا إشكال والحال يشهد والرجال تعرف بالحق لا الحق يعرف بالرجال. وقد أخذ عنه رضي الله عنه خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس. وأهل الاعتناء بدينهم بحاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل، وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواح تطوان وجم غفير من أهل تطوان وأهل شفشاون كاد أهلها كلهم أن يدخلوا في طريقته وانتشر مدده إلى أن بلغ إلى الرباط مع أنه لم يصل إليها بنفسه وكان مهتما بالوصول إليها غاية الاهتمام، لأن اهتمامه كان في الدلالة على الله، وكان رضي الله عنه يقول: لو كنت أعلم أن أحدا بقنة جبل يريد الوصول إلى الله لأتيت إليه وأخذت بيده ابتغاء مرضاة الله، وترغيبا في الإقبال على الله، واشتاق إلى ملاقته خلق كثير من أهل مراكش ونواحيها وغيرهم ممن لم يصل إليهم لما بلغهم عنه من حسن سياسته وسعة علمه. كان رضي الله عنه عطائي الطريق، فارضي العشق والتحقيق، فجزاه الله عن المسلمين خيرا، وأبقى مدده في خلقه منتشرا، وجعل لنا من خلفائه سراجا منيرا، وما ذلك على الله بعزيز، لأن المدد المحمدي لا ينقطع إلى يوم القيامة. وقد أذن رضي الله عنه لأقوام وأوصى بهم وقال: من ظهر خيره فليتبع، فهي إشارة إلى الخلافة من بعده والله أعلم حيث يجعل رسالاته ويكرم من يشاء بولايته وخلافته، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ثم الشيخ مولاي العربي رضي الله عنه أخذ هذا الشان عن الشيخ الكبير سيدي علي الجمل، عن العارف بالله سيدي العربي بن عبد الله، عن أبيه العارف بالله سيدي احمد بن عبد الله عن العارف سيدي قاسم الخصاصي، عن العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله، عن العارف بالله سيدي عبد الرحمان الفاسي، عن الولي الشهير سيدي يوسف الفاسي، عن العارف الكبير سيدي عبد الرحمان المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار، عن سيدي إبراهيم أفحام عن الولي الكبير سيدي احمد زروق، عن الولي الشهير سيدي احمد بن عقبة، عن الولي الشهير سيدي محمد القادري، عن العارف سيدي علي بن وفا، عن أبيه العارف سيدي محمد بحر

الصفا، عن الولي الشهير سيدي داود الباخلي، عن العارف الكبير سيدي احمد بن عطاء الله، عن الخليفة الأكبر أبي العباس المرسي، عن القطب الشهير أبي الحسن الشاذلي، عن الإمام الكبير مولانا عبد السلام بن مشيش، عن القطب سيدي عبد الرحمان المدني، عن القطب تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما، عن القطب فخر الدين، عن القطب نور الدين أبي الحسن، عن القطب تاج الدين، عن القطب شمس الدين، عن القطب زين الدين القزويني، عن إبراهيم البصري، عن القطب سيدي أحمد المرواني، عن القطب سعيد، عن القطب سعد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن أبي محمد جابر، عن أول الأقطاب سيدنا الحسن بن علي، عن أبيه خليفة مولانا رسول الله الإمام مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو أول من ظهر بهذا الشان وأظهره وتكلم في علمه وشهره عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المتقين. وسيد المرسلين. والواسطة العظمى إلى رب العالمين. فالكل نقطة من بحره، وحسنة من حسناته، والفرع لا يخرج عن اصله وقد قال الإمام البصيري:

والمرء في ميراثه اتباعه

فاقدر إذاً فضل النبي محمد

جازاه الله خير ما جازا نبيا عن أمته، وشفعه فينا ورزقنا اتباع سنته، وأكرمنا بمحبته، ونظمنا في سلك ملته، بجاهه عند المولى الكريم، الرحمان الرحيم، فتحرر بحمد الله من هذا إن وردنا مأخوذ من ثقة عن ثقة، ومن حجة عن حجة، بسند متصل إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شك ولا ريب، فله الحمد على ما أولى من نسبته، والتطفل على أبواب هدايته، فنطلب منه سبحانه وتعالى كما أكرمنا بذكره ونسبته، أن يتفضل علينا بمحبته ومعرفته، وإخلاص العبودية لوجهه الكريم، والقيام بحق ربوبيته، بفضله ومنه وتوفيقه وتأييده ومعونته انه جواد كريم والكريم لا تتخطه الآمال، ولا يخيب عنه السؤال، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكانت ملاقاة هذا الشيخ رضي الله عنه مع أستاذه مولاي العربي حسب ما

رويناه عن معاصره سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف وعمره إذ ذاك نحو الأربعين سنة فمكث في طريقة القوم شيخا مربيا إلى أن توفي رضي الله عنه يوم واحد وعشرين من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين والف فتحصل أن مدة عمره ثلاثة وسبعون سنة واخبرني بعض أصحابه أنه رضي الله عنه رأى رؤيا وهو مريض في بعض الأيام ورأى فيها إشارة فأولها على أنه يموت على رأس الثلاث والسبعين سنة وفي رواية عن بعض ملازمه أن عمره خمس وسبعون سنة والله تعالى أعلم. وقد آن أوان ما أردناه من وضع رسائله وحكمه وتقاييده وقصائده وشروحه لبعض كلام العارفين، وجعلنا ذلك في خمسة أبواب؛ الباب الأول في الرسائل. الباب الثاني في الحكم. الباب الثالث في التقاييد على آي قرآنية وأحاديث نبوية وكلام بعض أئمة الصوفية بألطف عبارة، وأبين إشارة. الباب الرابع في قصائده وتواشحه وأبياته ومقطعاته مرتبا ذلك بحرا بحرا. الباب الخامس في شروحه على بعض كلام العارفين وذلك الصلاة المشيشية والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وبعض كلام الششتري ونبذة من شرح الحكم العطائية وبالله استعين.

وهو نعم الناصر والمعين طالبا منه سبحانه وتعالى أن يكمل مرادنا وان يحرر قصدنا انه كريم وهاب وإليه المرجع والمآب، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة الصفحة الأولى من مخطوط الحاج محمد بن العربي الدلائي الرباطي

صورة الصفحة الخامسة من المخطوط وفيها ذكر أبواب الكتاب

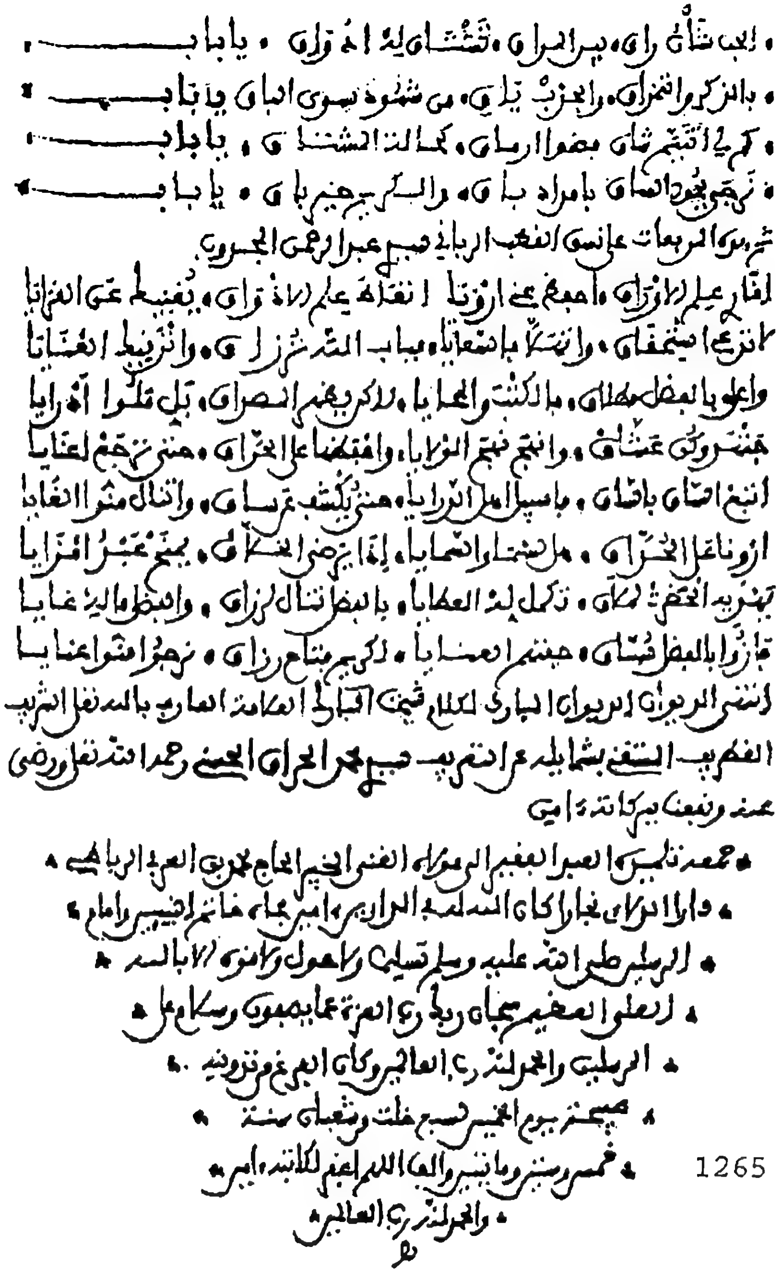

صورة الصفحة الأخيرة للمخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

هذه مجموعة رسائل الشيخ العارف بالله سيدي محمد الحراق الحسني رضي الله عنه

الرسالة الأولى

(١)

نحمدك اللهم على أن شرحت بأنوار معرفتك الصدور وصدورا وسرحت عيون العيون من خلقك البيضاء بحكمك السابقة فلم تجعل لهم عن وروده مائها صدورا ونشهد أن من لاح له نجمة القرب حتى هنؤ بالحوت من صادم بحضرة القرب هزا وقلت للإيمان عن حضرتك الشريفة أنه غريب أو يستحيل إذ لا آن نصيب لك في مؤخر العز إن كل ذو منصب عظيم إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا فمعرفته الآن أثبتت كلها بوصف العبودية وهي مقارنة آثار النفوس فلا كسبة بمطالبة الربوبية حيث أن تحملها مقامها لا يقوم أحد بحقوقه فصلوا بأن تنشئ من جنابك التي ميع كل داء ونعلل وسمت الجميع بسمة الفقر إليك ونتمتع من فضلك بوصف بلا حماية على التعويل عليك فتعلق الشهداء منهم بأذيال فضلك وتبرؤوا من سواه وإن أركبهم ذلك تعلقوا وكنوا وجعلوا حضرتك معتكف أسرارهم وذكرك محل علانيتهم وأسرارهم وشدوا بصدور العزائم رحال الهجرة إلى حضرة الكون عن آثارها ونصلي ونسلم على من جعلته في العلو أول المظاهر الكونية وعند البعث أول المظاهر الشخصية تنبيها على أنه باب المعرفة بك في الدارين عكس ذلك وكان مما به عليه السلام أول المشارق من نور القدم ولذلك كان لا إله إلا الله محمد رسول الله أول ما كتب القلم وعلى آله وأصحابه الذين أشرقت نجوم شموسهم في بروج الحروب ملوكا وأسرا وبعد فاعلموا أعلمكم الله خيرا ووفقكم شرا أن الله تعالى إذا نظر نظر الرحمة إلى ألفة قلب أو أكثر وجرت تلك القلوب تألفنا جميعا على ما يؤديها إلى رحمة الله تعالى وإن كان بعضها بالمشرق وبعضها بالمغرب حتى ترى الإنسان وهو بالمشرق يحب الرجل وهو بالمغرب [illegible] تعارف القلوب من حيث إن الله تعالى

نظر

(في الهامش: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله الآية)

(في الهامش: يشير إلى حديث أول ما خلق الله نور نبيك)

(في الهامش: يشير إلى حديث الشفاعة)

صورة الصفحة الأولى لمخطوط الرسائل

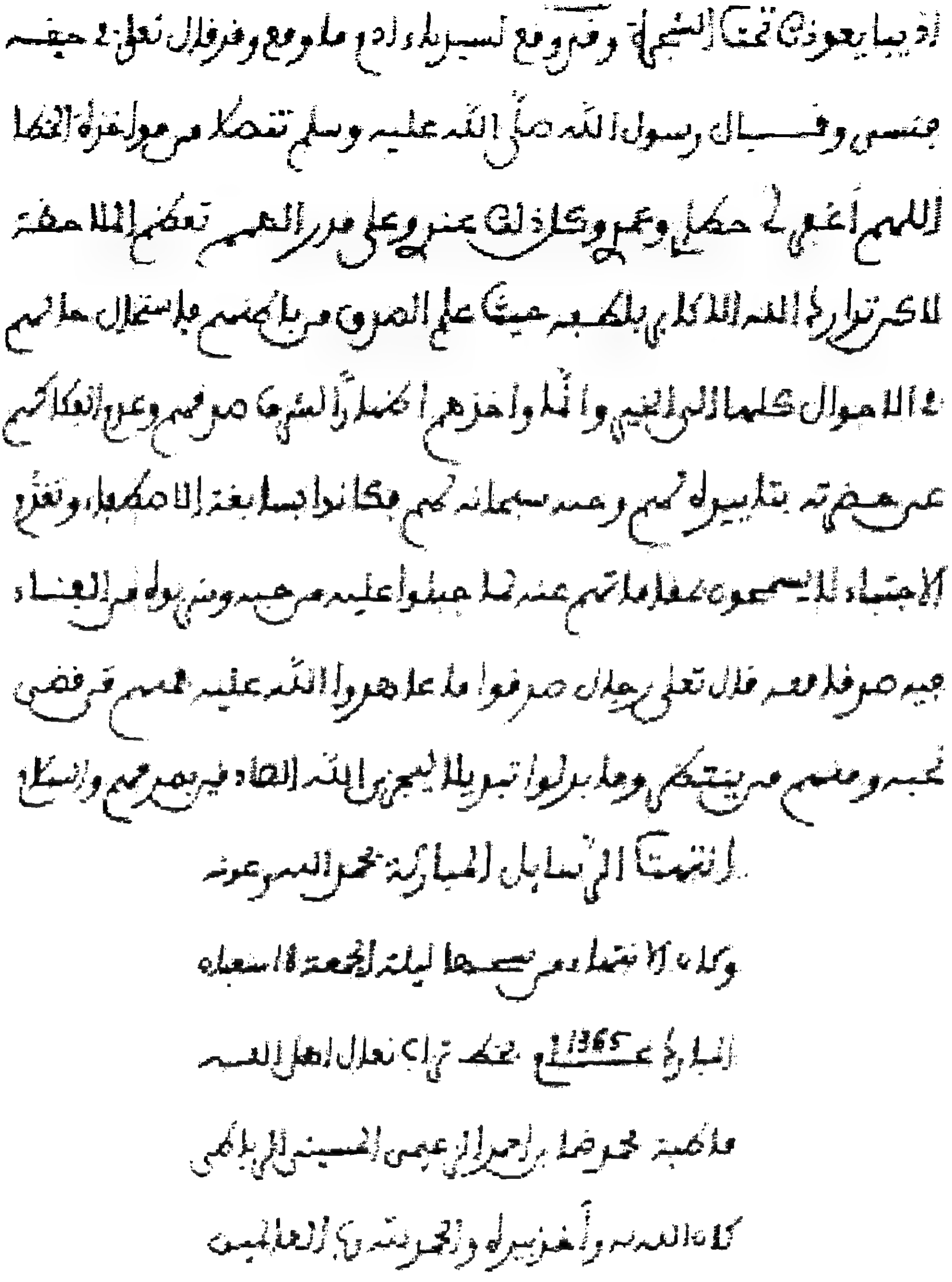
إذ يبايعونك تحت الشجرة وقد وقع لسيدنا داود ما وقع وقد قال تعالى في حقه
جنتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحصنوا من مواقعة الخطا
اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وكل ذلك عندي وعلى من ذكر العلم تعظيم العلماء
لا كثير ترك الذكر اللائق بالحضرة حيث على الصدق من أعمالهم واستقبال حالهم
في الأحوال كلها التي لخير وأنما والخير هم أكملوا الشرع من فهم وعن انفكاكهم
عن حضرته بتأييده لهم وعصمته لهم فكانوا أسباب غير الأصفياء وتقوى
الاجتباء بالاصطفاء ما هم عند ما صبروا عليه من جهود من العناء
فيه صدقوا قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم والسلام
انتهت الرسائل المباركة بحمد الله وعونه
وكان الانتهاء من نسخها ليلة الجمعة 13 شعبان
المبارك عام 1365 بخط تراب نعال أهل العلم
على يد محمد رضا بن أحمد الزعيمي الحسيني الرباطي
كان الله له وأحسن إليه والحمد لله رب العالمين

صورة آخر صفحة لمخطوط الرسائل

الباب الأول

رسائل العارف بالله
سيدي محمد الحراق
ـ رضي الله عنه ـ

الباب الأول

رَسائِل سيّدي محمَّد الحَراق رضي الله عنه

الرِّسالة الأولى

نحمدك اللهمَّ على أن شرحت بأنوار معرفتك أفئدة وصدوراً.

وسرحت عيون العيون من خلقك إليها بحكم السابقة فلم تجعل لهم عن ورود مائها صدوراً.

ونشرت أوصالهم بنفحَة القدم حتى هدّ ما طوت من وصالهم نفحة العدم هدّاً، وقلت: لئلا يأنف عن خدمتك الشريفة أنْف خديم أو يستنكف إذلال نفسه لك في مواطن إعزازه ذو منصب عظيم ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريَم: الآية 93].

فهدمت المراتب كلها بوصف العبودية وهزمت غرَّة النفوس قاطبة بمهابة الربوبية حيث ألزمتها مقاماً لا يقوم أحد بحقوقه فهي أبداً تخشى من جنابك الرفيع طرداً وبُعداً.

ووسمت الجميع بوسمة الفقر إليك ونبهتهم من فضلك بوصفك بالرحمانية على التعويل عليك.

فتعلق النبهاء منهم بأذيال فضلك وتبرؤوا من سواك وإن أركبهم ذلك تعباً وكدّاً وجعلوا حضرتك معتكف أسرارهم. وذِكْركَ مَحَلَّ إعلانهم وإسرارهم وشدوا بصدق العزائم رحال الهجرة إلى حصن الكون عندك شدّاً.

ونصلّي ونسلم على من جعلته في الخلق أول المظاهر الكونية، وعند البعث أول المظاهر الشخصية، تنبيهاً على أنه باب المعرفة بك في الدارين عكساً وطرداً، فكان مشربه عليه السلام أول المشارب من نور القدم، ولذلك كان: لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله.

أول ما كتب القلم، وعلى آله وأصحابه الذين أسكرتهم بخمر شهودك فبرزوا في الحروب ملوكاً وأسداً.

وبعد، سلامنا على السادات الفضلاء الأجلاء الأكرمين المعظمين النبلاء إخواننا في الله وأحبائنا من أجله من أهل فاس الإدريسية، دفع الله عنّا وعنها كُلَّ محنةٍ وبليةٍ، فأعلمكم أعلمكم الله خيراً، ووقاكم شراً، أن الله تعالى إذا نظر نظر الرحمة إلى ألف قلب أو أكثر، وجدتم تلك القلوب تألفت جميعاً على ما يؤديها إلى رحمة الله تعالى وإن كان بعضها بالمشرق وبعضها بالمغرب، حتى تروا الإنسان وهو بالمشرق يحب الرجل وهو بالمغرب، بمجرد تعارف القلوب من حيث أنَّ الله تعالى نظر إليها نظرة متَّحِدة. ولكن يا إخواننا وأحباءنا كما تعلمون، رحمة الله تعالى واسعة جداً فهي أنواع متفاوتة بعضها أرفع من بعض وأنتم إذا تأملتم بالقوة الناطقة والفكرة الصادقة أنواع الرحمة التي رحم الله بها عباده لم تجدوا فيها أفضل من الاشتغال بالله والإقبال عليه، والإدبار عن كل ما سواه، والعكوف على ذكره في جميع الأوقات، وإن كان ذلك يؤدي إلى تعطيل بعض رسوم النفوس وتفويت بعض حظوظها، ولكن إذا ذاق الإنسان حلاوة الإيمان، وكوشف ببهاء نور الحقيقة، هان عليه ما فاته من حظوظ نفسه قطعاً، وزهد بحكم القهر في جميع الحظوظ فضلاً عن بعضها لتمتعه بالنظر في عالم القِدم وغيبته عن عالم الهم والغم والحزن والكدر والعدم وأنواع الفرق كلها. واحُضّكُمْ ولا بد ولا بد على الاجتماع بالزاوية يوم الجمعة وبغيره من الأيام إن أمكن ولو في غير الزاوية عند بعض الإخوان، لأن جدار العبودية لا يقوم إلاَّ بأحجار الإخوان غالباً؛ ولذلك سنّت الشريعة الاجتماع في الصلوات الخمس والجمعة والأعياد ومواسم الحج.

ولا بد لتلك الأحجار من طين يضم بعضها إلى بعض، وذلك تراحم الإسلام والإيمان ويشتد التراحم بالاجتماع على شيخ واحد. ولا بد من معلِّم يناسب تلك الأحجار بعضها مع بعض حتى يتماسك الجدار ويستقيم، وهو الشيخ أو نائبه، ولذلك جعل الشارع لكل جمع في الصلوات الخمس والجمعة والأعياد وموسم الحج إماماً يُقتدى به وقال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به».

ولا بد أن يكون ذلك المعلم عليماً بدسائس عيوب البناء لئلا يكون بناؤه مختلاً وبكيفية وضع الأحجار في محلها، وكيفية نجرها وتهذيبها إن احتاجت إليه.

لأن كل مولود يولد على فطرة الإسلام حتى يلتصق به الحس وهواجس النفوس، وأول ما ينال ذلك من عشيره الأول، وهو والده، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». وبمخالطة أهل الحس يلتصق الحس أو يزيد إن كان في الإنسان، ومخالطة الإخوان قطعاً تفيد الإنسان خيراً، واقتدوا بأهل الجد في جدهم ولا تقتدوا بأهل الهزل في هزلهم، وتهلوا في التراحم فيما بينكم حتى تكونوا كالجسم الواحد إذا اشتكى بعضه تألم جميعه كما قال رسول الله ﷺ في المؤمنين.

وأطرحوا من عقولكم الخواطر كلها ليحصل الصفاء المؤدي إلى مكاشفة الأنوار وظهور المعارف والأسرار، وذلك يتأتى بملاحظة الانقطاع إلى الله سبحانه بترك التفكر فيما سواه وذلك لأن الناس غالباً يفتنهم عن الله ملاحظة الثواب وأنتم لا تعتمدوا شيئاً من ذلك لأن أكثر الناس طلباً للثواب أشدهم زهداً في الله، إذ لو كان يحبه سبحانه ما طلب سواه ولمْ يطلب إلاّ هو ولم يقنع منه إلاّ به ولا أقبل إلاّ عليه ولا لهج إلاّ بذكره، ولذلك قال عليه السلام في الحديث القدسي: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، وذلك المعطى فيما نفهم والله أعلم الذي هو «أفضل ما يعطي» هو مكاشفة أنوار ذاته لأن المريد في ابتداء سيره يكون قوله: لا إلٰه إلا الله نفياً للألوهية عن كل ما سوى الله تعالى. وفي وسط سيره يكون قوله: لا إلٰه إلاّ الله استعظاماً لله لما يشاهده من أوائل أنوار نور عظمته سبحانه، وذلك عندما تلوح عليه أشعة طلوع الحقيقة لكونه حينئذ مستشرفاً عليها منحرفاً عن مادات قبلتها ببقاء شهود شيء من خيال ذاته، فإذا طهّره الله من هذه البقية وتناهى إلى مستوى التفريد وجاء الحق وزهق الباطل صار يقول: لا إلٰه إلاّ الله إعلاماً بما يشاهد من انفراد الحق سبحانه بالوجود وبياناً للواقع في نفس الأمر، فلم يكن عنده نفي ولا إثبات لعدم وجود ما ينفي. والذي يقوله حينئذ من لا إلٰه إلاّ الله

يكون تقريراً وإيضاحاً لمعنى الانفراد لا غير على نمط قول الله سبحانه ذلك في الأزل، وفيما لا يزال إذ كلامه سبحانه منزّه عن السكوت.

فالعارفون يقولون كلمة التوحيد على نمط توحيد الله تعالى لنفسه بنفسه في الأزل وفيما لا يزال، والملائكة فيما يظهر كذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 18] جعلنا الله وإياكم ممن أكرمه الله سبحانه بذلك بجاه مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام. والسلام معاد عليكم من محبكم ومجلكم محمد بن محمد الحسني العلمي كان الله له.

وفي 13 من رجب الفرد الحرام عام ستة وأربعين ومائتين وألف.

الرِّسالة الثَّانية

نحمدك اللهمَّ بأبلغ ما تحمد به على وصفك الجميل ونشكرك بأقوى ما تشكر به على فضلك الجزيل، ونشهد أنك الله الذي لم تزل تخرق العوائد وتبسط للكافة موائد الفوائد، فيتناول كل واحد من الخلق بقدر ما تبلغه مقدوراته، ويبتلع عقله من ذلك على حسب ما تسعه غَلْصَمَتُهُ. وأبديت في ذلك من الصنع الباهر والعجب الظاهر ما تكل دون إدراكه الأفكار، وتغيب عن حضور حقيقته الآراء والأنظار، لأنك تبرز الطعام الواحد مختلف المذاق، وتظهر الحقيقة المتحدة محفوفة بدواعي الاختلاف فيها وعدم الاتفاق. حتى جعل الإنسان في نفسه يختلف في مصادر حسّه.

فمن قائل وقوفاً مع الظاهر أنه يخلق الأفعال، ومن قائل وقوفاً مع الباطن إنَّه مجبور ليس له إدبار ولا إقبال، ومن هارب من هذه الأخطار، يقول: إنه مجبور في قالب الاختيار كل ذلك مع الحجب بالوجود الموهوم والغيبة عن العدم الملازم للحادث إذ لو كان موجوداً حقيقة لقام بنفسه كما هو في الموجود الحقيقي معلوم. ولما أضمرت ما أبديت وطلسمت ما أخفيت. قلت في طائفة خذلها عدلك، وشرذمة وفقها فضلك، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: الآيتان 118 ـ 119] كل ذلك إشهار للتحقيق، وإظهار لمزية ذكرك الداعي لإتلاف الخواطر في خاطر واحد، وهو الإيمان بك عياناً وحصول التصديق.

ونصلّي ونسلّم على من جعلت شريعته أوسط الشرائع، وطريقته أقرب الطرق للوصول إليك بشاهد الذوق من غير مخالف ولا منازع، إذ خلاف الجاحد وفاق، والقول بدون حجة باطل بالإطلاق، وعلى آله أنهار مائه الجاري، وأصحابه نجوم الهداية للسائر الساري، وبعد سلام أرقّ من نسيم الأسحار وأضوأ مِن هياكِل الشموس والأقمار، ورحمة من الله وبركاته ينفح طيب بركتهما من جميع الجهات على إخوتنا في الله وأحبائنا من أجْلهِ السادات الفُضلاء، الذاكرين الأبرار، أولياء الله تعالى، القاطنين بفاس الإدريسية، دفع الله عنّي وعنها كُلَّ محنةٍ وبليةٍ، فأنهي لكريم عقلكم المنير، إذ كلكم والحمد لله من ذوي التقديم والتصدير، فلا يخفى عنكم قول رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه» وإن ذلك عند أهل الظاهر معناه: أن ينظر في أحوال أخيه، وعند أهل الباطن معناه والله أعلم: أن المؤمن تنطبع في باطنه أحوال أخيه في الله وصورته وعوالمه كلها حتى كأنه وإن غاب عنه بمنزلة الحاضر معه من شدة اتصال أرواحهما في عالم الغيب الذي ليس فيه حجاب الكثائف وذلك الاتصال ناشىء عن كون الله نظر إليهما نظرة متحدة أفضت إلى ائتلافهما. وقد أشار لهذا المعنى رسول الله ﷺ بقوله لأصحابه: «والله لا يغيب عني سجودكم ولا ركوعكم ولا خشوعكم» أو كما قال عليه السلام.

وأنتم يا إخواننا وأحباءنا وإن غبتم عنا فلا والله ما غبنا عنكم، وإنَّا لنرى والحمد لله أشخاصكم وصوركم في قلوبنا حتى أنه ربما كشف عنها في بعض الأحوال للعيان ونفرح بما نعلمه من اجتهادكم وقوتكم في الله والعكوف على ذكره، والاجتماع على ذلك، فنحبكم، أحبكم الله أن تتراصوا في الذكر.

ومعنى التراص فيه، أن تكونوا فيه بقلب واحد ولسان واحد، وأن تبدؤوا الذكر بترتيلٍ ولا تسرعوا فيه حتى يرد الإسراع من القلب عند توغله في الحضور، وأن تثبتوا على أوصاف العبودية لتستمدوا من أوصاف الربوبية لأن الله تعالى جعل الأضداد كامنة في الأضداد فالعلو كامن في الحنو والعز كامن في الذل والحضور معه كامن في الغيبة عمن سواه.

ثم أعلمكم يا إخواننا، أن هذه اللطيفة النورانية التي اختصر الله بها

الإنسان أصلها في القلب مطلسم عليها بدوائر الحس المجتلبة من عالم الجسم، وبحسب إزالة تلك الدوائر عنها يقع الإدراك ويتسع العلم ويقوى مدد النور لأنه لا نهاية له، وذلك بمنزلة العين التي يزال عنها ما بها من العشب المانعة لها من قوة الجري إلاَّ أن الله جعل الناس في ذلك متفاوتين، فمنهم من يقوى على إزالة ذلك ومنهم من يضعف عنه.

والقادرون على الإزالة متفاوتون، فمنهم من يزيل عنه من الدوائر الحسية المقدار الذي يفيض به ذلك النور عن جوانب القلب فيكون سريع الإدراك، ولكن لا يدرك إلاَّ الأمور الجلية من عالم الظاهر، ومنهم من يزيل عنه المقدار الذي يصل به ذلك النور لعالم الدماغ فيكون نوري الإدراك خائضاً في بحر المعاني اللطيفة من عالم الظاهر. وهذا منتهى ما تصل إليه تصفية أهل الظاهر لوقوفهم مع الكثائف لحصرهم النظر فيها.

ومن الناس من يقوّيه الله بكثرة الأذكار والانحياز إلى طائفة الذاكرين وصحبة المشايخ حتى يخرق عادة نظره في الكثائف بالانتقال عنها، حتى يفيض ذلك النور عن دوائر الدماغ فيسبح في عالم النور ويخرج من ضيق الوجود إلى فضاء الشهود، وكل مكون من الدارين كثيف يتعين على المريد أن يديم ذكر الله حتى يخرج عقله عن النظر إليه. فدوموا بارك الله فيكم، على ما أنتم عليه، وشدوا أيديكم على ذكر ربكم، [وانسوا كل شيء به]، وانسوا أيضاً الذكر بالمذكور وكل ما تجدون عقلكم يقف فيه فانقلوا نظره عنه حتى تروا شيئاً لا يجد عقلاً يقف فيه لكونه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشورى: الآية 11]، ونسألكم جميعاً صالح الدعاء والسلام.

الرسالة الثالثة

بِحَمْدِكَ اللهمَّ نبتدِرُ عند سبوغ النعم، وعن التقصير في العبودية لك نعتذر، وأنت أولى بكل فضل وكرم، ونضرع إليك ضراعة الذليل ونعوذ بك من وجود الغيبة عند الموجب لإقامة البرهان والدليل، ونشهد أنك الله الذي ملأت بأنوارك الوجود فلم يبق متسع للسوى. وأقسمت ببعض مخلوقاتك مع نهيك عن الحلف بغيرك إشارة خفيَّة لمن على مستوى التفريد استوى، ونصلي على

رسولك أقرب الخليقة إليك، وأجلّ البرية لديك، وعلى آله الهداة، وأصحابه الثقات، صلاة وسلاماً نزداد بهما في الحضرة استبصاراً ونكون بهما على ذِكرك، والانحياز إليك أعواناً وأنصاراً، وبعد سلام أذكى من مسك الختام، وأنمى بلْ وأحْمَى من صوب الغمام على إخواننا في الله، فَقَدْ ورد علينا كِتابان بخطّ سيّدي محمَّد بن الطَّالب بن سُودَة، وذكر لنا وُصولكم بخيرٍ، وقد كنا متشوقين لذلك من عندكم، لأنَّا من اليوم الذي ذهبتم وأنا مشوش البال، لأني لم يرِدْ عليَّ أحدٌ من قِبلكم، ولكن لا يقوى قوة كتابكم، والحمد لله على سلامة الجَميع، فأعلمكم أعلمكم الله خيراً ووقاكم شراً، إنَّ هذه الفتن التي تصيب الناس إنما هي كما تعلمون بسبب تفريطهم في واجبهم وغفلتهم عن ربهم وقلّة مبالاتهم بأمره، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ومن أراد أن ينجيه الله في نفسه وماله وأهله من هذه الفتن فليرجع إلى ربّه وليبحث عن كل ما فرط فيه من أمر دينه فيقضي ما أمكنه قضاؤه وما لم يمكنه قضاؤه يستغفر الله منه على نيّة أن لا يعود إليه أبداً حتى يستقيم حاله مع ربه، وحينئذ فلا يخاف من شيء بحول الله وقوته، لقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحَج: الآية 38].

ولا تُسِرُّوا في أنفسكم لأحد من المسلمين شرّاً ينجيكم الله من شرهم، ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ [الأنفَال: الآية 70] وانصروا الله بامتثال أمره واجتناب نهيه ينصركم في كل موطن تظنون فيه الخذلان، وتحصنوا من المخلوقين بالله لا بالعدة والعدد، فإن القوة مع الضعف والقدرة مع العجز، والعزّ مع الذلّ والغنى مع الفقر، وخذوا حذركم من أن تفتنكم العامة عن الله، وثبتوا عقولكم بالحضور مع ربكم ينجيكم الله من شر كل ذي شر.

هذا، وأعلمكم يا إخواننا وأحباءنا، أن الله تعالى جعل عقل الإنسان في جسمه بمنزلة الأمير، والجوارح رعية له، فلا يصدر منها أمر ولا ترك إلا بأمره ونهيه، فهو جالس أبداً على كرسي مملكة الجوارح يدبر ما يرد عليه من قبل الحق سبحانه فيها، فكلما ورد أمر عليه استعمل الجوارح على قانون ما أمر به، وبحسب ما يليق بكل جارحة من فعل وكف فهو المستخلف على الجسم من قبل الله سبحانه، ولذلك إذا زال العقل ارتفع التكليف لبقاء رعية الجسم بلا

أمير يدبر أمرها ويقودها إلى مصالحها ويكفها عن مضارها، ثم إذا أراد الله أحداً لنفسه لا لشيء دونه تجلى سبحانه ببهاء نوره لعقله والعقل إذا لاقاه النور القديم انقلع لا محالة عن كرسي تدبْير مملكة حسّه لشهود ما لا يسعه البقاء معه على ذلك الوصف، بل يتلاشى في شهود القدم وهذا الأمر هو غاية مطلوب السائرين ولذلك يدومون على كثرة الأذكار حتى يلاقيه النور القديم.

ولذلك قال سيدي الشُشْتُري:

فحجتنا تَرْكُ الحجا وهو حَجُّنَا

وإذا انقلع العقل بقي الجسم بالله ليس له مقود يقاد به ولا رسن يحْبس به، ولكن إذا زال العقل انكشفت للجسم مادة حقيقة وجوده ومن أين هو مستمد ومن كان له ومن هو به، فإذا هو من عين مادة العقل الذي رآه الجسم تلاشى في القدم، وفهم أن ليس بينه وبينه فرق إلا بتباين الصنعة فيصير الجسم عند زوال الواسطة التي هي عقاله يحادي العقل في دعواه فيقول: أنا أنا، ولكن العقل إذا قال: أنا أنا، قال ذلك في عالم اللطافة فلا يسمعه أحد من أهل عالم الكثافة والجسم إذا قال: أنا أنا، قال ذلك في عالم الكثافة فيسمعونه يقول: أنا أنا فينكرون عليه ذلك بما يرون فيه من أوصاف الحدوث. والخلاف بينهم إنما هو في شهادة، ولو رأى أهل الظاهر ما رأى لم ينكروا عليه شيئاً ولذلك قال سيدي عُمر بن الفارض:

دع عنك تعْنِيفي وذق طعم الهوى

فإذا عشقت فبعد ذلك عنِّفِ

وهذا في البداية من حالِ المُصَادمة، ثم لا يزال العقل يأمر الجسم بكتم السر وإظهار العبودية التي كان بها أولاً لأنها أيضاً هي حتى يسكن ويرجع عن دعواه ظاهراً، وإن كان مصراً عليها باطناً، لزوال الحائل الذي كان يحول بينه وبين عالم أصله، وهو العقل الذي كان له عقالاً عن وصوله، فنؤكد عليكم غاية أن تداوموا على أورادكم وأذكاركم وعلى الخصوص أكثروا مِن ذِكْر الاسم المفرد ولا تتركوا الاجتماع أصلاً، ولا بد ولا بدَّ ولا بُدَّ فإنه سر الله في الطائفة وتراحموا بينكم غاية، ولا بد ولا بد ولا بُدَّ، وليكن كل واحد منكم

للآخر بمنزلة الأخ الشقيق الشفيق، وإذا قامت الفتنة فناموا فإن رسول الله ﷺ يقول: «الفتنة نائمة لعن الله موقظها»، وهذا الكتاب كتبناه لكم في حال المرض نسأل الله سبحانه الشفاء، فالعبد عبد والرب ربّ، والأمر منه وإليه جميعاً، والله يأخذ بيد الجميع. ونسألكم الدعاء الصالح ولا بُدَّ ولا بُدَّ ولا بُدَّ والسلام.

الرِّسالة الرَّابعة

نحمدك اللَّهم بالعجز عن أداء ما يليق بك من وجوه حمدك، ونشكرك بإفضاء الفكر إلى أنه لا يعلم ما يناسبك من ذلك أحد من بعدك، ونخنع إليك خنوع الفقير، ونسجد لك بمساجد العقل على تراب الذل سجود الوضيع الحقير، ونشهد أنك الله الذي تبرم الأحكام وتبرز من ضمير القدرة أعجب الإتْقَانِ والإحْكَامِ حتى أنك جعلت العقول كالأجسام، قبائل وشعوباً، وجعلت حالها شرفاً وضده لما تعلقت به معزواً ومنسوباً، وشرّفت بيت الجسم بشرف ساكنه، وأثْبَتَّ له من العز بحسب قائده وراسنه، حتى قال رسولك ﷺ لأصحابه لما كانوا عن تفاضل الأجرام نهوا: «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». فجعلت فضيلة الإنسان بفضيلة عقله وشُفوفِهِ على غيره بقدر دنوه منك وقرب محله، إذ المقصود من الفقه أطوار الأعمال، والمعتبر من الأعمال أنوار الأحوال، ولا يشرق نور حال شهودك إلاَّ على عقل توليته في السابقة بالعناية، وجعلت له في اللاحقة التعلق بك بداية، والوصول إليك نهاية، فصار هذا العقل ملك العقول والخليفة عنك فيما يفعل ويقول. فكل من أقبل عليه من العقول أقبل عليك، وكل من نظر إليه نظر عطف أصبح مجذوباً إليك، سطوة إلٰهِيةً، وخصوصية رحمانية. ونصلّي ونسلّم على سيدناومولانا محمد المبعوث لسطوع نوره من عشية نهار وجود الدنيا بمقربة من الليل، والقائل إذا أخرج الجهنمي بعد إحراقه ينبت كما تنبت الحبة في حميل السيل، إشارة لطيفة إلى أن محرق الخواطر لا يضره أن ينبت ضعيفاً، لأنه لا يزال يقوى بذكرك، والانحياز للذاكرين لك حتى ينال من قربك منزلاً شريفاً، وعلى آله أغصان دوحته وأصحابه حماة دينه وملّته، وبعد:

فأعلمكم، أعلمكم الله خيراً ووقاكم شرّاً، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث أخاً في الله أحدث الله له درجة في الجنة». ولا تجدون الشارع يرتب ثواباً إلاَّ على ما يقرب من الله سبحانه لأن الأعمال ليست مرادة لذاتها فكل ما لا يقرب من الله، وإن كان في الظاهر طاعة فلا عبرة به. وهذا الذي لا يقرب من الله إن نظرتم فيه وجدتم فيه ما يعود عليه بالإبطال عند الشرع أيضاً. وأما عند أهل الذوق الذين وقفوا بتوفيق الله لهم على حقائق الأمور، فالأمر عندهم في الإخوان ظاهر لأن الأخ في الله، وهو الذي يؤاخيك في الله لا لغرض سواه، وإن كان شيء آخر فبحسب التبع لا بحسب الأصالة في الأخوة. والقصد الأول رحمة كله لأخيه، فلقيه رحمة، وكلامه رحمة، والنظر إليه رحمة، والجلوس معه رحمة، والتفكر فيه بعد فراقه رحمة، لأنه يدل بأحواله كلها على الله فهو إعانة للسائر وزيادة للواصل والمتجرِّد الصادق يصدق إن شاء الله ما ذكرناه، ولذلك اتخذ الأكابر هذه الزوايا ليجتمع فيها الإخْوَان للذكر والمذاكرة، وذلك لأن بركة الاجتماع مع الأخوان لا نهاية لها ووالله يا إخواننا لو علم العاقل مزية الأخ في الله في الزيادة لحضرة الله حتى يشتريه بماله لو كان يُباع، ومهما كثر الإخوان وعظم الجمع قوي المدد واستروحوا ذلك من قوله عليه السلام: «اطلبوا الرزق عند تزاحم الأقدام» وكما يطلب الجسم رزقه من المطعوم، كذلك تطلب الروح رزقها من العلوم والفهوم، ومهما كان الإنسان لا يفارق الإخوان في غالب أحواله إلاَّ اشتد حضوره وقوي مدده وثبت قدمه ولا يجد الشيطان إليه سبيلاً لوُفُور قوته في الحضور بضم قوته إلى قوّة مدد الإخوان، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً».

وقد علمتم يا إخواننا أن كيد الشيطان وحيله أمر ضعيف لقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النّساء: الآية 76] ولا يغلب الضعيف إلاَّ من هو أضعف منه. وأما القوي فلا سبيل له عليه. وأنتم يا إخواننا وأحباءنا إن ظهر الناس على كدية من الخير فقد ظهرتم والحمد لله على جبل فنحبكم أحبكم الله أن تكونوا رجالاً ولا تلقوا آذانكم إلى قول قائل ودوموا على ما أنتم عليه من اجتماعكم بالزاوية وعلى الخصوص يوم الجمعة فإن الذكر فيه آكِدٌ من

غيره، واستروحوا ذلك من قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية 10] لأن ابتغاء كل أحد على قدر همته وولوع عقله بما تعلق به. وصاحب الهمة العالية، وهي المتعلقة بالله، ليس له ابتغاء يساوي ابتغاء ذكر الحبيب والجلوس مع من يذكره أو يذكر فيه لأنه محل بسطه وسروره وابتهاجه وإن ذكر سواه انقبض وتكدر على عكس أحوال أهل الغفلة عن الله، أعاذنا الله وإياكم منها، ومن جمع الإخوان على شيء عادت عليه بركة جمعهم، فشدوا أيديكم بصدق العزائم على ذكر ربكم والاجتماع عليه ولا يخفى عليكم أنه سبحانه ذاكركم عند ذكركم إياه، ومقبل عليكم عند إقبالكم عليه، فما ذكرتموه حتى ذكركم بذكركم له وما أقبلتم عليه حتى أقبل عليكم بإقبالكم عليه وكل أمر تتركونه لأجل الاشتغال به يأتيكم الله بخير منه لأن يده العليا، وما كان في الله تلفه كان على الله خلفه.

واعلموا أن ذلك إنما يكون لمن لا غرض له بفعله إلا الله تجريداً من الحظوظ وأما من يقصد بعمله جزاء فعمله معلول بعلّة الجزاء والعوض، والله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلاّ ما كان خالصاً له وحده فخذوا حذركم بارك الله فيكم أن يراكم الحق سبحانه قاصدين سواه أو ناظرين بعقولكم إليه، فإن الحق سبحانه غيور، واخلصوا بأفكاركم إليه تروا من بهاء نوره سبحانه ما يزهدكم في كل شيء سواه، بل لا تروا شيئاً سواه، فيصير الطبع بحكم الطوع والاختيار خارجاً من الكون وهو ساكن فيه، والله سبحانه يأخذ بيدنا ويدكم ويد المسلمين أجمعين والسلام.

الرِّسالة الخامسة

باسمك اللهم نبتديء الأمور ونختمها، وبحمدك نستوهب فوائد النِّعَم من موائد الكرم فنطعمها. ونشهد أنك الله الذي بطنت بالظهور، وظهرت بالستور، ولولا ما بطنت به لم يعرفك عارف، ولا صرف أحداً عن شهود أنوار ذاتك صارف، فأظهرت بالحجاب مزية الخصوصية، وعَزَّة الربوبية، وأصلي وأسلم على نور الأنوار وسر جميع الأسرار، مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله الخلفاء فينا من بعده، وأصحابه الذين شربوا صفو مائِه، فكانوا خير أمة بإشراق سعده،

وأسلم سلاماً يهب بنفح طيبه النسيم، ويصير به إلى حال الغنى بالله المقل العديم، مصحوباً برحمات من الله سبحانه وبركات تنهل انهلال الطيب النابع من جميع الجهات.

وبعد، يا إخواننا وأحباءنا، فإن سألتم عن الحال فالحمد لله على كل حال، وإني لأسأل عنكم كل من نعلم له بكم خِبرة إنْ يسر الله لقيه فيخبرني عنكم بما يبسطني ويسرني من شدة عنايتكم بأورادكم وأذكاركم ووقوع اجتماعكم من الجمعة إلى الجمعة، وحصول البيات عند بعضكم في الغالب فذلك هو ظني بكم ونظري فيكم أن يَنفَح فيكم من الذكر بحول الله وقوته ويسطع فيكم من الخير ما يسري بفضل الله في كثير من الناس، والله يؤتي فضله من يشاء، فشدوا أيديكم على ما أنتم عليه، فإن هذه الطريقة يا إخواننا وأحباءنا طريقة الرجال لا طريقة الأطفال، والمريد على التحقيق، أو نقول الصادق مع الله في عبوديته على التحقيق هو الذي يلقي نفسه وحاله وجميع الوجود بأسره فيما يوصله إليه ولا تزال تطير به أجنحة المحبة إليه حتى إن اختبرته لا تجد له غرضاً في هذه الدنيا إلا الله ولولا ذكر الله وما تحصل له به مزية القرب لاختار فراقها وأنتم يا إخواننا كذلِكَم نحبكم أن تكونوا، ونسأل الله تعالى أن يجعلني أيضاً أنا كذلك بفضله ومنه ونسأل الله الجمع بكم على أكمل الأحوال وما ذلك على الله بعزيز، والسلام.

الرِّسالة السَّادِسة

نحمدك اللَّهُمَّ على أن حمدت نفسك بحمدك القديم، ونشكرك على أن أزلت بذلك نغيصة قلوب أقوام يحبون الثناء عليك بما أنت أهله ولكنهم عجزوا عن ذلك عجز المقل العديم. ونشهد أنك الله الذي لا ينقص علمه، ولا ينفد كرمه وحلمه، ونؤمن بأنك القاهر الذي سترت أحديتك بالوحدانية، وأظهرت بمظاهر العبودية عزَّة الربوبية حتى كثر بذلك في الاعتقادات القال والقيل، وتاهت أفكار قوم في بيداء الجهل بك مع وضوح السبيل، وتقرر في العقول ارتباط المسببات بأسبابها.

وعُلِمَ منه أنه لا أغير منك إذ أطلعت عليهم شمس الحقيقة حتى قال

حُذَّاق أهل السنة الظاهرة عندها لا بِهَا، كل ذلك إظهاراً لحكمة القادر، وإلا فقد بانت الإحاطة بكونك الأول والآخر والباطن والظاهر لأن الموجود بغيره في الحقيقة عدم، والعدم المحض بالإصالة لا تستقر له في دائرة الوجود لولاك قدم، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد الذي أشرق الوجود بمعناه، والمشير لدواء الغفلة عن الله، بقوله: «لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله». وعلى آله معادن الحكمة، وأصحابه ينابيع الرحمة، صلاة وسلاماً ننال بهما منازل الأخيار، ونستمد بهما من بركة الكل استمداد مضارع من يتبعهم في الدوام والاستمرار، وعلى إخواننا الفضلاء، وأحبائنا في الله الأجلاء النبلاء، من تخيّرهم الحق سبحانه لشروق أنواره، وظهور أسراره، وأولاهم من ذكره ما أولى، وألبسهم من محبته سربالاً لا يخلق ولا يبلى، وأنزلهم بمحض الكرم، منازل التيجان من الرؤوس، وأوقفهم في مقام تحققوا فيه صدق قول القائل: لا طيب بعد عروس. كل ذلك عناية سابقة، ورعاية لاحقة، وإلا فالكسب في الحقيقة مجاز عقلي، وبروز الخير ممن ليس في طوقه من التنبيه على التفضل الأزلي الأصلي، جملة الأحباب المتصلين بنا بفاسٍ، سلام من الله سبحانه ورحمات وبركات يعم جنابكُم المحفوظ بالله من جميع الجهات.

وبعد، يا إخواننا وأحباءنا فلا يخفى عليكم أن الحياة وإن طالت لا بد أن تعدم، وإن الأجل وإن بعد لا محالة عن قريب يقدم، وإن اللبيب من طوى ما بينهما من الأمد، ورأى بعين بصيرته أن ذلك قد وقع أو كادَ، وذلك لأن قوة اليقين تصير المستقبل واقعاً في الحين ولحمل العبيد على قوة اليقين وشدة الانتباه، وقعت إشارة التعبير بالماضي عن المضارع في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 1] وإلا فتقدير محقق الوقوع كالواقع أمر واجب اعتقاده في إخبار الحق سبحانه من غير مخالف ولا منازع، ولكن من أيّد الله فكره بالإصابة، ومنحه صحة الرجوع إليه والإنابة. يعلم يقيناً أن المقصود من طي المضارع في الماضي أن يزعج الإنسان نفسه في اختيار من يستند إليه ويعتمد في ملمات الشدائد عليه، وهو إذَا زَالَ عنْه سَفَهُ الغفلة عن الله الموجب لتحجيره عن التصرف في حقائق الأمور، وكشط عن بصيرته غير الوله في دوائر الحس المانع من الإذن له في التجارة التي لا تبور، وجد كل ركن يستند إليه

سواه سبحانه بالتحقيق يهدم، وكل سبب يتمسك به غيره تعالى لا بد أن يفصم ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية 130] وأفرط في الغباوة حتى باين في الإدراك جنسه، لأن التعلق بسواه تعالى من سفه النفوس الذي هو أشد في التبذير من سفه الفلوس ومن عرف طرق مراشده، وملأ كيس عمره بفوائده، بادر بِحَزْمٍ شديد، وعزم أكيد، لذمة لا تخفر، وسطوة لا تقهر، وانحاز لمن يغلب ولا يُغلب، ويَسلب ولا يُسلب، وعمر بذكره أوقاته، واستدرك من اختصاص محبته به، والوله في ساطع أنواره ما كان في زمنه السالف قد فاته، ليفوز الفوز الكبير، ويحرز من بين ملاك فِضَّة العبادة وذَهَبِ الحضور كيمياء الشهود والإكسير، ويوازي بلحظة من عمره الأعمار الطوال، ويصول بعز الوصال على كل من تعزز بسوى ذلك وصال.

وأعلمكم يا إخواننا، أن الحق سبحانه عيَّنَ للسائر طريق الوصول إليه، بأوجز عبارة وألطف إشارة، وذلك حيث قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] فبيَّن له أنه لا يرى نوره ولا يصل إليه حتى يطرح من فكره كل شيء لأن كل ما يخطر ببال الغافل عن الله ومنه حال السائر، فالله تعالى مخالف له لأن الحق سبحانه إذا تجلى لمن أحب أن يتجلى له، تَجَلَّى لَهُ بحال الانفراد حيث لا يكون هنالك عقل ولا ما يرتسم فيه حتى أن الذكر ينتسخ أمره بالمذكور ولا يرى نوره إلا بنوره، فأمر سبحانه بطرح كل شيء يتجلى للعقل من عالم السوى، وفي ضمن ذلك طرح العقل أيضاً لأنه من عالم السوى، وحينئذ ينكشف نوره فيرى بنوره، والسائر ما دام سائراً بتجرُّدِه بدوام الذكر من هواجس النفس لا بد له من عقل تنطبع فيه صور الأشياء عند إدراكها فإذا غابت عنه انطبع في عقله خيالها وانطباع خيال الصور أضعف من انطباع الصور نفسها، ولكن انطباع نفس الصور في العقل عند حضورها وإن كان قوياً يسهل زواله لأنه يزول بمجرد الغيبة عن تلك الصور بخلاف خيالها فإنه صعب زواله وإن كان ضعيفاً لأنه لا يزول إلا بأمر يتجدد على العقل وروده كشدة محبة الشيء الناشئة عن دوام ذكره أو خوف من عقاب هائل كإحراق بنار أو لدغ أفعى هائلة الصورة أو جعل في سلسلة طويلة وقد خرج الكل بقبح صورته عن المعلوم عادة، وأحرى إذا استشعر المرء العقوبة بالكل أو بما هو أشد ولذلك كان

التائب مأموراً بالإقلاع عن الذنب حساً لتذهب من عقله صورته الحسيّة وذلك على نيّة عدم العود إليه الذي هو نفي الإصرار الموجب لبقاء خياله في العقل في المستقبل وأمر بالندم الماحي لما بقي في العقل من خياله في الماضي الحامل له على رد ما ظلم فيه غيره، لأن ذلك يوجب الحجب بحلاوة الأخذ بدون موجب الذي لأجله حرم أكل أموال الناس بالباطل مطلقاً والحامل له على الندم ما سبق من شدة المحبة أو الخوف أو استشعار الخوف وإن كان يحمل على المجاهدة الجالبة لأنوار التوجه إلى الله تعالى بالطاعة لكن الأنوار الناشئة عنه لا تخلو من الاختلاط به أبداً لأنه زلزلة عظيمة على النفوس وربما أكل أنوار الطاعة بصولته وهوْله حيث يقلب حتى تشتد به غيبة الإنسان عن الله فينسد به باب الفتح ولذلك إذا عظم حتى أكل الرجاء جملة وحصل به اليأس من الرحمة أثر ظلمة الكفر وحجابه والعياذ بالله، ولذلك لم يتخذ المشايخ والله أعلم الخوف باباً للمشاهدة، ولكن لقنوا أصحابهم أنواع الذكر التي تُحَصِّل على شدة المحبة الماحية لمقام الخوف والرجاء والتوكل والتسليم وغير ذلك من كل حاجب عن الله، لأن المحبة كلما عظمت زاد المتصف بها توغلاً في الحضور مع محبوبه حتى ينتسخ وجوده بوجوده ويرتفع شهوده بشهوده، ويغيب عن العوالم كلها في معلومه فطريقها مأمون القائلة بل هو أشد الأشياء توسطاً في حصول الشهود.

ولما كانت النفس مجبولة على حبها الملائم لطبعها من الأكوان فيجده الإنسان قائماً على مرآة العقل مانعاً له من شهود عالم الأسرار، وكان المريد كلما جاهد نفسه على إزالة فرد من أفرادها شغله غيره لسعة دائرتها وأعضل الدواء ولا يمكن الخلاص منه إلا بكسر تلك المرآة حتى لا تجد المكونات محلاً ترتسم فيه، وإذا خلا الإنسان ونَفْسَه فلا يتأتى له كسرها لأن كسرها هو نفس الجذب للحضرة وهو بدون شيخ يندر وجوده لقولهم: ما أفلح من أفلح إلاَّ بصحبة من أفلح. وعلى فرض وجوده فربما إذا جذب الإنسان من غير شيخ يأوي إليه فسدت شريعته بظهور حقيقته المنزَّهة عن حمل التكاليف فيما يراه، لنقصان جذبه فيحرم أنوار التوجه التي هي كمال لأنوار المواجهة احتال أهل الصدق من المريدين في كسر تلك المرآة بالانحياز للمشايخ وعلى الخصوص

الكمال منهم الجامعين بين الحقيقة والشريعة، واستعانوا على كسر مرآة الرسوم بخدمتهم الجالبة لمحبَّتهم لهم لأنهم إذا قويت محبتهم لشخص بتحقيق صدقه محقت عنه جميع الحجب لاختلاط سره بأسرارهم المنزَّهة عن شهود السِّوَى والصبر لاختباراتهم في الصدق عسير إلاَّ على من أيّده الله لأنهم يختبرون أصحابهم بأمور قريبة، فإذا وقفوا لها ولم ينهزموا حمَّلُوهُم على ما هو فوق ذلك في عسر الصبر عليه حتى يلقوا عليهم زلازل لا تكاد تحملها الجبال الرواسي وذلك من أحوال المشايخ كثير، ولكن أنتم انظروا حال الصحابة رضي الله عنهم فإنهم لم يستحقوا الرضوان من الله تعالى حتى بايعوا تحت الشجرة على الموت وقد كانوا بايعوه عليه السلام مرات وهو يرقيهم في الصدق حتى بايعوا على إتلاف النفوس وخوض المهالك، فلم يبق وراء ذلك وراء لأن إتلاف النفس في رضى المحبوب أعظم مقامات الصدق في محبته.

ومن ثم سمي قتيل المعترك شهيداً لأن حاله شاهد بصدقه حيث استدبر جميع المحاب في رضى محبوبه حتى نفسه ألقاها، جعلنا الله وإياكم ممن تحقق صدقه مع الله تعالى في جميع الأحوال بجاه مولانا رسول الله ﷺ.

ونحن يا إخواننا، ما كتبنا لكم هذا الكتاب إلاَّ تأكيداً، وإلا فقد بلغنا ما أنتم عليه والحمد لله من الحزم في جانب الله، فشدوا أيديكم على ذكره ومحبته حتى تنكشف لكم أنواره بفضل الله ورحمته، ومال أو نفس ذهبت في الله فلا والله ما ذهبت بل بقيت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 169] والله يأخذ بيدنا ويدكم ويد المسلمين أجمعين، والسلام.

الرِّسالةُ السَّابِعَةُ

باسمك اللهمَّ نستفتح أقفال الأقفال، ومن كرمك نستوهب في شهادتنا بأحديتك أعمال الأعمال، ونؤمن بأنك الله الذي جعلت معرفتك على المكلف أول واجب، وحجبت أنوار ذاتك برداء عظمتك وأنوار عزك لا بوجود الحاجب حتى جعل دهاة الناس من خلقك يقولون بوجوب معرفتك ببعض الصفات وطفقوا يستظهرون عليها في مخاصمة الشكوك برسوم الآثار والآيات. ولما كان الأثر إنما يوصل لاعتقاد وجود أعيانها لا لتحقيق عرفانها، قالوا إن

الله سبحانه لم يكلف أحداً من خلقه بما ليس في وسعه وطوقه. كل ذلك حكمة ظاهرة وسطوة قاهرة وإلاَّ فكيف يستدل عليك بالسوى وأنت لإحاطتك بالوجود وجوداً بأحدية ذاتك تقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية 5] ونصلي ونسلم على سيدنا محمد واسطة العرفان وحقيقة النور الذي أضاءت به جميع الأكوان، وعلى آله أنابيب مائِهِ، وأصحابه أنجم سمائه، صلاة وسلاماً نخرج بهما إن شاء الله من جهالة العين في مظاهر البين.

وبَعد:

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو وأسأله لي ولكم ولجميع المسلمين خير الدارين وأستكفيه كذلك شر الثقلين، وأعلمكم أعلمكم الله خيراً ووقاكم شراً أن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم ثلاث فرق.

فرقة طالبة للدنيا عاكفة على الحرص على حظوظها النفسانية وشهواتها الجسمانية، ليس لها دوران إلاَّ في تحصيل الشهوات، وليس لها طموح إلى الآخرة ولا التفات، وهذه الطائفة هي التي عميت وهي تنظر، وأهلكت نفسها وهي لا تشعر، فتعظم يوم القيامة ندماتها، وتقل من عذاب الله سلماتها.

وفرقة أخرى طالبة للآخرة، تريد التنعم بالحور والجنات والقصور، وهي أرفع همّة من هذه الأولى وأسَدُّ نظراً لكونها طلبت ما يبقى وزهدت فيما يفنى، ولها عند الله مقام عظيم وأمر جسيم لكونها وافقت نظره سبحانه حيث لم تنظر للدنيا التي لم ينظر الله إليها من لدن خلقها كما في الخبر، ولكنها وإن زهدت في العاجل مالت نفسها إلى التلذذ بالآجل، ولما طلبت غيره سبحانه ورضيت التلذذ بسواه كلفها الحق سبحانه بأهوال يوم القيامة والمرور على الصراط ومعاينة الصُّحُفِ والميزان وغير ذلك من المشاهد الهائلة التي يتهم فيها الصديق منهم نفسه على عدم النجاة فجعلهم لا يصلون إلى هذا المطلوب لما كان سواه عندهم إلاَّ بعد مشقة عظيمة.

وفرقة ثالثة، طالبة لله تعالى ليس لها غرض فيما سواه، ولا طلب لغيره، رفعت همَّتها عن الكونين ونفضت الجميع بكلتا اليدين، وهذه الطائفة هي التي تخرج من القبور للقصور وقصورها ليست كقصور غيرها لأن قصورها رفع

الحجاب ودوام النظر إلى الملك الوهاب. قال مولانا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: الآيتان 54، 55] وقال عليه الصلاة والسلام: «المرء مع من أحب»، وإنما سلمت هذه الطائفة من الأهوال كلها لتركها في هذه الدار الأهوال كلها، وشعب النفوس عن آخرها واشتغالها بربها دون شيء سواه فلم تكلف بكلفة لأن مطلوبها ليس بعد شيء ولا قبل شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء، ولا عن يمين شيء، ولا عن شماله، بل به ظهر كل شيء، وقام كل شيء، فهو موجود أينما توجهوا وحيثما حلوا، يزورونه في غير مكان وينظرون إليه نظر الإيقان، وافتحوا يا إخواننا آذان قلوبكم، فمن هذه الطائفة نطلب من الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين، فكونوا رجالاً ولا تكونوا أطفالاً تشغلكم عن الله لعبة الدنيا أو التشوّق لبهجة الآخرة أو يصدكم عن الله أهل الغفلة عن الله، فإن الله هو الحق سبحانه وما سواه كما تعلمون باطل وقبيح من الإنسان الإعراض عن الحق واتباع الباطل وتهلوا يا إخواننا في ما أمرناكم به من الاجتماع، فإنه كما تعلمون من التناصر في الدين ولا بد ولا بد والسلام.

الرِّسالة الثَّامِنة

الحمدُ لله، حَيَّا الله مقاماً أشرقت ربوعه بشموس العلوم، وتفجرت ينابيعه بضروب التحقيق ووجوه الفهوم، وصرحت بصراحة تقدمه في الخير فوق منابر أدواح الفضل أطياره، وأزالت زكام الجهل بالله من خياشم العقول الغافلة بروائح المعرفة بالله أنواره وأسراره، أمدنا الله وإياك بعونه، وجعلنا جميعاً من حزب الحق سبحانه بفضله ومنّه. وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تعم جنابكم السعيد أنواره ونفحاته وبعد:

فقد ورد علينا كتابكم الأرفع، وخطابكم الذي كاد نور سره في وجه القرطاس يلمع، وحمدنا الله على عافيتكم وما أنتم عليه من الحرص على ذكر الله والانحياز إليه والبقاء على العهد السالف بيننا وبينكم، زادكم الله ارتقاء في المكرمات، وأيدنا وأيدّكم في جميع الأحوال والمقامات.

وبعد: فمَا ذكرت لنا يا أخي من نهي والدكم، أسماه الله عن اجتماعكم

للذكر مع الأخوان، فجواب ذلك يظهر لك مما قاله ابن عباد في نزهة الناظر المتأمل ونصه بعد أن ذكر أن جملة التصوف كون العبد على حالة توافق رضى الله عنه ومحبته له، فإذا كان هذا معنى التصوف من لم يتصور مِنْ أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يهمله ويشتغل بغيره، ومن هذا تعلم أن أكثر طلبة العلم مخدوعون مغرورون لأنهم إذا اشتغلوا مثلاً بعلم الفقه المصطلح عليه الذي هو أقرب العلوم للمقصود ولم يعتنوا قبل ذلك بتصحيح نيّاتهم ومقاصدهم بطريق التصوف كانوا بذلك متبعين أهواءهم، ومن ادعى منهم أن نيّته صحيحة، قيل له: من أين لك هذا وأنت لم تضرب في طريق القوم بسهم لأن هذه الطريقة بها تظهر لك خِدع النفوس ويتراءى لك الشرك الجلي والخفي ودقائق الآفات حتى يكون أخْذُكَ له بباعث ديني، وحيث كان واجباً فرضاً فيجب السفر إلى من يؤخَذ عنه إذا عرف بالتربية، وإن خالف والديه.

وقال الشيخ السنوسي: النفس إذا غلبت كالعدو إذا فاجأ، تجب مجاهدتها والاستعانة عليها، وإن خالف الوالدين كما في العدو إذا برز، قاله في شرح الجزيري.

وقد بلغنا بالنقل الصحيح أن السري السقطي أمر الجنيد بأمر وأمره والده بأمر، فقدم ما أمره به الشيخ. وكان يقول: ما أظنني ربحت إلاّ بذلك. أو كلاماً هذا معناه.

وما ذكرتم لنا من تقديمكم للنهي على الأمر فلا يخفى عليكم أنه فيما إذا كان الآمر هو الناهي، وأما إذا كان الآمر غيره فالواجب تقديم من طاعته أوجب. وقد ورد أن رجلاً قال لمولانا رسُول الله عليه الصلاة والسلام لما تعارضت أغراض والديه فيه: من أطع، قال عليه السلام؛ «طع أمك»، وكرر عليه السؤال وهو عليه السلام يقول: «طع أمك» ثلاث مرات وفي الرابعة قال: «طع أباك».

ولا يخفى عليكم ما في شروح المختصر من تعليل جواز إفطار الشيخ لتلميذه فكونه أخذ عليه العهد في اتباعه وأن المراد بالشيخ شيخ الطريقة لا شيخ العلم الظاهر، فافهم فهمنا الله وإياك وسلام منا على كُلٍّ من تعلق بجنابكم

وعلى عهدكم ومحبتكم والسلام.

الرِّسالة التاسعة

باسْمِكَ اللَّهُمَّ نستشفي من صولة أمراض القلوب، وبحمدك نستخرج ما بطن من نعمك تحت أستار الغيوب، ونشهد أنك الله الذي بيده التقريب والتبعيد، وبقضائه أمر التنعم والتعذيب، ونؤمن بأنك الأول الذي منك بداية كل شيء، وأنك الآخر الذي إليك نهاية كل شيء، فإليك انتهاء ما منك بدا، فأنت إذاً لم تزل واحداً أحداً، ونصلي ونسلم على من حكمت على كل أحد أنه لا يعرفك إلاَّ به ولا يدخل عليك إلاَّ على يديه ومن بابه. إذ جعلت من نوره أنوار الوصول، ومن حقيقته وجود الكون الذي هو سبب للدخول، حتى قال عليه السلام: «تفكروا في مصنوعاته ولا تتفكروا في ماهيته أو ماهية ذاته» وعلى آله جداول مجده، وأصحابه أنصار نهيه وأمره.

وبعد سلام عميم ورحمة من الله وبركة يهبان مهب كل نسيم، على الأخ في الله والمحب من أجله، فقد ورد علينا كتابكم الأول والثاني، وحمدنا الله على عافيتكم وما أنتم عليه من الجد الذي يقرب المسافة، أدام الله علينا وعليكم نعمه ظاهرة وباطنة، هذا والله يا أخي منذ فرقناكم بالأجرام ونحن نذكركم غالب الأوقات بأَسْنَى مذاكرة مع مولاي أحمد الشريف العلمي بعد سلامه عليكم وفي أنفسنا أن خلونا عن الناس والإمداد على قدر الاستعداد، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 152]، وأعلمك أعلمك الله خيراً ووقاك شراً أن الله قد خلق الخلق وجعلهم أربع طوائف.

طائفة لم ينظر سبحانه إليها نظر الرحمة فلم يشتر منها نَفْسَها ولا مالها ولا استقرض منها شيئاً من ذلك لخبثها وكونها مسترذلة عنده، أرواح خبيثة في أجسام خبيثة.

وطائفة اشترى منها نفسها ومالها بعوض الجنة بحكم الطوع فيما سبق في الأزل فظهرت عليها في هذه الدار علامة البيع، فتراهم سلموا المبيع لمشتريه يفعل به ما يشاء، ولم يبحثوا عن علق ولا تحصيل منافع ولا دفع مضار لخروجه عن ملكهم وكونه في يد المالِك، فتراهم يحبون الآخرة لعلهم يحصلوا

على العوض.

وطائفة لم يشتر منهم سبحانه ولكن استقرض منهم في سابق علمه فأقرضوه فظهرت عليهم علامة القرض في هذه الدار، فتراهم سلموا أيضاً المستقرض فتحاً للمستقرض كسراً كما سلمه البائعون ولكن شغل قلوبهم انتظار رَدِّ المستقرض، وكيف يكون ذلك الرد وفي أي زمان يقع.

وطائفة علم الله منهاالصدق في العبودية ونفث فيها حسن الأدب بين يديّ الربوبية لما رأت هذه الطائفة باعت وهذه الطائفة أقرضت تأملوا حقيقة البيع والقرض وعلموا أن من شرط ذلك ملك البائع للمبيع والمقرض للمستقرض فتحاً، فقالوا: نحن لا يصح منا البيع ولا القرض ولا الهبة ولا شيء مما يستدعي ثبوت الملك ولو بطريق المجاز لعدم مِلكٍ لأنفسنا وأموالنا، بل ندع الملك لمالكه ولا ندخل في شيء من أحواله، فتجد علامة ذلك ظاهرة عليهم فتراهم أقبلوا على الله وتركوا الوجود وراءهم ولم يشغل الله قلوبهم بدنيا ولا بآخرة فهم مقدسون عن ظهورهم في مشاهد الغيبة عن الله أبداً وكل مشهد يغيب الناس فيه عن الله تراهم فيه يزدادون معه حضوراً واستبصاراً ويقظة.

فانظر يا أخي في نفسك وتأمل بفكرك من أي طائفة من هذه الطوائف أنت، وأي علامة من علامات أي طائفة ظهرت عليك، وخذ لنفسك بالحزم والجد لأن الأماني والأحْلام غالبها باطل، واعلم أن ما بين يديك من الزمان، وإن كثر قليل. والله يأخذ بيدنا ويدك وهذا الكتاب كتبناه لك عن استعجال، وسَيَرد عليك غيره إن شاء الله، وإني والحمد لله لا زلتُ في حالِ المرضِ الخفيف، فادع الله لنا بالشفاءِ وسلِّم منا على الإخوان جميعاً، ولا نكره أن تقرأ عليهم هذا الكتاب أو نسخة منه ونحن على عهدكم ومحبتكم، والسلام.

الرسالة العاشرة

باسمك اللهم نستجلي ما كمن في باطن هذه المصنوعات، وبدوام ذكرك نستظهر بحجج المحو على كل من يدعي لنفسه الوجود معك من هذه المبتدعات، ونشهد أنك الله الذي أضمرت نورك بالظهور، وتعرفت لأوليائك بالستور، واستغنيت عن الحوادث بظهورك في جميع المظاهر، فكنت الباطن

والظاهر، والأول والآخر، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد نورك المصون وسرك المكنون وعلى آله الثِّقاة وأصحابه الهداة.

وبعد السلام التام الشامل العام على إخواننا الأجلاء والذاكرين المجدين النبلاء فأعلمكم، أعلمكم الله خيراً ووقاكم شراً، أنه لا يجتمع لأحد الوصول إلى الله تعالى وعدم الصدق مع الله تعالى أبداً، ولا يصدق الإنسان مع الله حتى يكون لله وبالله في جميع الأحوال قبل الوصول كَرْهاً وبعد الوصول طوْعاً. أو نقول: قبل الوصول تقليداً للشيخ، وبعد الوصول تصديقاً له ومن لم يدرب نفسه على السير بالجلال كان من الرسوخ في الوصول إنْ قدره الله على خَطَرٍ لأن الجمال يوصل به الشيخ غالباً ولكن يخشى على صاحبه.إذا انفرد أن يأكله الجلال إن فاجأ وكل ما لا يلائم الطبع فهو من قبيل الجلال والناس في ذلك مختلفون، فرب شيء يكون بالنسبة لهذا الإنسان جلالياً وبالنسبة لهذا جمالياً، والشيخ أعرف بما يناسب كل أحد.

ولذلك اختلفت أجوبة الرسول عليه السلام للصحابة رضي الله عنهم واختلفت أجوبة المشايخ لأصحابهم، وقد قال عليه السلام لبعض أصحابه: «إن فيك جاهلية»، وقال للآخر: «فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله» واعلموا أن من لم يصدق مع الإخوان لم يصدق مع الشيخ ومن لم يصدق مع الشيخ لم يصدق مع الرسول عليه السلام، ومن لم يصدق مع الرسول لم يصدق مع الله، ومن لم يصدق مع الله لم يفلح أبداً. وقد سرّنا والحمد لله، حالكم كما أخبرنا بذلك بعض الإخوان العلامة الولي الصالح سيدي محمد بن سُودة، فنؤكد عليكم ولا بد ولا بد أن تزيدوا في ذلك لأن من لم يكن في زيادة كان في نقص، والله يؤيدنا وإياكم والسلام.

الرِّسالة الحادية عشر

نحمدك اللهم حمد من طاول بالانحياز إليك السماك فَخراً، ونشكرك شكر من أنعمت عليه فجَعْلِ سماك على الدوام له ذكراً ونشهد أنك الله الذي بهرت الألباب، وأبديت من الابتعاد الابتداع العجب العجاب. إذ أضمرت نُورك في ضمائر الأغيار، وأظهرت المجبور في قالب الاختيار، ومكّنته بسطوة

الحقيقة من رسوم الانفعال فتوهمها بحكمة الشريعة رسوم الانفعال، فصار يدّعي لنفسه الإقبال والإدبار، ويزعم بغبش النسبة إليه المعبر عنه بالاكتساب أنه معك موجود، إذ قلت إنك معه في الإعلان والإسرار، وما درى أن معيتك تفيد تلاشيه في عين وجودك، وأن المقصود من ذلك دلالته على تحقق الانفراد لك بمحض كرمك وجودك، وإلا فأنى يجتمع الليل والنهار، ومتى يوجد الظلام مع طلوع الشموس والأقمار، يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحدوث مع من له وصف القدم.

ونؤمن بأنك الإله الأعلى، والدال على أن الوصول إليك لا بد فيه من الخدمة، إذ قلت في حق رسولك: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: الآية 8]. ونصلي ونسلم على من أوضح لأمته أوضح طريق في الإرادة، وترقى في العبودية حتى تلقى من ربّه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية 26] وعلى آله ووزرائه، وأصحابه أمنائه، وبعد سلام تام ورحمة من الله تعالى وبركات كل ذلك شامل عام على الأخ في الله العَالم الذَّاكِر الجامع بين الشريعة والحقيقة، سيدي محمد بن إدريس، فقد بلغَنا كتابكم وحمدْنا الله على ما أنتم عليه من محبة الله ورسوله والجنوح للإخوان، فإنّي أسأل عنك كثيراً لأنظر هل نَفَع الله بلقينا لكم، وإنّي لأرجُو منَ الله خَيْراً إن شاء الله. هذا وأعلمك يا أخي أن الدخول في هذه الطريقة وتعاطيها كالدخول في الإسلام وتعاطيه عند المحققين، فكما أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ حتى روحه التي بين جنبيه، ووجبت محبة الرسول لأنه يبلغ للمرسل إليه ما يؤديه للإيمان بالله عموماً، فكذلك لا يتأتى وصول المريد حتى يكون الوصول إلى الله، ومن يؤديه إلى الوصول إليه أحب إليه مما سواهما حتى روحه التي بين جنبيه، وكما أنه يهاجر في طوعِ الإسلام بِسربه، كذلك يُهاجِر في طوع الوصول بقلبه، وكما أنه يجاهد العدو الكافر لئلا يفسد عليه حاله الظاهر بأن يرده عن إسلامه، كذلك يَتَعيَّن عليه أن يجاهد نفسه لئلا تفسد حاله الباطن فتصده عن وصوله. وقس على ذلك بقية الأحوال.

واعلم يا أخي أنّ التقرب بالفرائض خاصة لا يفيد الوصول؛ لأن

الوصول ينشأ لا محالة عن شدة المحبة المؤدية للفناء في المحبوب، وذلك إنما يفيد التقرب بالزيادات. وأما الفرض الذي يؤديه الإنسان بقهر الإيجاب فلا يفيد إلاَّ السلامة من عقاب المخالفة ودخول الجنة كسائر العوام ولا يغتر الإنسان بخطاب الله ورسوله لبعض الأفراد في نوازلهم الخاصة بهم بترغيبهم في الفرائض حيث يرى منهم التقصير في الفرائض أو القصور عن التعلق بالزيادات. وافهم هذا إن شئت من قوله تعالى في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه...» الخ الحديث.

وقد كان الناس فيما سلف يترقّون في نوافل الخيرات، والمشايخ أهل التربية ينظرون في أحوالهم على حسب ما يرون نفوسهم مائلة إليه إذ لا يحجب الإنسان إلاَّ ما تميل نفسه إليه، فيأمرون بعض أصحابهم بالذكر وبعضهم بالصلاة، وبعضهم بالصدقات، وبعضهم بالصيام، وبعضهم بترك الأسباب، وبعضهم بتعاطيها إلى غير ذلك من الأحوال لئلا تعلق بالمريد ما يصده عن الله كما يأمرون من أعضل داؤه بخدمتهم وخدمة الإخوان لأن جذب الهمم من أفضل مواهب الفضل والكرم، حتى يحصل بجلب القلوب إلى حضرة علاَّم الغيوب، لأن المريد كلما جلب إليه قلباً أنبت الله له للطيران لحَضرتِهِ جناحاً، وعلى قدر توغل ذلك القلب المجلوب في الحضرة يعظم ذلك الجناح ويقوى الطيران، فتجد الإنسان يحضر مع الله بجلب خاطر زيد أكثر مما يحضر مع الله بجلب خاطر عَمْرو.

وأما من يسعى في جلب خواطر الغافل عن الله فإنما يفيده ذلك بعداً من الله لأنه ضم بُعْد غيره إلى بُعْد نفسه، وافهم هذا من قوله عليه السلام: «فروا من المجذوم فراركم من الأسد»، ومن قوله: «باعدوا بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء»، وقول مولانا: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمتَحنَة: الآية 1] لأن الكافر إذا انجذب قلبه إلى المؤمن أثر فيه ظلمة أشد من ظُلْمةِ انجذاب قلب العاصي. وقال عليه السلام: «لا تسأل عن المرء واسأل عن خليله فلينظر أحدكم من يخالل». ولذلك اختار المشايخ للمريد مجالستهم عن مجالسة

الإخوان، ومجالسة الإخوان، وافهم معنى الإخوان عن الخلوة والخلوة عن مُخَالطة أهل الغَفْلة، ثم إن كل ما كان مِنْ قبل يأمر به المشايخ من نوافل الخير لا بد في زماننا هذا من التخفيف منه، ويقع الوصول به إن شاء الله لمن صدق الله في إرادته لأن الإنسان اليوم يؤثر في قطعه إلى الله الدرهم الواحد أكثر مما يؤثر في السلف الصالح الألف، وتؤثر فيه الصلاة الواحدة أكثر مما في السلف الصالح مائة صلاة، ولذلك جاءت شريعة مولانا رسول الله ﷺ الكائِنة في وقت قريب من غروب شمس الوجود بالتخفيف حيث لم تُحَرِّم إلاَّ الخبائث.

وانظر إلى الأمراء فيما سلف، والآن يزيدون الرعية في التكاليف ظناً أن ثقل ذلك في هذا الوقت يفيدُهم طاعتهم وليس الأمر كذلك، بل ذلك يؤديهم للغْيبة عن الله فيزدادون بذلك بعداً عن الطاعة، فمنهم وإليهم، والله يلهمنا وإياهم طريق الصواب.

ثم إن الشيخ الآن يتعيّن عليه أن يحمل من حال المريد ما لا يحمله من تقدم، لقوة خبث من تثقله الصلاة الواحدة، والدرهم الواحد، وصيام اليوم، والخدمة في بعض الأحيان دون بعض. ولذلك تجد الداخلين في الطريق كثيرين ولا ينجح إلا الفرادَى. وسلم منا يا أخي على جملة الإخوان واقرأ عليهم هذا الكتاب وفهمهم إياه ومل إلى الله علانية يمِلِ الله إليك علانية، وسيأتيكم كتاب آخر بعد هذا إن شاء الله إذا لم يمكن القدوم، وإن كتب الله اللقاء سأوضح لكم الأمر إيضاحاً شافياً إن شاء الله، وقد بلغ طيبكم ـ طيَّب الله بذكركم الكَوْن كله، وبارك فيكم وفي ذرّيتكم ـ والسَّلام.

الرِّسالة الثَّانية عَشَر

نحمدك اللهم حمد مقر بالإحسان، معترف بجزيل الامتنان، ونشكرك على أن برزت في مظاهر الأضداد، وأبطلت بعموم قيوميتك وجود الأشباه والأنداد، فالشريك لك بأي وجه على الإطلاق مفقود، وسواك في التحقيق ليس بمعبود، بل ليس بموجود، ونشهد أنك الله الذي أبديت لأهل البداية عموم التصرفات، ونبهت بذلك الأوساط على شمول الصفات، وأشهدت أهل النهاية من ذلك انفراد الحقيقة بالذات، كل أعطيته من نور الاستبصار على قدر

تخليه عن نفسه، وبعده بصقل الفكر بدوام الذكر عن دائرة حسِّه، وهديت الجميع لذلك إظهاراً لفضل الخصوصية الذي تختص به من خلقك من تشاء. وبياناً للكرم المحض الذي تنزه عن العِوَض ووجود الجزاء، إذ لولا تأييد الخصوصية لم يتأت لسائر السير إليك، ولا أمكن لعارف أن يقف على بساط الشهود بين يديك، ولكن العناية الربانية، والقسمة الإلٰهية، أيدتا السائر في أحط مراتبه، وهو الذلّة بالإسراع لنوع من التوبة يكون ماحقاً لذنبه، ونصرت العارف في أقبح مواقفه، الذي هو الغفلة بوجه من العذر يكون ناسخاً لبعده بوجود قربه، وبسبب توفيقك لهم للأدب المناسب لمقاماتهم في جميع الأحوال، ظهر فيهم سر الخصوصية الذي لا يكتسب بجاه ولا مال، ولذلك اختلفت أعذار أوليائك، وتفاوتت مناجات رسلك وأنبيائك، على قدر ما ألهمتهم إليك، وفطرتهم في منازل التقريب في حضرتك عليك. ونصلِّي ونسلِّم على نبيك الدال عليك همَّة بالحال، وشريعة بالمقال، وعلى آله خصوصاً أهل العباءة أطهرهم أذيالاً، وأصحابه خصوصاً المشدد في اتباعه القائل: «والله لأقاتلنّهم لو منعوني عقالاً» كل ذلك حفظاً للشرائع، وتنبيهاً على أن كمال الاقتداء من حَقِّ المتبوع على التابع، صلاة وسلاماً ننال بهما منازل الرضوان، ونستوهب بهما مواهب الفتح لنا وللمسلمين وعلى الخصوص جميع الإخوان، وبعد سلام يتضوع من مقدماته طيب دقائق التجريد، وينال من رمز ما حق به مرهم جرح القواطع حتى تكمل الصحة بحصول التجريد ورحمة من الله شاملة، وبركة منه سبحانه متكاملة، على إخواننا الأجلاء الفضلاء الذاكرين المجدين النبلاء القاطنين بالحضرة الإدريسية.

فأعلمكم أعلمكم الله خيراً ووقاكم شرّاً، أنه لا يخفى على ذي بصيرة نافذة، وفكرة للحق سبحانه وتعالى قاصدة، أن العاقل مِنَّا من نظر في مصالح حاله، وعول على موطن مرجعه ومآله، واحترف في هذه الدار بحرفة لا تبورها مضائق الزلازل، ولا تعطلها ضروب المحن وأنواع الغوائل، وقد رأيتم عياناً حين حمي الوطيس وشاهت الوجوه تعطيل الحرف جميعاً حتى قراءة علم الظاهر، ولم يبق قائم الوجه بلا فلْسٍ على التحقيق إلا من كان للحق سبحانه في جميع أحيانه ذاكراً، وارتفع ثمن السبحة، وود الغافل أن لو دام على ذكر

الله سبحانه جميع عمره مساءه وصبحه، وكل ذلك ليميز الله بين الذاكر والغافل، ويعلم على العموم أن من أعرض عنه لا محالة إليه راجع وآيل.

واعلموا يا إخواننا أن من خواص الغفلة عن الله أن صاحبها يزداد في المضائق دهشاً في لبّه، وأن من خواص ذكر الله تعالى أن صاحبه يزداد في الشدائد قرباً من ربّه، ومن تعرّف لله في الرخاء عرفه في الشدّة.

وتأملوا ما وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام في مضيق اندفاعه إلى النار من الغنى بالله عن جبريل عليه السلام وعن سؤال الله النجاة اكتفاء بعلم الله، واعتبروا بقول سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام في مضيق الغار إذ قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: الآية 40]. وانظروا لحاله عليه السلام في مضيق حنين إذ عظم به الشهود والحضور حتى سرى ذلك في الحصباء فسبحت في كفه، وقال الله في ذلك: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 17]، وقوله عليه الصلاة والسلام لمن اخترط عليه سيفه: «من يمنعك مني، فقال: الله» فسقط السيف من يده لشهود هيبة الربوبية.

وتدبروا أيضاً قول سيدنا موسى عليه السلام إذ دفع للقتال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: الآية 62].

وتدبروا أيضاً ما حكاه القرآن عن سيّدنا نوحٍ متعجباً من ضلال قوْمِه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: الآية 62].

وتدبروا أيضاً قول سيدنا نوح عليه السلام في مضيق قوله لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: الآية 55] إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

وانظروا لحال الغافل عن الله، فرعون، حين أدركه الغرق كيف نسي اسم الله سبحانه وتعالى مع تكرره على سمعه من سيدنا موسى عليه السلام ومن السحرة وغيرهم، ولذلك قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: الآية 90] ولم يقل: لا إلٰه إلا الله. وعظم دهشه حتى قال: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: الآية 90] مع عدم إيمانه برسالة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام. كل ذلك لما أصابه من الدّهش والحيرة. فتمسكوا يا أخواننا وأحباءنا بعروة خصّكم الله بإمساكها، واحمدوه على نعمة أنعم عليكم بها وقد عجز كثير عن

إدراكها، والزموا أورادكم وأذكاركم وانحيازكم إلى ربكم وسلموا منا على كل محب لنا ولكم، ولا تنسونا من صالح الدعاء، والسلام.

الرِّسالة الثالثة عشر

نحمدك اللَّهم حمد من عمّته نعمتك، ونشكرك شكر من شملته رحمتك، فهو في بحر الإحسان غريق، وفي دوحة النسبة إلى فضلك عريقٌ، ونشهد أنك الله الذي أظهرت الكون بأنك الباطن وأضمرته بأنك الظاهر فظهرت إذ ذاك المظهر العجيب، وبيّنت بذلك معنى القرب منك في قولك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 186]. فذو المشاهدة يراك قريباً، وذو المكالمة يسمعك مجيباً، لأن القرب منك مجرد الانتباه إليك وإلا فلست ببعيد، ومكالمتك بطيّ الجميع في المتكلم بين يديك وإلا فأنت في كلامك فريد، وطيُّ الشيء في الشيء ليس عندك من غريب الاقتدار. وكيف لا ورسولك عليه السلام يقول: «سبحانك أين الليل إذا جاء النهار، فأنت تولج الليل في النهار المضيء وتولج النهار في الليل البهيم، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، ذلك تقدير العزيز العليم».

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً دليلك القائم بين يديك، ورسولك الذي أرسلته رحمة للعالمين بنور الهداية إليك، صلى الله وسلم عليه وعلى آله لِيُوثِ الحرب وغيُوثِ النَّوَالِ، وحُماتِ الدِّين مِنَ الزَّيغ والضَّلالِ.

وبَعْد: فالمقصود الأهم من هذا الكتاب تجديد العهد بكم، ومد يد الإخاء في الله بالمذاكرة إليكم والسؤال عن المحفوظة بالله أحوالكم جعلنا الله على وفق ما يربطنا مع الإعلام لكم بما لا أظنه والحمد الله يخفى عليكم، من أن عناية العبد بالله على قدر عناية الله بالعبد، لأن من اعتناء الله بالعبد اعتناء العبد بالله، وإن صفاء باطن المريد على قدر مواجهة الحقيقة له، أو نقول على قدر إدارة، وجه قلبه لقبلة سجود القلوب التي هي نور الربوبية. والذي أخذ الله بيده لا يزال يولي وجه قلبه نحوها، وكلما تعاصى عن التولي إليها قاده بأوثق زمام وأصح خطام مخافة أن يتفلت قبل مقابلتها فيصعب انقياده، ولا يزال به منقاداً حتى يطابقها في الصفاء، فينتقل من هذه الدار وهو من أهل القبلة

الحقيقية المعتبرة عند أرباب القلوب، ولا يخفى عنكم بطريق الدراية والرواية أن أوثق ما يقاد به القلب إلى الله تعالى حتى يحصل على المطلوب هو دوام ذكر الله تعالى والتكثير منه ومذاكرة الإخوان ولو بالإرسال إن لم تمكن المجالسة؛ لأن ذلك عون على حصول المطلوب، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «من أحدث أخاً في الله أحدث الله له درجة في الجنة» لأن الأخ في الله كله رحمة، فالجلوس معه رحمة، والأكل معه رحمة، والكلام معه رحمة، والتفكر فيه بعد غيبته رحمة، ومن هذه الحيثية وحيثية الوجود كان الرسول ﷺ رحمة للعالمين، ووالله يا ولدي لو كان الأخ في الله يُباع لاشتراه العاقل من أهل الإرادة بما يملك؛ لأنك إذا تأملت خصال الخير وجدت الحق سبحانه طواها في خصلة واحدة، وهي خلوص القلب المعبر عنه بالعقل إلى الله سبحانه حيث قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان 89،88] والإخوان في الله عون على ذلك إن شاء الله. فنظرتهم بأحداق المحبة تصيِّر القلب المنظور إليه إلى الله ولو كان تلبس بمعصية الوجود كله لأنهم لا يحبون أحداً إلا إذا أحبه الله، ومن محبة الله للعبد حبهم إياه لأنهم يحبون بحب الله ويبغضون ببغضه. ولا يستبعد الإنسان أن يحبوا العاصي ويبغضوا المطيع؛ لأن من المعاصي ما يقود صاحبه إلى الجنة، ومن الطاعة ما يقود صاحبه للنار، فإذا كانت طاعة معلولة بِرِيَاءٍ أو نحوها أو مدخولة بخواطر السوء فهي في الحقيقة معصيةٌ. ونظر القلب معصية ولا ينظر الناظر بالقلب إلى حال الظاهر في الأمور كلها، إلاَّ من طريق الحكمة التي يعبر عنها بالشريعة التي قام بها العالم وكانت مرجع قوام البقاء وإلا ففي الحقيقة منها المطابق وغيره، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «الحب في الله والبغض في الله من الإيمان» فأحرى المشاهدة. وقال عليه السلام: «رب معصية أدخلت صاحبها الجنة» وقال عليه السلام: «فرب صائم لن يصومه ورب قائم لن يقومه»، كل ذلك يشهد لما قلناه. وإنما أطلنا الكلام معكم في هذا الشأن لأنا نوقن بالخير فيكم وما كتبنا والحمد لله حرفاً من هذه البطاقة المرسلة في هذا الأمر إلا من حيث الإذن والفيض، وعدم التأمل في المكتوب، فنؤكد عليك يا ولدي في الجد والاجتهاد، فكن على آثار السلف كما هي لائحة عليك والحمد والسلام.

الرِّسالة الرابعة عشر

نحمدك يا من لا يضل ولا ينسى، ونعوذ بك من همزات الشياطين جناً وإنساً، ونشهد أنك الله الذي توضح الحق عياناً، وتقيم على المدعين للصدق معك من أحوالهم حجةً وبرهاناً. ونصلي ونسلِّم على سيِّدنا محمد أصدق الخليقة بهجة، وأصفاهم إليك طريقة وأقْوَمَهم محجة، وعلى آله الأكرمين، وأصحابه ومن تلاهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاَّ هو، وأسأله لي ولكم ولجميع المسلمين التوفيق لمقام التحقيق، مع سلوك أنفع طريق، وأعلمكم يا إخواننا، أن مدار السالكين والواصلين، أو نقول الطالبين والمحصلين، على قول مولانا جلَّ ثناؤه، وتقدَّست صفاته وأسماؤه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾ [الذاريات: الآيتان 50،51]، لأن الفار إلى الله تعالى يلزمه أن يفرّ من ماله وولده وزوجته وعزّه وذلّه وفقره وغناه وقدرته وضعفه وجميع ما شم عليه رائحة العدوى بالقلب أياً ما كان، حتى يكون قلبه مزْلقة الأكوان، كلما وقع عليه شيء من الكون زلق وسقط، فالسائر لا بلد له ولا ولد له ولا زوجة له ولا مال له ولا عمل له، ولا صاحب له ولا أنيس له وهذا هو المتوجه إلى الله بصدق العناية وهمه مجموع على الله وحده، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية 1]، خارجاً عن أمواله وأعماله ونفسه وجميع الأكوان والوسائط ويكون انقطاعه إلى ربّه، ولا أعني بما ذكر فرار الجسم بل فرار القلب إلا إذا لم يكن فرار القلب إلا بفرار الجسم، فيفعله السالك ومثله الواصل إذا خشي شيئاً من ذلك على قلبه ولذلك دعا أبو يزيد على ولده فمات من حينه خشية على قلبه.

والحاصل، كلما خاف على قلبه شيئاً تجرّد منه ولا نقيد حاله بشيء، ولذلك قال ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب». والغريب حاله ما تقدم. وقال عليه الصلاة والسلام: «من فرّ بدينه شبراً من أرض وجبت له الجنة» والسلام.

الرِّسالة الخامسة عَشَرَ

نحمدك يا من أكثر الإحسان حتى أخرس ألسن الخلق عن أداء حمده إلا

من طريق الإجمال، ونشكرك يا من هو حي كريم يعطي بالسؤال وبغير سؤال، وللمطيع وغيره، وبالسبب وسواه، فتحقق له وصف الكرم القديم الذي لازمه الإحسان على كل حال، ونشهد أنك الله الذي أبرزت آثار صفاتك في خلقك، ونبّهت من لا يعلم ذلك شهوداً بقولك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصلت: الآية 53]، كل ذلك من إحسانك ورفقك، ونصلّي ونسلّم على سيدنا محمد بحر السماحة الدافق، ومنبع الأسرار الذي من نوره المنبث من نورك ارتقت الحقائق، وعلى آله وعترته وأصحابه وأهل دينه وملّته، وبعد:

فأعلمكم، أعلمكم الله خيراً، أن أحسن العبيد عند الله تعالى وأقربهم منه هو الذي يختار من هذه الدار ما اختاره الله له منها ويطلب منه تعالى ما طلبه الحق تعالى منه فيها، ولا شك أنه تعالى إنما اختار للعالمين جميعاً أن يكونوا عبيداً له وحده، وإنما طلب منهم قاطبة أن يتحلّوا بأوصاف العبودية ليظهر بها كمال الربوبية. ووصف العبودية الذي اختاره الله لخلقه هو إتمام شرائع الدين واتباع سنّة سيد المرسلين بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إلى أن يأتيهم اليقين، أي الموت، وهذه عبودية عامة الناس من خلقه، فمن عاش منهم مشتغلاً بها، عاش في اختيار الله له لا في اختياره لنفسه. ومن طلب منهم التوفيق لذلك والإعانة منَ الله عليه، إنما طلب من الله ما طلبه الله منه، فدعاؤه عبادة لأنه لا يطلب إلاّ حظ الله منه ولا يطلب لنفسه حظاً، وأما عبودية الخاصة فهي اتباع السنّة في الأقوال والأفعال والأحوال والغيبة عن شهود ذلك بعين القلب لشهود الكبير المتعال، ولا يغيب عن شهود ذلك مع حصول جعله له إلاّ بالمداومة على كلمة التوحيد أولاً، وهي: لا إلٰه إلاّ الله، والمداومة على كلمة التفريد ثانياً وهي: الله، وإذا كان الإنسان يقوم بأدب الشرع ظاهراً ويشاهده من الله باطناً فقد تمت والله نشأته، وعظمت عند الله مرتبته ومنزلته، والإنسان من حيث هو ناقص أو كامل، نشأتان، نشأة دنيوية، ونشأة أخروية.

فالنشأة الدنيوية، هي أن يفعل الأفعال ويراها من نفسه، وهي نشأة ظلمانية بعد النور. قال مولانا فيها: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: الآية 14]،

وقال فيها: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التّين: الآية 5] على طريق الإشارة.

وأما النشأة الأخروية، فهي أن يفعل الأفعال ويراها من ربّه لا بنفسه ولو على طريق السببية، وهذه هي النشأة الزَّاكية. العالمة بالأشياء على حقيقتها، وهي التي قال مولانا فيها: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [العَنكبوت: الآية 20] وهي النشأة التامة المستمدة من عين البقاء، فمن هذه الطائفة أحبكم أَحَبَّكُمُ الله أن تكونوا وعليها شدوا أيديكم بالقيام بأدَبِ الشرع ودوام الذكر حتى تلحقوها إن شاء الله تعالى، والسلام.

الرِّسالة السادسة عشر

الحمد لله الباري، الذي لا محيد عن حكمه الجاري، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد أفضل الورى، وأجلّ من سار لحضرة ربّه وسرى، وعلى آله الكرام السجايا، وأصحابه ليوث الحروب وغيوث العطايا، وبعد:

فإياك يا ولدي، أن يراك الله فرحاً إلاَّ به، وهذا الكلام إنما قلته لك تأكيداً لأني أعلمك نبيهاً فاطناً حاذقاً، لأن من شدة ذكائك أنك لما عرفت الحق طرت إليه بكلك حتى نفعك الله به، وهكذا أحوال الأذكياء إذا عرفوا الحق طاروا إليه ولم يلتفتوا لقول قائل ولا نكول ناكل حتى حصلوا على مقام الفرح بالله لا بغيره، وتأمل قول الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ [الأنعام: الآية 44]، وتأمل قول أبي الحسن: «تعلم فرحنا لماذا أو بماذا وعلى ماذا، وتعلم حزننا كذلك».

كل ذلك إشارة إلى أنه لا يفرح إلا بالله ولا يحزن إلاَّ بالحَجْبِ عنه، وهكذا حال العبد الصادق مع سيده، لا يفرح إلاَّ به، وإن وردت عليه نعمة من قبله فلا يفرح بها من جهة المتعة بها بل يفرح بسيده معرضاً عن الفرح بها، أو يفرح بها من جهة عناية سيده به حتى جعل يورد عليه النعم ويرفع عنه النقم، وهذه المقامات لا يورثها إلا دوام الذكر وإن اشتغلت عنه بمزاحمة الأوقات لما أقامك الله فيه، فاحفر بفأس الإحسان في قلوب الإخوان يخرج لك ينبوع من الخير يغنيك الله به، لأن الأخ في الله يدل على الله حالاً وهمّة ومقالاً، ولذلك غَلَتْ قيمته وارتفع ثمنه، وغيره يدل على الغفلة عن الله حالاً وهمّة

ومقالاً وذلك سبب الهلك والعياذ بالله، ولذلك وقع النهي عن صحبته.

وهذا الأمر لا تستغني عنه المشايخ فضلاً عن غيرهم، ومقام التغلغل في المحسوسات صعب يفتقر للإعانة، أعاننا الله وإياكم بإشراق أنواره حتى لا نحب غيره، بجاه النبي والآل، والسلام.

الرِّسالة السابعة عشر

نحمدك اللهم على أن وسعت كل شيء رحمة وعلماً، ونشكرك على أن جعلت مصدر الجميل منك عند ظن العبيد لذلك فيك، فكيف بمن يعتقده في ذي الكرم القديم جزماً، وإنما جاء العذاب من قبلك والنكال من جهة ظن وجود القهر القديم مفعولاً بحوادث الأفعال، فكان الظان لذلك معذّباً بالظن الواقع من قبله، ولذلك قال نبيّك عليه الصلاة والسلام في تحقيق موجب دخول الجنة الذي هو الكرم القديم: «لن يدخل الجنة أحد بعمله»، ثم بينت ما أضمرت من مظاهر الأنوار، وكنوز الأسرار، ما طرزت به محاسن الذات من آثار الصفات، إذ سويت في خصلة الخير بين حسن الظن بك وبين حسن الظن بعبيدك، وأشرت بذلك إلى انفرادك إشارة ظاهرة لمن حصل من جبل توحيدك على قنَّة التفريد، ومن دائرة وجودك على مركز التقريب.

ونشهد أنك الله الذي خلقت أقواماً برحمانيتك العامة لترحمهم بمثل ما رحموا، وأنزلتهم في منازل رأفتك أثر لتجزيهم بمثل أوصافهم كما حققوا ذلك بالسر الصادق وعلموا، فهم أبداً بين إصبعين من أصابع الرحمٰن يَرْحَمون ويُرْحَمون وينصرون جنابك العلي في كافة الأحوال، فهم كذلك في كافة الأحوال ينصرون كل ذلك بسابق عنايتك وسابغ رعايتك، وإلاَّ فكيف ينال الإنسان ذلك بنفسه بتخمينه وحدسه.

ونصلِّي ونسلِّم على سيدنا محمد، الذي بيَّن للناس مسالك الوصول إليك، وكيفية الحصول على مقامات التعويل بالخصوص عليك، وعلى آله أنجم سمائه وأصحابه هُداة أنواره وأضوائه.

وبعد سلام ينفح شذاه بطيب التفريد، ورحمة وبركات من الكريم ذي العرش المجيد، على مقامٍ أعزَّ الله به شِيعتَهُ وحِزْبه. وأزَالَ به عن كلِّ ذَاكِرِ الله

همَّهُ وكرْبَهُ، وأقامَ به أسواقَ التّجارة الرابِحة، وأهلهُ بالكرم المحْضِ لصُدورِ كُلِّ خصْلَةٍ صالحةٍ، وذلك مقام عوَض الولدِ الشفِيقِ، والصّديق بالتحقيق، العالم العامِل بالأبْدانِ، والجامع بين بلاغةِ اللسان والقلم والساحر بالسحر الحلال من منطقهِ وبيانِهِ، والبالغ النهاية في جَوْدِة إدْرَاك قلبه وجنانِهِ. واللابس من حلل الهداية والتوفيق. ما صيَّره جامِعاً بين تشريع وتحقيق. فموجبه تجديد العهد بكم ومزيد المذاكرة لكم في تحقيق هذا الفن الغريب في هذا الزمان لولا أمثالكم. زادكم الله على فعل الخيرات حرصاً، وجعلكم في عين مسائل القرب منه سبحانه، والإقبال عليه جميعاً نصاً والإعلام لكم بأنَّا على ما تحققونه من المحبة الصافية، والخلّة الوافية، لا تبديل إن شاء الله ولا تغيير إلى لقاء العليم الخبير.

ولقد لاح علينا من حسن أحوالكم ما اشتمل من العناية الربانية، والتنزلات الصمدانية على ما يزعج القلوب، إلى حضرة علاَّم الغيوب، إذ ظهرت فيها سطوة العبودية بعزَّة الربوبية، ونفحت ممن امتلأ بسر الله المصون، إذ قال عند تمكنه في حضرة من لا يغلب: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هُود: الآية 55] فمن كان لباطنه أجلب، كان إلى الله أقرب. فوالله لقد كنا نؤمن بحصول ذلك فيكم قبل وروده إيقاناً، وما زادنا إيراد حروفه بذلك ولكن زادنا طراز حروفه المنبيء عما كنا نعتقده بذلك إيماناً، لأن تلقيات الضمائر لا بد يصدقها إن كانت حقيقة شهود الظواهر، وإني إن شاء الله عليم بالوقت الذي اتسعت فيه خصوصيتكم حتى أكلت الشواغل على كثرتها وصارت إلى التعزز بمن له العزّة جميعاً، لأن الإحسان يقود القلوب بالخاصية، ولذلك مال إلى رحمة الله عن آخره مع انفراده من غير اكتراث بالوجود، وصارت همتكم شعبة من عصا موسى تلقف من سَحَرَة الأكوان ما يأفكون، ومن ثم نسجتم في كتابكم هذا نسجاً لم تنسجوا عليه من قبل ذلك، وما ذاك إلاَّ من آثار سعة الإحسان لأن قلوب القوم إذا انقادت إلى أحد ظهر فيه العجب العجاب، ولكن هي لا تنقاد بسهولة ولذلك كثرت خدمة الصديقين لهم حتى اقتادوها لهم بالنفس والمال ولم يملكوا معهم من أمرهم شيئاً.

وبيان ذلك أن الرجل إذا كان قلبه في حضرة الله كيف ينقاد إلى أحد بيسير الخدمة أو بيسير الإحسان، ولذلك قلت لهم ما قلت قبل، وتأمل أمر أبي بكر رضي الله عنه فإنه لما جاء بماله جميعاً قال له النبي ﷺ: «لا يضرك ما تفعل بعد اليوم» فأباح له التصرف في الوجود جميعاً، وقال: «ما فاتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشيء وقر في صدره» وهي شدة محبة الرسول له من أجل شدة إحسانه له، وقد خاض أهل الظاهر في هذا الشيء الذي وقر في صدره رضي الله عنه خوضاً كثيراً ولم يحصلوا على طائل في ذلك منه، ولو جرّبوا محبة الشيخ لتلميذه ووجدوا لها أثراً عظيماً في القلوب لما خاضوا ذلك الخوض، ومن شدة إحسانه للرسول عليه السلام اختفى في الغار كاختفائه.

ومن أجل ما علم رسول الله ﷺ مما وقر في صدره قال في وصيته: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب وانفذوا جيش أسامة رضي الله عنه، وأجيزوا الوفود بمثل ما كنت أجيزهم به» ولم يوص بالخلافة مع أنها أهم من هذه الأمور، وما ذلك إلاّ لأنه عليه السلام علم أن جذبه إليه يحمل الناس على طاعته من غير إيصاء به، وذلك لما قال يوم السقيفة وهو آخذ بيد عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهما: «إني رضيت لكم أحد هذين الرجلين»، حملهما سريان حاله على مبايعته من غير مشورة من سواهما وتبعهما الناس على ذلك، وكانت خلافته إجماعاً.

وتأمّل سكونه يوم موته عليه السلام، وجزع من سواه، وانظر ما نطق به من الآيات التي دلت على سكونه لله وحده، وانظر ما حلى به تلاوته حتى كأن الناس لما سمعوها منه لم يسمعوا تلك الآية مع أن القرآن إنما يؤخذ بالتواتر، وانظر إلى عمر رضي الله عنه، لو علم أبو بكر أن حاله كحاله يقوم به في ثبوت الخلافة له ما احتاج إلى إيصاء له كما لم يحتج هو إلى إيصاء منه عليه السلام.

ومن قوة أبي بكر رضي الله عنه، رجوع عمر رضي الله عنه إلى رأيه في قتال مانعي الزكاة، وإنما رجح أبو بكر عمر عند موته دون أبي عبيدة مع أنه قال يوم السقيفة: إني رضيت لكم أحد هذين الرجلين. لأن عمر كان قرشياً ولأنه كان يوم السقيفة أخذه بيمينه.

وانظر إلى قول عمر أيضاً، فإنه قال: لو كان أبو عبيدة حيّاً لأوصيت له لانفراده بالحال وإن لم يكن قرشياً.

ولما مات جعل الأمر شورى بين الستة لتساويهم في محبة الرسول عليه السلام لهم. ولذلك قال: «هؤلاء الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ».

وإنما رجح عثمان رضي الله عنه حاله، فالتلامذة لا تختلف رتبتهم لكثرة الصلاة والصيام وما أشبه ذلك، وإنما تختلف رتبتهم بمحبة شيخهم لهم، والسلام.

الرسالة الثامنة عشر

نحمدك اللهم على أن حمدت نفسك بنفسك في الأزل، وأزلت بذلك نغيصة قلوب قوم علمتهم يحبون أن يثنوا عليك ولكنهم عجزوا عما يستحقه مقامك الأجل، لأنك لو لم تفعل ذلك لذابوا حساً من كتمان محبتك، ومصادمة أنوار عظمتك، ولكن لما وصفت نفسك في أزلك بأحسن الصفات، ووسمت ذاتك الشريفة بأفضل الأسماء والسمات، جعلت لهم ظلاً يستريحُون في هواجر من حر المحبة إليه، ويأوون إذا انتعلَتْ قلوبهم للعكوف عليه، ولوّنت ذلك على قدر شهود المشاهد، وبلوغ مجاهدة المجاهد، فمنهم من يناديك بالغفار، ومنهم من يخاطبك بالقهار، إلى غير ذلك على حد ما أحكمه وعدك المحقق بقولك: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق: الآية 19]. وأرقيت بفضلك طائفة عن شهود آثار الصفات، إلى ذروة محاسن الذات، فلم تجعل لهم إلى غير الاسم الخاص بذاتك سبيلاً فكانوا خيراً مستقراً وأحسن مقيلا، كل ذلك بسابق عنايتك، وسابغ رعايتك، ونشهد أنك الله الذي تعيد وتبدي، وتضلّ وتهدي، وبيدك مقاليد الأمور، ومن لم تكن له نوراً فما له من نور، ونصلي ونسلِّم على سيدنا محمد أفضل دال على الله، وأجل واسطة بين العبد ومولاه، وعلى آله الأجلة، وأصحابه حماة الملّة.

وبعد سلام تهب نواسمه بروائح التفريد، وتضحك مباسمه عن نور ذي العرش المجيد، ورحمة الله تذهب الخواطر، وبركات يزيل الاكتحال بها غبش الحس عن خواطر البصائر، فقد ورد علينا كتابكم، وحمدنا الله على عافيتكم،

التي هي المهم الأكبر، وشكرناه على جدكم في ذكره وبقائكم على العهد، وحقيق على ذلك أن يحمد ويشكر، هذا ولا يخفى عليكم أن القدرة لم تزل عادتها أن تخرج الضد من الضد والحقيقة من نفس الحقيقة، فتخرج العز من الذل وبالعكس، وتخرج الغنى من الفقر وبالعكس، وتخرج المرض من الصحة وبالعكس، وتخرج الإمارة من الرعاية وبالعكس، والناس العقلاء الذين هم الناس هم بالضد الأسفل أفرح من الضد الأعلى لأن الأسفل يخرج منه الأعلى، والأعلى يخرج منه الأسفل، وانتظار الأعلى خير من تخوُّف الأسفل، على أنه والله ما كان من الناس ولا يكون من الناس إلاَّ من غيّبه الله عن الأضداد في مقام لا ضد فيه أصلاً، وأراحه من سكنى بر تلاطم الأمواج بسكنى بحر الوحدة فهو في ظل عرش الرحمٰن أبداً لأنه من المعلوم الذي لا شبهة فيه أن النفس لا تقيم في مقام واحد أبداً، إلاَّ إذا جردت من الشهوات والأعراض ولا يمكن لها ذلك إلاَّ بالكشف الذي يخرج الإنسان من عالم العقل النفساني إلى عالم النور الرباني، فتنسيه الحيرة فيه جميع العوالم، فيطمئن حينئذ في عالم الرِّضَى ويحمدهُ سبحانه على أن جنبه مقام السخط، لأن الحجاب عين السخط الأكبر والعياذ بالله.

وانظر إلى قول الله في الجنة لأهلها: «اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»، بماذا وقع الرضوان، وانظر بيعة الرضوان. وتأمل في أهلها ما أشهدهم الحق سبحانه فيها حتى حملهم ذلك على البيعة على الموت لولا اصطلام الجذب بمشاهدة نور العظمة لأنهم لو أبقاهم الحق في عالم النفس ما أمكنهم البيعة على ذلك لأن الموت أمر مقامات النفوس لأنه يحول بينها وبين الشهوات جميعاً بخلاف غيره، فإنه وإن كان مرًّاً غاية فإنما يحول بينها وبين البعض دون البعض، ولا أقل أن يخف الأمر عليها بالحياة التي هي سبب الأمل إن عظمت عليها الدواهي، هذا ولم يزل من تقدمنا يختبر أصحابه بمحله في الظاهر عن محله في الباطن، ولم يزل من تقدم منا يختبر مقام أصحابه في الباطن في مقامه في الظاهر، على أن الذهب إنما يمكن حسن التَّصفية فيه بتذويبه في النار، والسلام.

الرِّسالة التَّاسعة عشر

نحمدك يا من أكثر الإحسان حتى أخرس ألسن الخلق على حمده إلاَّ من طريق الإجمال، ونشكرك يا من هو حي كريم يمنح الجزيل بالسؤال وبغير سؤال، فتحقق له وصف الكرم القديم الذي لازمه الإحسان على كل حال، ونشهد أنك الله الذي أبرزت آثار صفاتك في خلقك، ونبهت من لا يعلم ذلك شهوداً بقولك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: الآية 53] كل ذلك من إحسانك ورفقك.

ونصلِّي ونسلِّم على سيدنا محمد أطول الأنام يداً، وعلى آله وأصحابه ومن له في أي وصف من أوصافه أتم الاقتداء. وبعد سلام أطيب من عامة الطيب وأبهى من النظر في طراز كتابة المحب للحبيب، ورحمة من الحق سبحانه هامية، وبركات عن تمام الخير ودوام العافية، على مقام أعزّه الله وأزال برائحة بلاغته زكام العقول، وملكه بجودة إدراكه أزمة المعقول والمنقول، وأعزّه بعزّه القديم، وكان له في جميع أحيانه المؤانس والنديم، وجعله إكليل الرؤوس حتى نادى عليه صريح العناية السابقة بصريح العبارة، لا طيب بعد عروس، كل ذلك فضل مبذول، وكرم غير معروض ولا معزول.

واعلم أن دوام الذكر لشيءٍ لا بد يقتضي حصر العقل في ذلك المذكور أياً ما كان، فإذا دام المريد الصادق على ذكر الله حقاً، وغاب الذَّاكر في المذكور محبة وشوقاً، ورفعت عنه الأستار، واطلع على ما قدر له من المحاسن والأسرار، حرم عليه أن يذيع ما لا يمكن أن يأتي بحقيقته التعبير، لأنه كان حين الشهود بحيث ذهبت الإشارة والمشير ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآيتان 35،36]، ويشيرون لمقام أسرار القدرة في الأكوان ودقة ذلك الارتباط، لقول القائل:

رَق الـــزجـــاجُ ورقَّـــتِ الـــخـــمْـــرُ. الـــخ.

ويحتمل الإشارة أيضاً لمقام الفناء، فإذا رجع إلى نفسه وخرج لدائرة حسّه، فكيف يمكنه التعبير عن شيء كان عقله عن إدراكه غائباً، أم كيف تمكنه الإشارة إلى ما طرحت الإشارة دونه جانباً، كلا، وهل التعبير عن ذلك، والله

أعلم، إلاَّ كذب مبين، وهو محرم بالكتاب والسنّة وإجماع المسلمين.

نعم، إذا حصل سكر الشهود وسَكَن وانطوى العلم في الوجود، وانمحى الأثر، وتَكَلَّمَ بالسر خالي القوى والقدر، ووقع التخفيف وسقط التكليف وجاز رقص الجوارح فرحاً باللِّقاءِ، وغيبه الفناء في البقاء، ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٦٦﴾ [الأنفال: الآية 66].

وإلى هذا والله أعلمُ يشير الشيخ سيدي أبو مدين بقوله: فقد رفع التكليف في سكرنا عنا. أي تكليف حرمة الرقص وإذاعة الأسرار في حال الاصطلام وحصول الإسكار.

وأما المشرف على أي مقام في هذه الطريقة فلم يعلم لذلك المقام حقيقة لأن المشرف على المقام لم يصل إليه، وإنما لاحت أنوار أوائله عليه، فإذا لا سبيل لمعرفة مقام الفناء إلاَّ بالفناء. على أن المراد من العبد هو إثبات النسبة لا غير، والله تعالى أعلم، والسلام.

الرِّسالة العشرون

نحمدك اللهم على أن حمدت نفسك بحمدك القديم، ونشكرك على أن بسطت بذلك أقواماً يحبون المبالغة في الثناء عليك ولكنهم عجزوا عما يستحق من ذلك قدرك العظيم. ونشهد أنك الله الذي أبديت من بدائع الصنعة في مظاهرك العجب العجاب، حتى أبطلت ادِّعاء الشركة معك في هذه المملكة الشَّريفة بعجز الشركاء على زعمهم الألوهية فيهم، فعجزتهم عن خلق الذباب، ولما دقّت حكمتك وجلّت قدرتك إذ تلطفت في البطون حتى رقّ معناك وتلطفت في الظهور حتى قيل إنك سواك، قسمت الخلق قسمين، وجعلتهم جميعاً فرقتين، فطائفة العدل مجبولة بسطوة عزك القاهرة، وطائفة الفضل بنور وجهك لوجهك ناظرة، أنسيتهم بدوام ذكرك أنفسهم وأحوالهم[1]، وأقمت بنور الحق أعمالهم بك وأقوالهم، فاستصغروا لشهود عظمتك العظائم، وسقط الغُلُّ

(1) في نسخة عتيقة: أنفسهم وأحوالهم.

من أعينهم إذ كانت لهم حضرتك أعظم الغنائم.

ونصلّي ونسلّم على سيدنا ومولانا محمد عين التكوين الذي نفذت منه البصائر إليك، ونورك الساطع المسدول بين يديك، الذي به وقع التعويل عليك، وعلى آله ينابيع مائه، وأصحابه مصابيح صفائه، وبعد:

فإذا تحقق المؤمن بمعنى قول الحق سبحانه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبَة: الآية 111] وقد وقع التعبير فيه بالماضي، وجب عليه تسليم المبيع لمشتريه بحيث لا يراه المشتري متصرفاً فيه بغير ما لا يبيحه المشتري، فلا يوقف العبد نفسه موقفاً نهاه مشتريها عن أن يوقفها فيه، وإن أقامه للتصرف فيها فلا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه، ويسقط عنه تدبير أمرها لأن تدبير المبيع على مشتريه وإن تصرف فيها المشتري بما لا يوافق غَرَضَ البائع فلا يغضب لأن شأن البائع أن لا يغضب إذا تصرف المشتري في مشتراه، بل يسلم إليه الأمر فيه، ولذلك قال مولانا: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ [لقمَان: الآية 22].

والكفار، وإن اجتنبوا السيئة، لم يسلموا أنفسهم لأنهم غير محسنين، والتسليم للمشيئة إنما ينفع مع الإحسان، ولا إحسان مع التكذيب والجحد، ولذلك كانت حقيقتهم كفراً وحقيقة المؤمنين إيماناً، ونحو ما ذكر في النفس يقال في المال. ونسأل ربنا أن يمنَّ علينا بعدم قطع المدد وأن لا يفعل بنا ما يوجبه بمنِّه وكرمه.

ومن شرط المبيع أن يغيب عنه وأن لا يراه وأن لا يسلمه للمشتري إلاَّ خالصاً من العيوب لئلا يرجع عليه في الثمن. هذا وقد نهى عن البيع عند التوجه إلى الله تعالى إذ قال: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجُمعَة: الآية 9]. وطلب منا القرض إذ قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البَقَرَة: الآية 245]. والبيع تجارة، وقد قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ [الجُمعَة: الآية 11] والله خير الرازقين، والسلام.

الرِّسالة الواحدة والعشرون

الحمد لله، إلى كافة إخواننا في الله، سلام عليكم ورحمة الله تعالى

وبركاته وبعد، فأوصيكم وإياي بتقوى ربّ العالمين، وحسن القيام بوظائف الدين، فإن الحق سبحانه غيور أن يجعل الإيمان به في قلب من ليس به بطهور، وتوجهوا إلى الله تعالى بصدق العناية، ودوام الأدب معه بالحفظ والرعاية، وهاجروا بالقلوب إلى حضرة علاّم الغيوب، يتجلى لكم الحق سبحانه بشوارق الأنوار، ولطائف الأسرار، حتى تخلص عبوديتكم إليه وحده، أو يكشف لكم عن أسرار الكون كشفاً ينفذ به نظر البصيرة إلى مكونه، أو نقول: يكشف لكم عن أسرار الذات المقدسة كشفاً تغيبون به عن شهود غيره فتكون حركاتكم وسكناتكم بالله ومن الله وإلى الله، فتدخلون حينئذ في جملة المخاطبين بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115].

وعليكم بدوام الذكر وعلى الخصوص الاسم المُفرد، فإن له سطوة عظيمة في معرفة الله والوصول إليه، وابْدَءُوا الذِّكْرِ بترتيل، وليكن ذلك مع حُضور القلب. ولا تُسْرِعُوا بالذكر اللساني حتى يرد الإسْرَاع مِنْ ناحية القَلْب. وذلك عند توغّله في الحضور إياكم والاعتراض على من هو أوسع منكم نظراً فإن ذلك هو الخسران. وأما ما جعلتم من أخذ شيء ممن لم يحضر في الوقت المعلوم للذكر، فاعلموا أن عبد الله بن وهب، شيخ من مشايخ البخاري، ومن أجلِّ أصحاب مالك رضي الله عن الكل قال ـ أعني عبد الله بن وهب ـ: تعاصت عليّ نفسي في أمر، وكلما تبت منه رجعت، فما انقلعت عن ذلك حتى جعلت كلما فعلت ذلك، تصدّقت بدرهم فانقلعَتْ نفسي عن ذلك.

وطريق القوم مبنية على مقاصد الشارع الظاهرة وسننه الباطنة، واجعلوا نصب أعين قلوبكم الجمع على الله والتعلق به في كافة الأحوال، وهو مقام إبراهيم ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 97] والله تعالى يأخذ بيدنا ويدكم ويد المسلمين أجمعين، والسلام.

الرسالة الثانية والعشرون

الحمدُ لله وحده، اعْلَمُوا أن الكلفة في الطريق هي عبادتها الكبرى، ولا يزال المرء يتكلف حتى تسقط عنه الكلفة بإيلافها، ووقوع الأنس بها حتى أنه إن فقدها ربما حنَّ للقائها لما يجد فيها من برد الراحة وعمارة الباطن والانحياز

لعالم الأصل، وإياكم، يا إخواننا، وكلفة ضعفاء الإخوان، ولا تحسبوا الضعفاء ضعفاء المال أنتم خبيرون بأنهم هم الذين ضعف سير عقولهم لمرضها بالميل إلى طبع النفوس، فلا تمسهم في نفس ولا فلس لئلا يهنوا أكثر مما هم فيه، والطريق لا يصلح لمباشرة الإخوان فيها إلا كيس فطن. والله تعالى يتولانا وإياكم وجميع الإخوان بسابق العناية بجاه النبي والآل والسلام.

الرِّسالة الثالثة والعشرون

الحمد لله، اعلموا أن جسم الإنسان خلقه الحق سبحانه من أعلى شهوات الإنسان لصدوره عن مني خارج عن لذة الجماع، وذلك أعلى ملاذه، ثم ركّب فيه روحاً طاهرة من جميع الشهوات ليقع بسببها إدراكه لملاذه وشهواته، وإلا فهو بدون روح من جملة الجمادات، ثم إذا خرج من بطن أمه خرَج وعليه سيمَة المجذوبين الذين لا يأخذون من الدنيا إلا ما تقوم به البنية ويقنعه الشيء اليسير منها، وذلك كله لقوّة نور الروح وضعف الجسم، ثم لا يزال الجسم يقوى حتى يصير إلى درجة أصله بحيث يصلح لأن يخرج منه المني الذي تكوَّن هو منه وحينئذ تتسع دائرة شهواته من كل ملائم له من ملاذه الترابية، ولكن لا يتلذذ هو بشيء على سبيل الكمال إلا إذا ارتسم خيال الواقع منه في العقل. وما لم يقع خيال ذلك في العقل فلا تتم لذته به لأنه جاره المركب فيه.

وكان تركيب الروح في الجسم امتحاناً من الحق سبحانه لها واختباراً، هل تفارق عالمها بما يصل إليها من تلك الخيالات، أم لا.

ثم إن الحق سبحانه جعل الناس ثلاث فرق: عامة وخاصة وخاصة الخاصة.

فأما العامة: فقنع منهم بإزالة خيالات المعاصي الضارة عن مرآة أرواحهم، وهؤلاء اشتدت حراستهم لظواهرهم مخافة الوقوع في المنهي عنه ظاهراً، ولهم جنة تخصهم.

وأما الخاصة: فما قنع منهم إلاَّ بإزالة خيالات المعاصي الظاهرة وأسبابها الباطنة عن مرآة أرواحهم، فالظاهرة كالزنا وشرب الخمر وما أشبه

ذلك. والباطنة كالحقد والحسد والغضب والحمية المؤدية إلى المعاصي الظاهرة.

فالعامة تحرس الروح من خيالات المعاصي الظاهرة، والخاصة تحرسها من خيالات المعاصي الظاهرة والباطنة. ومن هنا ثبتت لهم الخصوصية لأنهم يحرسون أرواحهم من خيالات المعصية الظاهرة وأسبابها، ولذلك قال أبو الحسن: ونعوذ بك من المعصية وأسبابها.

وأما خاصة الخاصة: فما قنع منهم الحق سبحانه إلاَّ بإزالة وهم السِّوى الذي أثبته في ظاهر المصنوعات، فهم يحرسون أسرارهم من خيال أرواحهم ومن خيالات مصادر الجسم السارية إليها سواء في ذلك الطاعة والمعصية وغيرهما، ومن تخيُّل الخيال ومن الحراسة ومن كل شيء سواه.

ولا يمكن تحصيل شيء من أحوال الفرق الثلاث إلاَّ بعلم كيفية الوصول إليه.

فالطائفة الأولى اعتمدت أهل الشرائع الظاهرة، العالمين بالحلال والحرام، ليمكنهم التحرز عما أرادُوا والاحتراز منه يجعل أهل الصدق منهم أنفسهم تحت أمرهم ونهيهم.

وأما الطائفة الثانية، فقد احتاجت إلى معلم فوق ذلك يكون عالماً بالحلال والحرام وبكيفية دواء الباطن من العلل المذكورة فاعتمدت أهل التصوف الظاهر وجعل أهل الصدق منهم أنفسهم تحت أمرهم ونهيهم.

وأما الطائفة الثالثة، فقد احتاجت إلى معلم فوق ذلك يكون عالماً بالحلال والحرام وبعلل القلوب وعلاجها، ومع ذلك يكون له حال يمكنه به نزع السِّوى من القلوب لأن مطلبهم فوق ما ذكر، وجعله على الظاهر فقط من حيث القيام بوظائف العبودية، وهذا هو كمال العارف بالله الذي يصلح للإمامة والاقتداء به لهذه الطائفة الناجية من أهوال يوم القيامة ومن كل حزن، جعلنا الله وإياكم منهم.

وأما من يضَع السِّوى في الباطن وفي الظاهر جميعاً، وهم علماء الظاهر فقط، أو يخرج السِّوى من القلب والظاهر جميعاً، وهم أهل الجذب الخالي

عن السُّلوك، فلا يصلح أحد منهم للاقتداء به لعدم كمال الأول بالجذب، وعدم كمال الثاني بالسلوك. لأن المطلوب موافقة الحقيقة فيما ظهرت به وبطنت به، وهو لا يمكن صدوره إلا ممن له ظاهر بباطن وباطن بظاهر. والزهاد والعباد وإن أمكنهم نزع السِّوى بطريق التخليص لم يمكنهم ذلك بطريق التخصيص، لأن إزالة السِّوى من حيث أنوار التوجه إلى الله تعالى بضروب العبادَات وأنواع التقشفات، وإن كان نادراً، لا يدوم أمره لانقلاع الجذب الحاصل منه بانقلاع أصله إذا وقع التقصير فيه، فضلاً عن تركه جملة، وهذه هي الولاية الصغرى لأنها بما من العبد لله فالعبد تولى الله فهو لله ولي.

وأما إزالة ذلك بالحال الموهوب من الله سبحانه، فهي الولاية الكبرى التي من الله للعبد، وليس لها سبب تزول بزواله لأنها بالأمر القديم لا بالأمر الحادث الذي هو أنوار التوجه، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن: «وأغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك». وقد قال مولانا عبد السلام: «واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك». وهي ولاية من الله تعالى للعبد.

ثم هذا الحال تراه يكون في صاحبه قوياً يسري من صاحبه إلى من قدر له الله منه نصيباً بواسطة المحبة له بأدنى ملاقاة ووقوع ألفة، وإن كان هذا الذي يلقى صاحب هذا الحال أقوى ملكاً أو آكل حرام أو قاطع طريق أو شارب خمر فيطهره الله مما يقع في باطنه من ظلمة ذلك بوقوع محبة صاحب هذا الحال عليه من غير كلفة إلا أنه وإن كان يعلم أن الله سبحانه بِسِّرِ الخصوصية المودعة فيه، مكّنه من ذلك بفضله وكرمه فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إبقاء لقانون الشرع، بحاله[1] الذي هو لحكمة أراد الله قيامها، وإن كان هذا الحال في صاحبه ضعيفاً فلا يمكنه أن ينقِّي البواطن من الأقذار العظيمة وإنما يمكنه تنقية الأقذار الخفيفة، فلا يمكنه تخليص أهل الغفلة العظيمة من العصاة وأرباب الشواغل الكثيرة والملوك والأمراء والتجار وأرباب الحرف، ومن له توغل في الأسباب مع بقائه في أسبابه، كل ذلك من ضعف حاله وقلّة أضواء

(1) في النسخة العتيقة: بِحاله الذي. بدل من: فحاله الذي. المصحح العمراني الخالدي.

نوره، فلا بد له من نقل إلى تخفيف الشاغل، ويمكن سريان حال ضعيف إليه، ربما عاد صاحبه إلى حاله الأول مجرداً مما كان عليه من الجذب الذي سرى إليه ويولي وجهه للأسباب وهو حيث كان انقلع عنها، لا تتهيأ له غالباً ولا يبقى له إلاَّ زيّ الزُّهاد، وهو من أحرص الناس على الدنيا. نسأل الله سبحانه أن يتولانا بالرعاية والحفظ من السلب بعد العطاء، إنه كريم جواد رحيم، والسلام.

الرِّسالة الرَّابعة والعشرون

الحمد لله، وبعد: فالمقصود، الأهَمُّ من هذا الكتاب، الإعلام لكم تأكيداً بما لا يخفى عليكم بأن الله مع العبد حيث ما كان العبد معه، فإن كان معه ببعضه، أي يذكره في بعض أحيانه في عقله ويذكر نفسه، أي شهواته في بعض أحيانه، كان سبحانه معه ببعضه، بمعنى انكشف له ببعض نوره من غير تبعيض، وإنما التبعيض باعتبار اكشف وزوال الحجاب لا غير. وإن كان العبد مع سيده بكله، أي منصرفاً إليه بعقله جميعاً، بحيث لا يجد عقله إلاَّ مجموعاً عليه في جميع أحيانه وإن كان الجسم بحسب الظاهر مستعملاً فيما يقوم بواجب نفسه أو غيره، كان الحق مع هذا العبد بكله، وكلّ الله سبحانه لا نهاية له ولكن يحيط بهذا العبد من نوره سبحانه ما يغمره ولا يبقي من وجوده الحادث شيئاً لكونه قد انغمس في نور القدم فلم يشاهد لسوى الله وجوداً، بل ليس له شهود للسوى جملة ولا لنفس الشهود وهذا لا يستند لِلْخَلْقِ في أمر لكونهم صنعة والصنعة لا أثر لها، بل هي مفعولة غير فاعلة، وإن وقع استناد إليهم فمن طريق استناد الفعل إلى غير من هو له بإثبات الحق من طريق الحكمة التي لا يسئل صاحبها عما يفعل.

والمعتبر نظر القلب لا نظر الجسم، ولذلك ترى القوم يحافظون على أعين قلوبهم مخافة أن يصيبها ما يقدح في صفائها لأن معرفة الحق سبحانه لمن أهّله الله لها إنما تكون بالباطن، وبصفائه يعرف الحق أي دليلاً ويتحقق الإنسان بالحق الأول. وأما الظاهر، فإنما يبطل به السوى المدَّعى مع الله إلٰهاً أو هو في نفسه إلٰهاً استقلالاً، فأنت تراه قد أرشد أهل الظاهر إلى بطلان قول من

قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: الآية 73]، بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: الآية 75] وأبطل قول من ادعى الألُوهية في نفسه استقلالاً بقوله على لسان الرسول عليه السلام: «وإن الله ليس بأعور».

فهذا إبطال للألوهية في السوى مع ثبوته بخلاف صفاء الباطن، فإنه يزيل السوى بمعنى أنه يُكشِف عن كونه كان وهماً لا وجود له إلا من طريق الشريعة التي هي حكمة الفاعل المختار الذي أثبت ما لا وجود له معه لكونه قائماً به ولولاه لم يكن له وجود أصلاً.

هذا، واعلم يا ولدي، أن كل تلميذ لشيخ يريد أن يشرب من مائه، وحاله معهم كحال عنصر الماء هو في نفسه صاف قوي ولكن ربما ضعف طريق الجري لصهاريج عقولهم بعشب الكلف التي تمنع تصدِّي العقل لهم. ولا تفهم أن التفات الشيخ يمنع حضوره مع الله لأن من استولت الحقيقة عليه منعت العوارض أن تمنعه منها.

وانظر قول عمر رضي الله عنه حين استولت عليه: «إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة»، لرسوخه باستيلاء الحقيقة عليه. ولا يقال هذا لإنسان رسخ باستيلاء الحقيقة حتى لا تتركه لغيرها أبداً وإن عرضت له العوارض فلا أثر لها، والماء يصير لمن نقى جريته لعقله ولذلك تجد الذي نجح من تلامذة المشايخ هو الذي لا يترك شاذة ولا فادة إلاَّ قام بغالبها فيجتمع له جلّ الماء فيكون الخليفة من بعدهم، فإن لم يكن من تلامذتهم من هو بهذه المرتبة دواماً إلى موتهم، ماتوا غرباء والعياذ بالله، والسلام.

الرِّسالة الخامِسَةُ والعشرون

الحمد لله العلي العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، أما بعد: فأعلمك، أعلمك الله خيراً ووقاك شرّاً، أن كامل العقل من الناس هو الذي لا يزول حضوره مع الله ولو ملك العالم بأسره فضلاً عن رتبة الإمارة أو الوزارة، وأنبئك أيضاً بكامل العقل أنه الذي تم سيره إلى الله سبحانه فلم يبق للوجود لفظه، ومعناه بقلبه تعلق، لأن نقصان العقل على قدر تعلق الأكوان به، فإذا تناهى تعلق الأكوان به انقلع من أصله حتى تحسب الإنسان

عاقلاً وهو غير عاقل، قال الله سبحانه: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ [الكهف: الآية 18].

فنؤكد عليك، يا ولدي، غاية ولا بد، ولا بد أن لا تنسى ذكر الرحمٰن بخدمة السلطان فيسلِّط عليك مخدومك، وأنا النذير العريان بل كُن في خدمة الله أشد منك في خدمة السلطان. ولا يخفى عليك أنك ما أحببت دونه شيئاً إلاَّ برز لك فيه بما تكره ولو بإعدامه أو يسلطه عليك ولْه عن المقام بالله يدم أو يزيد ولا تلْه عن الله فينقلع وما صرت إليه حتى نسيته، فدم على نسيانك له فكأنه لم يكن، ولا ترتفع عن تواضعك المتقدم قبله ولو إصبعاً، وعليك بالسخاء والإحسان فإن رحمت الله قريب من المحسنين.

وتأمل حديث أقرع وأبرص وأعمى، فإن الله لم يختبرهم في نعمه إلاَّ بالإعطاء منها، وما دامت نعمة الأعمى إلاَّ بتفويضه للسائل من غير مبالاة بما يأخذه من قليل أو كثير ولم يختبرهم الله في ذلك بصلاة ولا بصيام، فدل الحديث على أن الشكر الذي يقتضي المزيد من الإحسان هو الإعطاء من المنعم به وهو عند أهل الباطن من الأمر المحقق من طريق الذوق، وانصر المظلوم وقوِّ الضعيف وأعِن المسكين من قبل أن يسألك لأن من أحب أن ينوب الله عنه في أمر فلينب هو عن الله فيه، فإذا نبت عنه في نصر نصرك، وإذا نبت عنه في تقوية ضعيف قواك، وإذا نبت عنه في كف ماء وجه مسكين فأعطيته بدون سؤال كف ماء وجهك فأعطاك بدون سؤال. وقس على ذلك الأمور والإحسان للخلق ترياق كل شيء، وإذا علمت الإخوان في الله الملازمين للزاوية محتاجين فقدمهم على الغير، وإن الله رفيق بعباده يحب الرفق وعلى الخصوص الذاكرين له، فاجتهد في ذلك وسعك وجهدك عسى أن تحرز هذه الفضيلة التي يرحمك الله بها حياً وميتاً، وقد قال مولانا: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 148] وكن لجانب الله علانية من غير مبالاة يكن الله لجانبك من غير مبالاة، واجعل هذه الوصية نصب عينيك فإن لم تضيّعها أفلحت إن شاء الله، والسلام.

الرِّسالة السادسة والعشرون

سادتنا الفضلاء، إخواننا القاطنين برباط الفتح أمدنا الله وإياكم بعونه

وسلام عليكم ورحمة الله سبحانه الهامية وبركاته عن دوام الخير والعافية.

وبعد، فلا يخفى عليكم أن قلم الإنسان خليفة لسانه، وأن بيانه ترجمان جنانه، وأن الأخ في الله أنفع للمرء من أخ النسب، وأن حقوق إخوة النسب وإن كانت واجبة، فحقوق الإخوة في الله أوجب لأن الاتصال بإخوة النسب هو في العالم الفاني يزول يوم القيامة بتفاقم الحال وكثرة الأهوال بخلاف الإخوة في الله فهي في العالم الباقي ما لها من زوال لثبوتها بثبوت سببها وهو الله سبحانه الدائم الباقي الذي لا يحول فضلاً عن كونه يزول، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «من أحدث أخاً في الله أحْدث الله له درجةً في الجنَّةِ» أي وفقه لأن يحدث أخاً في الله وذلك، والله أعلم، لأن الأخ في الله كله رحمة لأخيه. فالجلوس معه رحمة، والأكل معه رحمة، والسفر معه رحمة، وتذكره بعد فِراقه رحمة؛ لأنَّ الأخ في الله دالّ على الله بجميع أحواله، ولذلك سمي بالأخ في الله.

والدرجة في الجنة عند الخاصة باعتبار زيادة النظر إليه سبحانه لأنهم لا يعتبرون الزيادة في علو المكان بخلاف العامة لا يفهمون الدرجة إلا باعتبار علو المكان. هذا وقد ورد علينا كتابكم الأرفع، وخطابكم الأنفع، وأخَّرنَا عن الجواب ما نزل بنا مِنَ المرض، والآن عافانا الله والحمد لله على عافيتكُمْ، وحيْث وقع الشفاء والحمد لله، فلا بدَّ لنا من مَزيدِ الإخاءِ إليكم ووُجُود المذاكرة فيه سبحانه معكم لقوله عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» وذلك، والله أعلم، لأن جدار العبودية لله وحده لا يقوم غالباً إلاَّ بأحجار الإخوان ولذلك طلب الشارع مطلق الجمع في الصلوات الخمس وفوق ذلك في الجمعة، وفوق ذلك في العيدين، وفوق الجميع في موسم الحج، وجعل لكل جمع إماماً يقتدى به، وقال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به» وإذا كان الإمام في تصحيح الظاهر، بل عبادة الظاهر وتنقيته من مخالفة الأوامر والنواهي مطلوباً، فطلب الإمام العالم بكيفية تنقية البواطن والعقول من الخواطر التي تجول في الفكر لتحول بين العبد وبين الوصول إلى العلم بربه حتى يكون أهلاً لحضرته أشد، لأن تنقية البواطن والعقول أصعب

من تنقية الظواهر، والإمام الذي يقتدى به في تنقية البواطن لا بد أن يكون أعلم من الإمام الذي يقتدى به في تنقية الظواهر، لأن الإمام الذي يقتدى به في تنقية الظواهر من مخالفة الشرع يكفي فيه أن يكون عالماً بالحلال والحرام ولكن لا بد أن يكون راسخاً في العلم بعمله، شديد القوى في ذلك، حتى يمكن أن يسري حاله في تلميذه، ولكن إذا سرى ظاهره المتنسب بباطنه المشحون بالخواطر لتلميذه سرى إليه أيضاً ما تنشب به باطن شيخه من الخواطر التي تحول بين العبد والنظر إلى نور ربه، فيكون ظاهراً بلا باطن وشريعة بلا حقيقة، فيكون من جملة العامة الذين قال فيهم الإمام مالك رضي الله عنه: «من تشرّع ولم يتحقق فقد تفسّق».

بخلاف الإمام الذي يقتدى به في تنقية البواطن فإنه لا بد أن يكون عالماً بالحلال والحرام، عالماً بذلك راسخاً فيه، كما تقدم في إمام تنقية الظواهر، ولكن يزيد عليه بكون هذا الإمام خالي الباطن من الخواطر، ناظراً إلى نور ربه، راسخاً في ذلك بحيث لا ينقلع عن ذلك إلا ما شاء الله ليسري حاله الظاهر والباطن في ظاهر تلميذه وباطنه، فيكون ظاهره شريعة وباطنه حقيقة.

والجامع بين الشريعة والحقيقة هو الذي قال فيه الإمام: «ومن جمع بينهما فقد تحقق».

وأما من كان خالي الباطن من الخواطر ولا يقيم الشرائع كأحوال المجاذيب، فلا يصلح الاقتداء به وإن كان مواجهاً بنور الحقيقة لأنه غائب عن أنوار التوجه إلى الله سبحانه بأنواع العبادات، وهذا بالنسبة لمن سكر بروائح النور حتى غاب عن حسه. وأما الذي يكون على عقله ويركب الحقائق بغير شريعة فهو زنديق قطعاً.

وحاصل الأمر، أن مدار أهل الطريقة على شهود الحق والفناء في وجوده عن وجودهم مع إقامة الشرائع، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجَادلة: الآية 22] ومن كان كذلك فهو أمير الزمان وسلطان الوقت، يأخذ من كل شيء ما أودع الله فيه من سره إذا نظر إليه ولا يأخذ عقله شيء لأنه لله لا لشيء دونه.

وهذا القدر في المذاكرة كافٍ في هذا الوقت وإن أطال الله العمر ذاكرناكم وذاكرتمونا إن شاء الله جعلنا الله وإياكم من المتحابين في الله الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، وعلى محبتكم طالباً منكم صالح الدعاء والسلام، وإن أطال الله عمرنا وساعدتنا الأقدار يكون قدومنا عليكم في آخر فصل الربيع إن شاء الله والله المستعان، والسلام.

الرِّسالة السابعة والعشرون

إلى كافة إخواننا وأحبائنا في الله، أمدنا الله وإياكم بتوفيقه، وجعلنا جميعاً من حزْبِهِ وفريقه، وسلامُ الله الأَتَمُّ، ورضوانه الأعم، ورحمته المتوالية، وبركاته عن تمام الخير ودوام العافية. وبعد، فنؤكد عليكم ولا بُدَّ غاية في الاجتماع، ودوام الذكر، فإن مدد الذكر مع الإخوان يضاهي مدد الصلاة في الجماعة لأنه يزيد على ذكر المنفرد كما تزيد صلاة الإنسان في الجماعة على صلاته في الدَّارِ فَذّاً وذلك أظهر من أن يخفى، لأنه مع الإخوان يضم أنوار الذكر المستكنة فيه، اللائحة من قِبَل المذكور عليه بسبب ذكره لأنه لا يذكره صادقاً إلا كان جليسه أي أنيسه على قدر صدقه وتصميمه في الإقبال عليه إلى الأنوار اللائحة على غيره لأن الحال الذي سببه الصدق مع الله في التوجه إليه يتعدى للغير قطعاً، وإن أموراً في الجنة هي في الدنيا قطعاً، من جملتها رياضها وبساتينها الفائقة عن رياض الدنيا وبساتينها، وهي حلق الذكر لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «حلق الذكر».

ويؤخذ من الحديث الكريم، أن الذكر إنما يكون روضاً من رياض الجنة مع التحلق له وهو يتضمن الاجتماع جزماً. ولا يخفى عليكم أن الجنة إنما تدخل بفضل الله ورحمته، ولكن تقسم على قدر الأعمال في القرب من الله لا في الكثرة، فليس عمل الذكر في القرب من الله كعمل الصلاة لأن الذكر من أهل الصدق مع الله ينشأ عنه الوصول، والصلاة تنشأ عنها الوصلة والمخالطة في الجملة لاقتضائها مصلياً ومصلى له، وذلك عين التَّعدد المنافي للوصول بخلاف الذكر وعلى الخصوص ذكر الاسم المفرد، فإنه يقتضي فناء الوجود

الحادث في عين بقاء الوجود القديم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العَنكبوت: الآية 45].

ويدل لذلك أيضاً إطلاق القول في الحديث بأن: «الأجر على قدر المشقة». والمشقة الكبرى التي عجز عنها الكثير من الناس ونكلوا عنها بعد الشروع، هي إخراج العقل من عالم الحس إلى عالم المعنى. أو نقول: من عالم الشهادة الوهمي إلى عالم البطون الذي يظهر منه عالم الشهادة الحقيقي، لأن الوهمي آثار الصفات في البَيْن. أو نقول في الغير، والحقيقي آثار الصفات في العين، أو نقول في أنوار الذات، والتوفيق من الله، والإعانة منه بفضله ورحمته.

وأما مشقة الأجسام فقد كُلف بها مطلق العوام، وهي عندهم نهاية. وأما عند أهل التحقيق فمشقة الأجسام التي هي الوقوف عند حدود الأمر والنهي فهي بداية، ومشقة العقول التي هي إخراج العقل من عالم الحس إلى عالم المعنى عند مكابدة ذلك وسط، والخروج عن ذلك بالشهود نهاية وراحة إذ لا راحة للمؤمن إلاَّ عند ربه، كما في الحديث الكريم.

وإن يسّر الله القدوم عليكم نزيد للمقام وضوحاً.

ونسأل الله تعالى بأحب الخلق إليه وأكرمهم عليه أن يجعلني وكل من أخذ عنِّي من الطائفة التي تدعى يوم القيامة بـ«أهل الله»، والله تعالى يأخذ بيدنا ويدكم ويد المسلمين أجمعين، والسلام.

الرِّسالة الثامنة والعشرون

الحمدُ لله، إلى كافة إخواننا وأحبَّائنا كلّ أخ في الله، ومحبٌّ من أجله، أهل الأسباب وغيرهم. أمدَّنا الله وإيَّاكم بكرمه وجوده، وغَيَّبنا جميعاً عن شهودنا في وجوده، وسلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، يا إخواننا وأحباءنا، فأعلمكم، أعلمكم الله خيراً، وجعل لكم ذكره ومحبته والنظر إليه والقيام بحسن الأدب معه نصيبنا ونصيبكم منه دنيا وأخرى. إن الله سبحانه إذا نظر بعين الرحمة لأحد من عبيده أصبح ذلك العبد بنظر الله، ناظر إلى الله تعالى، مجموعاً عليه ظاهراً وباطناً، ليس له في الكون جميعاً ما يهتم به إلاَّ الله

ولا ما يلتفت إليه إلا هو، فتراه يلهج به دائماً ويذكره دائماً ويحبه دائماً وينحاز إليه دائماً ويحمده دائماً ويشكره دائماً ويفرح به دائماً ولا يشق عليه شيء من أجله إذ هو قرّة عينه وراحة قلبه، لو أعطيته جميع الدنيا والآخرة ويفارق ما هو فيه من التنعُّم بمحبوبه ما فارقه بشيء من ذلك ولا نظر إليه بقلبه لأن قلبه مشغول بحبه قائم بين يديه، قد ملكه المحبوب واستولى عليه فلا يذكره لشيء سواه.

وأنتم يا إخواننا، نؤكد عليكم ونحبكم أحبكم الله وأكرمكم، أن تكونوا من هذا الفريق وأن تشدوا أيديكم على الله، ولا بد، ولا بد، فإنه والله ما كان من الناس ولا يكون منهم إلا من شدّ يده على الله سبحانه بدوام ذكره والقيام بشرائعه والانحياز إليه، ومما أنا، والحمد لله، مسرور به أني أسأل عنكم من يرد علينا من تلك الناحية فيخبرني أنكم قائمون بأمر الطريقة مقيمون على الاجتماع كل جمعة، فذلك هو الظن بكم أيّدكم الله وملأكم جميعاً بالرحمة حتى تسيل الرحمة منكم للخلق بجاه مولانا رسول الله ﷺ، والسلام.

الرِّسالة التاسعة والعشرون[1]

الحمد لله. إلى كافة إخواننا وأحبائنا كل أخ في الله ومحب من أجله أهل الأسباب وغيرهم أمدنا الله وإياكم بكرمه وجوده وغيَّبنا جميعاً عن شهودنا في وجوده وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، يا إخواننا وأحباءنا، فنعلمكم أعلمكم الله خيراً ووقاكم شرّاً، أن العبد الصادق في عبوديته مع الله تعالى قولاً وفعلاً هو الذي يصبح ويمسي وهو عن الله راضٍ في كل حال يقيمه فيه ولا يتكدَّر من أمر يصيبه من أمور هذه الدار إلا من استشعار البعد عن الله لوجود الغفلة عنه، فهذه مصيبة فقط وهي أعظم مصائب الذاكرين وأهون مصائب الغافلين، فإن الذاكر إذا فاتته لحظة من زمانه هو فيها غير حاضر مع الله سبحانه تمنى أن تخر عليه السماء وكان ذلك أهون عليه مما أصابه فتجده يبكي ويشكي ويتكدر لذلك ويحزن، وإن الغافل إذا نقص درهم من دنياه تمنى

(1) في هذه الرسالة والتي قبلها تكرارٌ في بعض العبارات، في جل النُّسَخِ فلعلّها من المؤلف لتأكيد النُّصْحِ. فقد أبقيتها على حالِهَا، فإنَّها لا تَضُرُّ. المرتّب والمصحح: عبد السلام العمراني الخالدي.

أن تسقط عليه السماء وذلك أهون عليه مما أصابه فتجده يبكي ويشكي ويتكدر لذلك، وذلك كله لعماه واتباع هواه.

وإنكم يا إخواننا وأحباءنا، ما دمتم في هذه الدار لا بد أن ينالكم ما ينال الناس فيها من الإصابة في الأبدان أو الأموال أو الأولاد، والآخرة بعكس ذلك، وحكمة الله في ذلك أن يرد الغافل بذلك إليه أحب أم كره، ويزيد الواصل انحيازاً إليه وغبطة به وتعلقاً، ولذلك كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء وذلك لأنه يغار عليهم كما أنهم يغارون عليه غيرة بغيرة، فتجده سبحانه يحمي قلوبهم من الإشراك كما يحمي الإنسان أهله ونفسه من الوقوع في الهلاك، وذلك بسابق الفضل والعناية والإحسان فنحبكم، أحبكم الله، أن تشتد عنايتكم بحراسة قلوبكم لئلا يخطر فيها سواه سبحانه، وأن تفرحوا بما يردكم إليه ويكدر عليكم هذه الدار حتى لا ترغبوا في الإقامة فيها ولا الركون إليها، وهل هي إلاَّ سجن المؤمنين وجنة الكافرين، وعدو تصلون به إلى الله خير لكم من حبيب يقطعكم عن الله.

هذا الكلام إنما يسمعه قلب سالم من همّ اتّباع الهوى، والمؤمن حقاً، أو نقول: الذاكر حقاً، إن وجد في بيته طعاماً يأكله مع أهله وثوباً يواري عورته فعلى الدنيا جميعها عنده الهلاك، ولذلك قال عليه السلام: «من أصبح معافى في بدنه سالماً في سرَبه مالكاً قوت يومه فكأنما ملك ما بين المشرق والمغرب».

وكلب الدنيا تجده يعوي من إصابة الكلاب على الجيفة، ولو ترك لهم دنياهم ما أصابه ما يعوي من أجله على الجيفة وهو قائم عليها لأنه وإن شبع بطنه مما سبقت عينه يخشى على ما فضل عنه كلاباً آخرين، والسلام.

الرِّسالة الثلاثُونَ

الحمدُ لله. اعْلَمْ، وفّقني الله وإياك، أن جميع أوصاف البشرية التي في الإنسان من أكل وشرب وشهوة وغير ذلك إنما هي من الجسم وليس للروح من ذلك شيء لأنها نور محض، ولا يتأتى للإنسان شهود الحق سبحانه إلاَّ بطرح تلك البشرية وترك علائقها من القلب الذي هو محل الروح، وعن الغيبة عن

هذه البشرية يُعبِّر عنه أربابُ الطريق بالمحو. وبقدر رقتها تتجلى للروح الأنوار وتظهر الأسرار لها من عالم الملكوت، وذلك لأنها كانت قبل حجابها ببشرية الجسم درَّاكة لما في عالم الغيب الذي هو عالم الملكوت ثم صارت محجوبة بهذه البشرية عن النظر لعالمها، فإذا زال حجاب البشرية عنها بفضل الله ورحمته تنفد نظرتها لعالمها، وجاءت من هناك بعلوم لدنية وأسرار ربانية وأمكنها شهود أنوار الذات القدسية، ثم إذا شاهدت تلك الأنوار القدسية لم تزل ترتقي فيها يزيدك وجهه حسناً كلما زدته نظراً ولا سيما حيث وقع هذا النظر عن شوق شديد لطول الحجب عنه بقارورة الجسم وبشريته، فلم تزل مرتقية شيئاً فشيئاً حتى تصطلم إذ ذاك وتتحيّر فتجعل تريد أن تطير لذلك العالم منفردة عن الجسم، متوهمة لشدة غلبة سكرها بخمر النظر، إنها منفصلة عن الجسم وهي لم تزل مستودعة فيه، فتراها تحرك الجسم حركة مزعجة تخالف حركة عادتها معه لتطير لذلك العالم الأسنى بالكل، وهي في ذلك كله غائبة عن الأكوان. وإذا أراد الحق سبحانه بقاء تلك الروح المنعم عليها في جسمها أعطاها من القوة والثبات ما تلاقي به صدمة المشاهدة التي تقتضي طيرانها من الجسم بالكلية ومفارقتها له، فتطمئنَّ حينئذ برجوعها لمشاهدة ربها راضية بالأنس به، مرضية لدخول حضرته، فتدخل في العبد مرة ثانية دخولاً يخالف الدخول الأول لأن دخولها للجسم المرة الأولى كان مع كون الجسم من أجل بشريته حجاباً وهذا الدخول مع كون الجسم ليس بحجاب لتلاشيه عندها واحتراقه بتلك الأنوار كغيره من الأغيار، ولذلك قال سبحانه: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفَجر: الآيتان 29،30] أي جنة الشهود للملك المعبود، فتبقى دائماً ناظرة إلى ربها غير ملتفتة لسواه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22،23] وما كان أولاً لها حاجباً صار محجوباً بالشهود الذي هو الحجاب الأعظم الذي لا يقوم له حجاب أبداً، وهذه هي الحياة بعد الموت لرجوع الروح للجسم بعد غيبتها عنه، وهذه الحياة مستمرة لا يدخلها الفناء لأن الحجاب الأعظم هو حياة الروح والجسم في حيز الإهمال مطروح، ولذلك قال تعالى بطريق الإشارة: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 169].

وقال الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش: واجْعَلِ الحجاب الأعظم حياة روحي.

وسئل بعضهم عن القوت، فقال: الحي الذي لا يموت.

قال الشيخ ابن عطاء الله: لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها بوجود بعثك بعد موتك هنا وذلك لزوال الحجاب بشهود الملك الوهاب، ويشير لذلك قول مولانا رسول الله ﷺ: «كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل».

فنقل العارف: لِلدَّار الآخرة ليس موتاً وإنما هو عنده منام ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: الآية 56] التي هي بمعاناة زوال الحجاب بتوفيق من له المرجع والمآب ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُمَر: الآية 42].

فأنت ترى الحق بطريق الإشارة يقول: إن الأرواح التي لم تمت، وهي الحية بالشهود، يتوفاها في شبه منامها، وسمى قبض روح المحجوب إمساكاً، وقبض روح صاحب الشهود إرسالاً إلى الأجل المسمى عنده وهو يوم القيامة، فقضى أجلاً وأجل مسمى عنده، وما ذاك إلا لأن روح العارف بالله ليست متمكنة في الجسم بعد الشهود وإنما الجسم لها كشيءٍ علق بجناح الطائر يعوقه عن تمام التصرُّف في الطيران إلى عالمه، ولذلك ترى روح العارفين بأدنى شيء من تجلي الهيبة تنفصل عن الجسم حقيقة حتى أنهم يجتنبون السُّوَر التي فيها تجلِّي الجلال إشفاقاً منها على أرواحهم أن تطير من أجسامها، ولذا أفرط تأثير نور الشهود في نعت الروح وكان كما قال سبحانه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النُور: الآية 35] فإذا لم يؤيِّد الله نور الروح بقوة الثبات انجذبت الروح انجذاباً قوياً لا تستطيع معه البقاء في الجسم، فتزعجه وتفارقه حقيقة.

ولذلك ترى سيد العارفين وأكمل الراسخين الثابتين ﷺ يقول: «شيّبتني هود وأخواتها». فانظره مع كماله في الرسوخ أثرت فيه الهيبة بالشيب الذي لا يحصل إلاَّ بارتكاب الأمور العظام وأما غيره فربما أثرت الهيبة فيه بانفصال

الروح عن البدن بخلاف غير العارف فإن روحه متمكنة في جسمه محجوبة عن شهود ربها.

وأفادت الآية بطريق الإشارة، أن روح المحجوب مستكنة في البرزخ، قاصرة على محلها، ليس لها شهود ولا تصرف، فلذلك قال مولانا سبحانه: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزُّمَر: الآية 42] بخلاف روح العارف بالله فلا يزيدها قطع علقة الجسم إلاَّ كمالاً في التصرف والشهود، ولذلك قال مولانا سبحانه: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: الآية 42] فعبّر فيها بالإرسال، ولذلك يشير سيدنا رسول الله ﷺ بقوله: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة» أي جنة الشهود وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش كل واحد على قدر مرتبته عند الله. ولعل المراد بهذه القناديل السماوات، لأنها دون عرش التجلي الأكبر، ولذلك كانت الأنبياء والرسل في السماوات كل على قدر ما قدره الله له، وجميع المؤمنين من ذرية سيدنا آدم في السماء الدنيا لأنهم دون الأنبياء في مرتبة المعرفة، إلا أن أهل السعادة أحرزوا يمين الرضى والإحسان، جعلنا الله منهم، وأهل الشقاوة ذهب بهم ذات الشمال والسخط والعياذ بالله من سخط الرحمٰن. ثم أهل اليمين أيضاً في اليمين على قدر منازلهم، وأهل الشمال في الشمال كذلك، لأن مقام العارفين وغيرهم من هذه الأمة ليس كمقام غيرهم من الأمم لأن معرفة عوام هذه الأمة فوق معرفة عوام غيرها من الأمم، ومعرفة خواصها فوق معرفة خواص غيرها، والكل دون معرفة الأنبياء عليهم السلام، وإلى ذلك يشير قول مولانا الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: الآية 143].

وأما كون أبِينَا آدم عليه السلام مع الكل في السماء الدنيا، فتفضل منه سبحانه على الفريقين من أهل اليمين وأهل الشمال.

وأما أهل اليمين: فلتمام سرورهم واستبشارهم برؤية الأبِ الأكبر.

وأما أهل الشمال: فلاستئناسهم به من وحشة الشقاء للطَّمع في الرحمة الواسعة عند حصول الملتقى، والله سبحانه أعلم.

الرِّسالة الواحدة والثلاثون

الحمدُ لله. إلى كافة إخواننا في الله، وأحبائنا من أجْلِهِ، السَّادات

الفضلاء الأجلاَّء ـ أمدنا الله وإيَّاكم بعونه وجعلنا جميعاً من حزبه بفضله ومَنِّهِ ـ وسلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ. وبعد، فأعلمكم يا إخواننا وأحباءنا ـ أعلمكم الله خيراً ووقاكم شرّاً ـ أن العبد يعطيه الحق سبحانه من عنده على قدر ما يعطيه العبد من عنده، الحق سبحانه يعطي للعبد على قدر ما يعطيه العبد باعتبار الجنس والمماثلة، لا باعتبار المقدار تحقيقاً، يعطي للعبد من جنس ما يعطيه العبد إلا أن إعطاء الله أعظم وأجل، فمن أعطى لله ماله أعطاه الله ماله، ومن أعطى لله نفسه أعطاه الله نفسه.

وبيان هذا الكلام أن العبد إذا تصدّق بشيء قاصداً به الحق سبحانه حتى لا يكون مطلوبه به شيئاً لا خلفاً ولا غيره لأنه إذا طلب بصدقته الخلق لم يكن قاصداً بها الحق سبحانه وإنما قصده الخلق، وكذلك إذا طلب بصدقته الجنة أو الأجر أو غير ذلك من أنواع الجزاء، كل هذا لم يكن صاحبه قاصداً به وجه الله سبحانه وإنما هو قاصد به غير الله سبحانه، وهو شهوة نفسه من تحصيل الكثرة بالخلق أو تحصيل الجنة أو غيرها من المنافع أو دفع المضار.

ومهما طلب العبد بسبب من الأسباب غيره سبحانه إلا بطلت أسبابه وذهبت ضائعة في نظر أهل التحقيق والعامة جميعاً على ما ذكرنا من طلبهم بأعمالهم غير ربّهم. وأما الخاصة فلا يطلبون شيئاً سواه سبحانه لأنه لما كشف لهم عن نوره انمحى من قلوبهم كل شيء، لأن الحق سبحانه هو عوض من كل شيء ويغني عن كل شيء ولا يكون عوضه شيء، ولذلك ترى الخاصة دائماً في غنى عن الخلق جميعاً وترى العامة دائماً في افتقار إلى العالمين جميعاً، الخاصة أغنياء عن كل شيء لأنهم وجدوا من هو عوض عن كل شيء فأغناهم عن كل شيء لافتقارهم إليه لا غير. والعامة مفتقرون لكل شيء لأنهم لم يجدوا عوضاً. جمع الله قلوبنا عليه ورزقنا الغنى به سبحانه والسلام.

الرِّسالة الثانية والثلاثون

الحمد لله. إلى كافَّة إخواننا في الله، وأحبائنا من أجله، السادات الفضلاء الأجلاءِ ـ أمَّدنا الله وإيَّاكم بعونه، وجعلنا جميعاً من حزبه بفضلِهِ ومنِّهِ ـ وسلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فأعلمكم ـ أعلمكم الله خيراً ووقاكم

شراً ـ أن من كانت فكرته محصورة في دائرة حسه بحيث لا يوجد متفكراً إلا فيما يصلح ظاهره فهو والله مريض القلب، لأن علّة القلوب الغيبة بدوائر الحس عن شهود عالم الغيوب، وظاهر الحس لا محالة أوهام، وما كمل من الناس إلاَّ من خلص من كلاليب الحس التي علقت به وسافر بقلبه لشهود ربه فطاب عيشه وكملت لذته وأحسن الله إليه إحساناً لم يحسنه إلا للفرادَى من خلقه.

وهذا الفريق، وإن كان قليل الوجود، فهو عند الله كثيرٌ وقد يعدل الرجل الواحد قبيلة، وقد تعدل القبيلة واحداً، لأن مدار الناس على الفوائد الحاصلة منهم، وقد قال عليه السلام: «المكثرون هم الأقلون يوم القيامة»، وقال عليه السلام: «كُمُل من الرجال كثير». وأنتم تعلمون أن أهل الكمال في العدِّ قليل، وجعلهم عليه السلام كثير، ووالله ما أعلم همّة عالية رفيعة إلاَّ همَّةً لم يكن لها شغل إلاَّ الله ولا عكوف إلاَّ على ذكره ولا يغيّبه حسّه عن ذكر ربّه، والنظر لمعاينته في هذه الأواني، ولا عليه فيمن أحبه أو أبغضه ولا من أسره أو أحزنه لغيبته عن مضرة الأعداء ومنفعة الأحبّاء في شهود الحبيب، ووالله ما أسمع عليكم أنكم مشتغلون بأذكاركم آناء الليل إلا يزيدني ذلك بسطة وابتهاجاً، وإن الله ليبسط العبد بالإخوان إذا رآهُمْ في جد من طريق.

وقد كان عليه السلام يبسط[1] إذا رأى من أصحابه في ذات الله حزماً، وأنتم يا إخواننا إن ظهر الناس على كدية من الخير فقد ظهرتم على جبل حتى رآكم القريب والبعيد، فدوموا كما بدأتم، والله يؤيدني ويؤيدكم بحق مولانا رسول الله ﷺ والسلام.

الرِّسالة الثالثة والثلاثون

الحمد لله[2] الأخ في الله ومحبنا من أجله الأفضل والأستاذ كمل الخير البركة أمدنا الله وإياك بتوفيقه وجعلنا جميعاً من حزب الحق سبحانه وفريقه

(1) في النسخة الرباطية المطبوع منها «يَبْسط» والمعنى الحقيقي: «يَنْبَسط» ولعلها خطأ من الناسخ. انتهى. المُصَحح: عبد السلام العمراني الخالدي.

(2) في النُّسخة الرباطية أيضاً هذه الرسالة مُوجَّهة لفقير مُنَوِّرٍ في محل الاقتداء فتركتهُ وأبقيتها على النُّسخة المطبوعة هنا بصيغة الجمع. المصحح: عبد السلام العمراني الخالدي.

وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، يا أخي فنعلمكم ـ أعلمك الله خيراً ووقاك شراً ـ أن الله سبحانه ما أحب عبداً إلاَّ أقبل عليه فأقبل ذلك العبد على الله بإقبال الله عليه، وما أبغض عبداً إلاَّ أعرض عنه فأعرض ذلك العبد عن الله بإعراض الله عنه، وكل ميسر لما خلق له، وأنت يا سيدي أكرمك الله بكرامة ذكره والإقبال عليه، فنحبك أحبك الله، أن تجتهد غاية في ذكره والقيام بأمور دينك. وأن تذكر من يليك من الإخوان لأنك في محل الاقتداء بك. ولا بد، والله يأخذ بيدنا ويدك ويد المسلمين أجمعين، أن تسامح من سامحك ومن لم يسامحك، وأن تعذر من عذرك ومن لم يعذرك، وأن تسكت عمن سكت ومن لم يسكت، ولا بد، لأن المؤمن حلو، كما قال ﷺ، ومعناه أنه لا تبرز منه إلا الأوصاف المحبوبة، ولا تبرز منه الأوصاف المرة ولك والحمد لله أجر التعليم ودرجة المعلم، أي معلم الخير، فابق على ما أنت عليه مع الإخوان، والله يأخذ بيدنا ويدكم ويد الإخوان والمسلمين أجمعين، وأستوصِ بالإخوان خيراً يكن لك خير كثير، والسلام.

الرّسالة الرابعة والثلاثون

الحمد لله[1]، الأخ في الله ومحبنا من أجله الفقيه الأجل البركة الأفضل وكافة الإخوان الأجلاء أمدنا الله وإياكم بتوفيقه وعونه وجعلنا جميعاً من العارفين به بفضله ومنّه، وسلام الله تعالى عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، يا إخواننا وأحباءنا، فاعلموا ـ أعلمكم الله خيراً ـ أني أنصحكم فيه سبحانه إذا أردتم السلامة من دسائس النفوس وخدعها ومكائدها وسائر أوصافها الذميمة، فاهربوا إلى الله سبحانه بإقامة فرائضه واتباع سنّة نبيه عليه السلام ودَاوِمُوا على ذكر الله في كل وقت وحين، ولا تشتغلوا بمحاربة النفس والشيطان فإن ذلك يلهيكم عن الله بل اشتغلوا بالإقبال على الله يكفيكم الله شر أولائك الأعداء لأن من كان لله بإقامة رسوم العبودية، كان الله دافعاً عنه كل محنة وبلية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: الآية 38] والعقلاء هم الذين إذا أقبل الشيطان

(1) في النسخة الرباطية وجّه الخطاب لفقير مفتوح عليه في طريق التَّصوُّف، وكذا فعل في خِلال الرسالة. والمهم المضمون لا الشخص. والسلام. المصحح: عبد السلام العمراني الخالدي.

والنفس عليهم بالإذاية، أقبلوا على الله بدوام الذكر بالحفظ والرعاية، ودخلوا حصن الله بالطاعة وحصن رسول الله ﷺ بالاتباع وحصن أولياء الله المؤمنين بالاقتداء والاستماع، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [المَائدة: الآية 56] لأن الشيطان لا يتسلط إلاَّ على من يظن أنه يغلبه إذ القرين لا يطمع إلا فيمن يظن ضعفه عن مقاومته عند المحاربة، والذاكر دخل حصن الله فمد الله عليه سرادق عظمته فلا يطيق أحد مقاومته أبداً ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: الآية 42]. ولا تظنوا في ذكركم لله أنكم أنتم الذاكرون لله بل الله تعالى هو الذاكر لكم سبحانه لأنه لو لم يتجلَّ فيكم بذكره لكم ما ذكرتموه أنتم، ولولا أنه تفضل عليكم بإقباله عليكم ما أقبلتم عليه أنتم، فتوجهوا يا إخواننا إليه سبحانه بصدق العناية تلوح لكم أسراره وتشرق عليكم أنواره حتى تتخلصوا إن شاء الله من قسمي الشرك الجلي والخفي بفضله وكرمه ومنّه، فلا تروا في الوجود سواه وتكونوا في جميع الأحوال بالله ولله، وتدخلوا جنة الوصول وتفوزوا بغاية الوطر ونهاية السؤل، وما ذلك على الله بعزيز. وعليكم بالاجتماع مع الإخوان، فإن للاجتماع سرّاً عظيماً وأمراً جسيماً، وتأملوا قول مولانا رسول الله ﷺ: «صلاة أحدكم في الجماعة تعدل صلاته فذاً بسبع وعشرين درجة». ونؤكد على إخواننا أن يتهلوا في الاجتماع على الذكر ولا بد ولا بد ولا بد من غير تراخ وأن يتهلوا فيه، قوّى الله مددنا ومددكم وكَثَّرَ عددنا وعددكم بجاه مولانا رسول الله ﷺ، والسلام.

الرِّسالة الخامسة والثلاثون

الحمدُ لله محبنا الأوفى، وصفينا الأودّ الأصفى مَن أحرز مِن كثرة تصديه لنفع المسلمين مقام المحبة من الله سبحانه إذ قال: وأحسنوا إن الله يحب المحسنين، أمدّنا الله وإياك بعونه، وجعلنا جميعاً من حزبه بفضله ومنِّهِ ـ وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، فموجبه تجديد العهد بكم والإعلام لكم بأننا لا زلنا على ما تعهدونه من الإخاء القديم والود الصميم ما سلكتم مسلكاً ولا كنتم في محل إلاَّ كنا معكم فيه، لأن الأرواح إذا تعارفت لم تنكر أبداً ولو سهوتم ما سهونا ولو غفلتم ما غفلنا، إكراماً بإكرام وإحساناً

بإحسان. وبالقتال في أول غزوة أحرز أهل بدر فضيلة: «اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم».

وأعلمك يا أخي، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث أخاً في الله أحدث الله له درجة في الجنة»، وما ذلك إلاَّ لأنه يمده حاضراً بمدد مذاكرته وإذا كان غائباً يمده بمدد إخائه ومحبته، المؤمن لا يمل من سماع الخير هذا لفظ الحديث. وأنت إذا تأملت وجدت كلّ رجل لا يمل من سماع الخير لا يمل من فعله، لأنَّ كل من يلقي أذنه لسماع الخير تتنزل أمطار الرحمة على قلبه فتسيل أودية الرحمة في جوارحه فتظهر عليه أفعال الخير في عالم الشهادة لأن الظاهر عنوان الباطن والمرء وإن ظهر عليه من أفعال الخير ما ظهر فلا يعد من أهل الخير عند المحققين حتى يصبح ويمسي وليس متعلقاً إلا بالله ولا ناظراً إلا إليه ولا معوّلاً في أموره كلها إلاَّ عليه ولا ذاكراً إلاَّ له، ولا قانعاً منه بشيء إلاَّ به، فهو مأواه الذي يأوي إليه ومستراح عقله الذي هو قطب يدور عليه فلا يفتر عن ذكره ولا يشتغل عن سيده بما أنعم به عليه من خيره وبره.

واعلم يا أخي أن الله سبحانه غيور لا يرى من شغل عنه بشيء ونسيه به إلاَّ سلبه ما شغل به عنه ونسيه به، ومن كان حاضراً مع الله في سروره وبسطه أدام الله سروره وبسطه. وكثير من الناس من أخذ من هذا الباب فتجده إذا فاضت عليه النعم يزداد علواً واستكباراً وترفعاً عمن دونه، وذلك من عدم ذكره لربه، رزقنا الله دوام ذكره والتعويل في جميع الأمور عليه بفضله وكرمه والسَّلام.

الرِّسالة السادسة والثلاثون

الحمدُ لله. وبعد، فإن المذاكرة في الله تزيد في نور الإيمان. واعلم ـ أعلمك الله خيراً ـ أن الله تعالى يعطي للعبد من نفسه على قدر ما يعطيه العبد من نفسه، في الجنس لا غير، لأن عطاء الله أعظم وأعم، فإن ذكر العبد ربه كثيراً ترى الله تعالى يذكره في الخلق كثيراً، وإن كان العبد يحب أن ينشر ذكر الله رأيت الله ينشر ذكره كثيراً حتى تجد الناس يثنون عليه خيراً ويذكرونه بالمشرق وإن كان بالمغرب، والملائكة بالسماء وإن كان بالأرض وإن كان

تأخذه الغيرة على الله فينتصر للذاكرين تجد الله تأخذه الغيرة على ذلك العبد فيهلك كل من أراده بسوء انتصاراً له، ومن ثم هو يغار على أهل المحبة له لأنهم يغارون عليه، وصل بوصل وهجران بهجران، لأنه سبحانه كما تعاملونه في الوجود يعاملك فيه، ولكن معاملته أعظم لأن يد الله هي العليا، ومن المحال عند القوم أن تعامله بطريق من معاملة الخير ولا يعاملك بأعظم منها، هذا مما لا يتصور في عقولهم أصلاً. ولكن يا ولدي، افهم معاملته، فإن هذا الذي يعامله الله بما ذكرنا هو الذي يعمل له، يتولى هو الجزاء فيها. وأما الذي يعمل لحظ، أي حظ كان، ولو لتحصيل الجزاء المذكور أو أقل منه أو أكثر فإن هذا لا يرى شيئاً مما ذكرنا لأنه أخطأ الطريق من أول قدم لأن من يعمل لغيره ضاع عمله لأنه سبحانه لا غير معه إذ هو غني عن الشريك ذاتاً وصفة وأفعالاً، لأن جميع الذوات من نور ذاته وجميع الصفات من جمال صفاته، وجميع الأفعال من مصادر قدرته، فكل من يعمل لشيء سواه فهو يعمل للعدم المحض ولا يشعر. ومن تقدم عن كل شيء فمنه ابتداء كل شيء، ومن تأخر عن كل شيء إليه رجع كل شيء، فالكل مرتبط به بداية ونهاية، فأين الموجود معه، كلا والله ما معه من موجود أصلاً إلاَّ بطريق الشريعة المجازية لا بطريق الحقيقة التي قام بها كل شيء وارتبط بوجودها، ولولاها لم يكن له وجود، وحاصل هذا المنال إنما يناله من يكون علمه لله لا لشيء سواه، أيُّ شيء كان ذلك السوى. ونسأل الله سبحانه أن يرقِّينَا وإياكم في مدارج اليقين حتى يكون عملنا وإياكم بالله حتى يستريح الإنسان من شهوده منه فيأمن من عوارض بطلانه بل هو مستريح منه جملة، والسلام.

الرِّسالة السَّابعة والثلاثون

الحمد لله. وبعد، فلا يخفى عليكم أن الإخوان جميعاً إنما عرفناهم على أنهم بشر وأنهم[1] يجوز عليهم ما يجوز على البشر، ولكن من سبقت له العناية لا تضره الجناية، فلو أذنب مائة مرة في اليوم تاب مائة مرة في ذلك اليوم،

(1) في النسخة الرباطية والأخرى «وأنهم يجُوز» والمشهور «وأنَّهُ» بالإفراد. ولست أدري هل من المؤلف أو الناسخ وقع الجمع. المصحح: عبد السلام العمراني الخالدي.

وبذلك يظهر عليه سر الخصوصية الذي لا سبب له إلاَّ الفضل المَحْض المجرد عن العلل والأسباب المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المَائدة: الآية 54] لأن الإشارة بقوله ذلك إلى بعث النبي ﷺ إلى هذه الأمة وحصول الإيمان به، وذلك مما لا كسب فيه لأحد ومن الاستغراق في عين الحقيقة أن يظهر المستغرق بما ظهرت به ويبطن بما بطنت به، فيظهر بحال التائب ويبطن بشهود عموم القيومية بكل شيء وهذه هي ملّة إبراهيم وسنّة النبي ﷺ الباطنة وكل ما يوصل إلى ذلك كله من السنّة الباطنة التي ينكرها أهل السنّة الظاهرة مع أنها في كتاب الله وحديث رسوله على أن اجتهادات أهل الباطن الجارية على أصول تطهير القلوب وسلامتها من الخواطر. اختصرها أهل الباطن زيادة على السنة الظاهرة وأهل الظاهر حيث قصرت هممهم عن ذلك لأن الأمر على خلاف ما تصل إليه عقولهم، ولم يجعلهم الله في يد شيخ يزيل عن بصيرتهم الحجاب ويرجع بهم إلى رب الأرباب. وحيث لم يزل حجاب الغفلة عن قلوبهم جعلوا ينكرون ذلك على أربابه بغير علم لأن هذا العلم لا يحصل لأحد حتى يوجد فيه، فلا يعلمه أحد حتى يوجد فيه. بخلاف علم الظاهر فيعلمه ثم يوجد فيه، وعلم الباطن يوجد فيهم. جعلنا الله وإياكم ممن أكرمه بكرامة أوليائه بجاه النبي ﷺ، والسلام.

الرّسالة الثامنة والثلاثون

الحمد لله، اعلم ـ وفّقني الله وإياك ـ أن الحق سبحانه وتعالى إذا أراد أن يتفضل على أحد من عبيده بالدخول إلى حضرة شهوده طهره بفضله من أدناس المخالفة والعصيان وأضاء زجاجة قلبه الكامنة في مشكاة الجسم بأنوار العرفان فجعله يرى بعين بصيرته كل ما برز من هذه الأكوان أو يبرز إنما هو من فيض عين القدرة والإرادة والعلم والحياة التي هي صفات الذات العلية وأنوارها القدسية المنزهة عن الانفصال عن ذاتها السَّنية المتعالية، كموصوفها عن المحلول والمماسة بالكلية.

ثم هذا الذي يراه هذا العبد بارزاً عن القدرة تارة يكون موافقاً لطبع البشر فينسب للجمال والإحسان، وتارة لا يكون موافقاً للطبع فينسب للجلال وهو

القهر والغلبة، فإذا حصل العبد على هذا المقام جعلت مشاهدة الإحسان والجمال إن برزا له من القدرة يدفعانه بيد إزعاج المحبة الناشئة عن ذلك الإحسان لحضرة شهود ذلك من القدرة والغيبة عما سواها من الأسباب والوسائط بقدم أو أقدام كثيرة، فبينما هو كذلك يزداد إقداماً في الغيبة في الصفات التي هي أنوار الذات إذ عصفت عليه رياح الجلال بما يخالف الطبع فردته القهقرى وربما لا يقف في المحل الذي كان فيه قبل مشاهدة الجمال بل يزيد عليه إلى وراء، فيكون كما قيل:

كم رمت قربك والحِرْمان يثنيني
واليأس يُبْعِدُنِي والشوق يدنيني

فيبقى بين دافع إلى أمام وراد إلى وراء، الجمال يدنيه والجلال يبعده ويقصيه، فإذا أراد المولى جلّ جلاله أن يرحمه جعله ينظر في هذا الجلال الذي يقصيه بعين الجمال الذي يدنيه بأن يريه ذلك الجلال بارزاً من تحت سُجُف الحكمة من حيث إن مبرزه حكيم سبحانه لا يضع الأشياء إلا في محلها اللائق بها، فتسكن حينئذ نفسه عند شهود الجلال من جهة شهود حكمة الحق سبحانه فيه فينظره إذ ذاك بعين الجمال فيستحيل جلاله جمالاً ويكون كما قال في الحكم: «إنما استوحش الزهاد والعباد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء ولو شاهدوه في كل شيء ما استوحشوا من شيء». فيجعل إذ ذاك يذهب بالرِّيحين ويدفع لحضرة الغيبة في شهود أنوار الذات بكلتا اليدين، ثم لا يزال يرتقي في كونه لا يرى ما برز من الأكوان إلاً ناشئاً عن صفات الذات حتى تحصل له الغيبة عن جميع الأسباب والآلات فتتلاشى عنده الأكوان لقطع النظر عنها وتعود عين البصيرة إلى أصل وجودها وفنائه فيه فيصير حينئذ يُشاهد السَّماع حاصِلاً عن القدرة الأزلية وإذا أبصر فكذلك، وإذا أبطش فكذلك، ومثل ذلك إذا مشى فيغطي الله سبحانه وصف هذا العبد بوصفه ونعته بنعته ويكون كما في الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الخ.

ومعنى قوله: «فإذا أحببته» أي أحببته هديته، بأن جعلته يحبني لأنه لا يحب أحد الله إلاً إذا أحبه الله، ولولا أن الله أحبه ما جعله يحبه، وبمقام

المحبة يشرف المريد على المحو، فإذا أفرطت المحبة شهوده انمحى المريد فإذا حصل على هذا المقام جعل يفعل الأشياء بالله لله ومن الله إلى الله، ثم لا يزال يرتقي في شهود هذه الصفات التي هي أنوار الذات حتى يشاهد من عظمة الله وجلاله ما تحصل له به الحيرة والاصطلام على بساط الشوق المقلق عندما يتجلى له الجمال، أو على بساط الخوف المزعج إن تجلى له الجلال، فتجذب روحه تلك الأنوار جذبة قوية تكاد بها تنقلع من محلها بالكلية، ولذلك ترى روحه إذ ذاك تحرك الجسم حركة قوية مخالفة لعادتها إذ هي جبرية لكونها تريد أن تطير لعالمها فيحبسها الجسم فتريد الطيران بالجميع، فإذا أفرط تأثير نور المشاهدة في روح المشاهد ولم يؤيده الله سبحانه بقوة بالكلية انقلعت روحه من محلها حساً ومعنى ومات، وإذا أعطاه الحق قوة ضعيفة لا تقاوم صدمة المشاهدة بقي مصطلماً غريق الأنوار غائباً أي في أنوار الذات التي هي صفاتها المقدسة، وانطمست عنده آثار تلك الصفات، وهي ـ أي الآثار ـ الأسباب والوسائط وكانت نظرته خاصة بغير الأكوان وهو غير كامل لانفراده بجهة واحدة. وإذا أعطاه الحق سبحانه قوة عظيمة تقاوم صدمة المشاهدة لم يغب إذ ذاك عن شهود الأكوان بتأييد الحق سبحانه له فكلما زاده غيبة وسكراً في أنوار الذات أعطاه بقدر ذلك من القوة والثبات. فهو كلما ازداد شرباً من تلك الأنوار وازداد سكراً إلى سكره الأول زاده الله قوة وثباتاً فازداد قوة إلى قوته الأولى بمقدار ما ازداد فيه من السكر، فلا سكره في شهود الأنوار غيَّبه عن الرسوم والآثار، ولا مشاهدة تلك الرسوم والآثار غَيَّبَتْهُ عن شهود تلك الأنوار، فهو برزخ بينهما لا يبغيان، فلا هذا يتعدى عن حده ولا هذا يزيد عن مقاومة ضده، فكلما زاد السكر ازدادت اليقظة والصحو بقدره. وهذا مقام الكمال، لا أحرمنا الله منه بفضله وكرمه ومنّه، آمين.

الرِّسالة التاسعة والثلاثون

[كافة إخواننا في الله وأحبائنا. من أجله[1] الفقراء الأجلاء، الفُضلاء

(1) من أجله إلى السَّادات الحنفاء، الموضوع بين قوسين، لا يوجد بالنسخة الرباطيَّة. المصحح: عبد السلام العمراني الخالدي.

النُّبلاء، الذاكرين الله كثيراً، والمجدِّين في ذِكره، أولياء الله الصلحاء، مَن أجَلَّ الله أقْدَامهم وجعلهم من المذكورين عنده] السَّادات الحنفاء، القاطنين برباط الفتح ـ فتح الله بصائرنا جميعاً لتلقي الأنوار الإلٰهية وجعلنا من الطائفة التي جعلها سبحانه لنفسه لا شيء دونه بجاه النبي عليه السلام وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد، يا إخواننا، فإنه بلغ الأعز كتابكم بخطِّ الولي الصالح سيدي الحاج محمد بن العربي واطلعنا فيه على أحوالكم، تأكيداً لما أعلمه باطناً وحمدنا الله على ما أنتم عليه من الجد والاجتهاد بالقيام بأورادكم وأذكاركم واجتماعكم على الله وافتراقكم عليه وتراحمكم مع بعضكم بعضاً، فكذلك كونوا ـ قوى الله مددكم ـ على سنن الراشدين المرشدين السالكين سبيل الهدى وطرق الرشاد، ولو علمت طريقاً أفضل من ذكر الله توصل إلى الله لسلكتها فاحمدوا الله يا إخواننا حيث أهَّلكم لذكره وجعلكم من حزبه ومن طائفةً الذاكرين، فشدوا أيديكم على جانب الله ولا تغرنكم هذه الدنيا الغرارة لأنها كم غرّت ونصبت لهم شباكها حتى حصلتهم فانكبوا عليها وفتنتهم، والكيس هو الذي أقبل على الله بكليته وكل ما تخيل له ضربه بسوط الذكر لأنه عارض وذهب بسلام ويديم على ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ولا عليه فيمن قام أو نزل حتى يأتيه اليقين والله يلهمنا وإياكم رشدنا وإنَّا إن شاء الله في فصل الربيع نقدِم لزيارتكم لا محالة؛ وهذه عقدتي مع الله إن أمضاها. ولا يخفى عليكم أن الصادر من العبد هو سابق من الرب، وما غاب عن الإنسان هو الظاهر عليه، فعلى قدر اعتناء الله بالعبد يكون اعتناء العبد بالله والله تعالى يجمعنا معكم في حال رضاه بجاه النبي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام.

الرِّسالة الأرْبَعُون

أخونا في الله وحبنا من أجله السيد الجليل الفقيه النبيه الصادق التوجه لمولاه سيدي عبد القادر ابن العربي أمدنا الله وإياكم بتوفيقه وجعلنا جميعاً من حزبه سبحانه وفريقه وسلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فموجبُه تجديدُ العهد بكم والسؤالُ عن المحفوظة بالله أحوالكم، جعلنا الله وإياكم ممن حفَّته عنايته وأحاطت به رعايته فكان دوام إقباله على الله بدوام إقباله سبحانه عليه وبقائه في حضرته بسريان السابقة إليه ولا يخفى عليكم

أن عقل الغافل في طوع جسمه يدبر أموره أبداً من كل ما يحتاج إليه في جميع أوقاته فكأنه أسير في يده لا يفعل إلا ما يحتاج له، وإذا أراد الله بعبد خيراً ألهم جسمه أن يكون ذاكراً له باللسان والفرض أن العقل له تبع في كل ما يحب فإذا ذكر الذاكر بلسانه والعقل مشغول بأموره من كل مأكول ومشروب وغيرهما فلا يسمع ذكر اللسان ولكن إذا دام الإنسان على الذكر ربما وجد العقل فارغاً في بعض الأوقات فسمعه وإذا سمعه تذكر وطنه الأصلي وعالمه النوري فطار بحكم القهر إليه وترك الجسم مهملاً لا يبالي به، فإذا رآه الجسم على ذلك الحال تبعه على ما هو عليه لانحيازه إلى حمى الله وصار الجسم بعد أن كان متبوعاً تابعاً وصار العقل بعد أن كان تابعاً متبوعاً، وظهرت على الجسم أحوال العبودية وظهرت على العقل أنوار الربوبية، ولا يزال الأمر كذلك حتى يحصل الوصول ويمزج الكل بالكل ويصير الجميع كُلاً واحداً.

وقد كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه، فتهل يا أخي في الذكر دواماً، ولا بد ولا بد فإنه لا تجتمع معه رعونات النفوس والاكتفاء بعلم الله السابق في أمور الدنيا والآخرة حقيقة إبراهيمية. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية 130] وإن عرضت لك حالة الطلب ولا بد فقل: اللهم احفظني فيك ولا تجعلني ممن خرجت من قلوبهم فرضوا بغيرك في قلوبهم فهم مطرودون وهم لا يشعرون ولا تطلب منه حاجة من أمور الدنيا والآخرة إلا هو، ولا تقنع منه إلا به. ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 91] وهذا ما أدلكم عليه وهو من أحسن ما يدل الإنسان عليه، بل أحسن ما يدل عليه بلا تردد إن شاء الله وإن طال العمر وساعدت الأقدار فسنزيد الأمر وضوحاً إن شاء الله بسريان السابقة إليه، ولا يخفى عليكم أن عقل الغافل في طوع جسمه يدبر أموره أبداً من كل ما يحتاج إليه في جميع أوقاته فكأنه أسير في يده لا يفعل إلا ما يحتاج له، وإذا أراد الله بعبد خيراً لهم جسمه أن يكون ذاكراً له باللسان والفرض أن العقل له تبع في كل ما يحب فإذا ذكر الذاكر بلسانه والعقل مشغول بأموره من كل مأكول ومشروب وغيرهما فلا يسمع ذكر اللسان ولكن إذا دام الإنسان على الذكر ربما وجد العقل فارغاً في بعض الأوقات فسمعه وإذا سمعه تذكر وطنه الأصلي

وعالمه النوري فطار بحكم القهر إليه وترك الجسم مهملاً لا يبالي به، فإذا رآه الجسم على ذلك الحال تبعه على ما هو عليه لانحيازه إلى حمى الله وصار الجسم بعد أن كان متبوعاً تابعاً وصار العقل بعد أن كان تابعاً متبوعاً، وظهرت على الجسم أحوال العبودية وظهرت على العقل أنوار الربوبية، ولا يزال الأمر كذلك حتى يحصل الوصول ويمزج الكل بالكل ويصير الجميع كُلًّا واحداً.

وقد كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه، فتهلّ يا أخي في الذكر دواماً، ولا بد ولا بد فإنه لا تجتمع معه رعونات النفوس، والاكتفاء بعلم الله السابق في أمور الدنيا والآخرة حقيقة إبراهيمية وقد قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91] وهذا ما أدلكم عليه وهو من أحسن ما يُدَلُّ الإنسانُ عليه، بل أحسن ما يُدلّ عليه بلا تردد إن شاء الله، وإن طال العمر وساعدت الأقدار فسنزيد الأمر وضوحاً إن شاء الله،والله يأخذ بيدنا ويدكم ويد المسلمين أجمعين وسلم منا على جميع الأحباء والإخوان وعلى محبتكم طالبين منكم جميعاً الدعاء الصالح، والسلام.

الرِّسالة الواحدة والأربعون

الحمد لله، اعْلَمْ أن قول مولانا جل وعلا: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحِجر: الآية 42] يقتضي أن المطلوب من الإنسان أن يكون عبداً لله وحده في جميع الحالات حتى لا يكون للشيطان عليه سلطان في حال من أحواله، ثم الإنسان له ظاهر جسمي طيني وله باطن نوراني روحي، وهو منسوب لما غلب عليه من الأمرين، فظاهره مطلوب بالوقوف على حدود الشرائع بحيث يكون دورانه في عالم الحس محفوزاً عن الخروج عن ما حد له شرعاً في جميع حالاته حتى يكون عبداً لله وحده بظاهره بحيث لا يكون للشيطان تسلُّط على ظاهره وذلك بمعونة التوفيق وسابقة الفضل من الله سبحانه.

وأما باطناً، فمطلوب أيضاً أن يكون عبداً لله في جميع حالاته وكل مقاماته، وذلك بأن يكون عقله في حضرة الله أي الحضور معه سبحانه من غير أين ولا كيف، أي من غير معية لأن شهوده سبحانه ينفي الوجود كله وحينئذ يكون عبداً لله وحده بحيث لا يكون للشيطان تسلط على باطنه، فإذا

كان للشيطان على ظاهره تسلط بحيث يخرج عن قانون الشرع ظاهراً في بعض أحيانه فليس عبداً لله في جميع حالاته ظاهراً، وإذا كان عقله يقف مع غير الله في بعض أحيانه فليس عبداً لله في جميع حالاته باطناً لأن للشيطان تسلطاً عليه من جهة باطنه، فإذا تسلط الشيطان على ظاهره بالخروج عن قانون الشرع وعلى باطنه بصرف العقل لغير الله فليس عبداً لله لا ظاهراً ولا باطناً، وذلك لأن الآية الكريمة تشير إلى أن عبيد الله هم الذين ليس للشيطان عليهم تسلط بالكلية ولذلك اشترط ـ والله أعلم ـ في الشيخ المقتدى به أن تكون له معرفة بعلم الظاهر والباطن جميعاً لأنَّه بمَددِ الظاهر يَحْرُس ظاهر أصحابه، وبمدد الباطن يحرس باطنهم حتى لا يكون للشيطان عليهم سلطان في ظاهرهم ولا باطنهم فيخلصون العبودية لله وحده ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة: الآية 5].

ومقام الإحسان داخل في الدين لقوله عليه الصلاة والسلام: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم». ثم إذا غلبت قوة الباطن أدى ذلك إلى حفظ الظاهر من مخالفة الشرائع في جميع الأحيان إلا ما سبق به القضاء والقدر، ولكن الإنابة والتوبة فوراً من حفظ الظاهر أيضاً فهو محفوظ أبداً من غير إشكال. قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: الآية 24] فأفادت فاء ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [ص: الآية 24] سرعة الإنابة، وأفادت فاء ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: الآية 25] سرعة المغفرة لأنه جمع بين إنابة الظاهر بخروره راكعاً وبين إنابة الباطن حيث شهد له الحق سبحانه بالإنابة، ولولا موافقة الباطن للظاهر لم تكن إنابة بالتحقيق.

وأما الذي يضيع الشرائع من أهل الباطن فليس ذلك من قوة الباطن بل من ضعفه، لأن الحقيقة في التحقق بها هي التي جاءت بالشرائع، فالذي يضيع الشرائع لم يتحقق بالحقيقة ويألفها حتى كأنه مفطور على شهودها من أول نشأته بل هو أبله لا يشاهدها في كل شيء، وإنما أسكره استنشاق رائحة عظمتها فغاب عن حسه جملة فأخذت الحقيقة باطنه وطردت ظاهره، ولو أخذته كله لجذبت إليها ظاهره بإقامة الشرائع وباطنه بالجلوس على كرسي

التفريد بتحقيق الحق الأول الظاهر بآثار الصفات، الباطن بأنوار الذات، الأول قبل وجود الكائنات، الآخر الباقي بعد فنائهم، فهو سبحانه قديم الذات لا يعتريه تغير أصلاً وإنما الأولية والآخرية باعتبار وجود الخلق وفنائهم. فالأولية والآخرية راجعان للخلق فقط وأما هو سبحانه فلا أول له ولا آخر له بل هو باق بحاله قبل وجودهم وبعد فنائهم، فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

وأما البداية والنهاية اللذان يقتضيهما لفظ الأول والآخر، فهما راجعان للكائنات التي تقدمها الحق سبحانه بالوجود وبقي بحاله الشريف العظيم القدر حتى هلكت فوقع التعبير عن بقائه تعالى بعد فنائهم بلفظ الآخر.

ثم الذي يكون عبداً لله وحده بظاهره وباطنه، تارة يعتدل ظاهره مع باطنه وتارة يغلب ظاهره على باطنه، وتارة يغلب باطنه على ظاهره.

فالذي يعتدل ظاهره مع باطنه وعلامته القيام بالواجب من الشرائع دون تكثير نوافل الظاهر لاستغراقه في عين الحقيقة هو الذي يستمد الخلق من ظاهره وباطنه، ومن آذاه هلك في باطنه وظاهره أي دينه ودنياه لأنه في حضرة الذات والصفات، فمن آذاه فكأنما هو محارب لنفس الحقيقة لأنها شاملة له مادة سرادق نورها عليه ظاهراً وباطناً سواء.

وأما الذي يغلب ظاهره على باطنه، وعلامته شدة القوة في نوافل الخيرات الظاهرة دون شدة الاستغراق في عين الذات لغلبة آثار الصفات عليه، فهذا يكون استمداد الخلق من ظاهره أكثر من باطنه، فمن خالطه بصدق طهّر الله ظاهره من مخالفة الشرائع أكثر من تطهير باطنه من شهود السوى. ومن آذاه هلك في دنياه وكان هلاك باطنه يسيراً لأن الحقيقة مادة سرادق آثار صفاتها عليه أكثر مما مدت عليه سرادق شهود ذاتها فكأنما هو محارب للحقيقة من جهة آثار صفاتها محاربة حقيقية فأثرت في ظاهره حساً كثيراً وفي باطنه يسيراً لأنها تولت محاربته، من ذلك الإنسان، وهو قوي في حسه بإخلاص ضعيف في معناه.

وأما الذي يغلب باطنه على ظاهره، وعلامته شدة استغراقه في عين

الذات حتى تجده لا يتكلم إلا عليها لا نثراً ولا نظماً ولا يدل في كل أمر إلاّ عليها ولا يحب أن يذكر إلاّ هي، وفي شرائع الظاهر مقتصر على الواجبات قد أصابه فتور عن الظواهر حتى في حوائج نفسه، فهذا هو الذي يستمد الناس من باطنه أكثر مما يستمدون من ظاهره. فمن خالطه بصدق طهر باطنه من الانحياز إلى السوى ورؤيته بالكلية فلا يشاهد إلاّ الحق سبحانه، فصار مقتصراً على الواجب من ظاهره لأنه في عبادة النظرة، وهي لا تساويها عبادة الفكرة التي ساعة منها هي أفضل من عبادة الظاهر سبعين سنة فضلاً من عبادة النظرة. ومن آذاه كان تأثير القدرة في باطنه أشد من تأثيرها في ظاهره ودنياه، لأن الحقيقة مدت عليه سرادق الذات الباطنة التي لا تدركها الأبصار أكثر مما مدت عليه سرادق أنوار الصفات التي هي آثارها فهي تحارب من أذاه منه بأي حال يكون، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالمحاربة».

ولا يحارب الحق سبحانه أحداً إلاّ قهره، لأنه القاهر فوق عباده، وكل من له نصيب من شهود الحقيقة سواء كان أقوى من الظاهر أو أضعف أو مساوياً فهو لله ولي من أوليائه لأنه نالته خصوصية القرب، مِمَّن ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: الآية 103] فضلاً وإحساناً والله يؤتي فضله من يشاء. منحنا الله بفضله المحض وكرمه الخلاص من شوائب العلل والأغراض لكونه كرماً قديماً بجاه النبي وآله عليه وعليهم الصلاة، والسلام.

الرّسالة الثانية والأربعون

الحمد لله، اعلم ـ وفّقني الله وإياك لما فيه رضاه ـ أن الحق سبحانه وتعالى خلق الخلق جميعاً ووسمهم بوسم الحدوث المنبيء بافتقارهم إليه في ذاتهم وصفاتهم وأفعالهم لكي لا يدعي أحد استقلالاً له بذات أو صفات أو فعل دونه سبحانه وتعالى، وكل من ادعى أو ادَّعي فيه وصف ينافي الحدوث أبطله سبحانه. فمن ادعى لنفسه الوجود أعدمه، ومن ادعى القدرة عجزه، ومن ادعى القوة ضعّفه، ومن ادعى الغنى أفقره، حتى يتبين لكل انفراده سبحانه بالوجود لأن الخلق جميعاً مفتقرون في وجودهم إليه والمفتقر في وجوده لغيره

هو في الحقيقة عدم في صفة وجود، ونفي في هيئة ثبوت، وإذا تبين انعدام الخلق لوجوده سبحانه انعدمت حقيقتهم في حقيقته وانعدمت صفاتهم في صفاته وأفعالهم في أفعاله، لأن الكل مستمد من القدرة المتصفة بها الذات العلية الكامنة فيها التي لا يعرفها أحد إلا بظهور آثارها.

وكل يوم ـ أي حين ـ هو سبحانه في شأن، يبديه في العبيد إذ ليس لهم قيام دونه في ذات ولا صفة ولا فعل. ثم اقتضت حكمة الحكيم الذي لا يُسئل عما يفعل، أن يثبت للخلق وجوداً، وإن كانوا عدماً لانفراده بالحقيقة لأجل أن يثبت لهم الصفات والأفعال ويعرضها للأحكام الخمسة من وجوب واستحباب ومنع وكراهة وجواز.

ويعلق الثواب والعقاب بأفعالهم ليبعث بذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام حكمة إلٰهية وسطوة ربانية، وإلا فلو اعتبرت الأفعال كما هي في التحقيق منسوبة لله سبحانه لم يصح اتصافها بجواز ولا حرمة، إذ ليس فوقه سبحانه قاهر يمنعه من بعض الأفعال ويجيز له البعض ويحد له حدوداً يتعين عليه الوقوف عندها، بل هو القاهر فوق عباده، فجاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بما حكم به الباري من نسبة الأفعال للعبيد وتعليق الثواب والعقاب عليها على حسب ما اقتضته حكمة الحكيم لا بحسب الحقيقة، إذ الله خالقهم وما يعملون، فشرعوا لهم الشرائع الظاهرة حتى رسخت فيهم وتنوّر باطنهم بأنوار التوجه لله تعالى وصلحوا للتنبيه لباطن الأمر من كون الأمور لله جميعاً، فحينئذ نبهوا العبيد على ذلك وظهر أنه يقال: هذا فعل فلان وهذه صنعته، قولاً ظاهراً فقط.

والاعتقاد أن الله خالق ذلك عند حركته لا بها، ليصح الجمع بين الشريعة والحقيقة اللذين جاء بهما الكتاب الحكيم والسنّة، فهما شمسان مطلعهما واحد. وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصّلَت: الآية 46]، وهذا حكم الشريعة ظاهراً.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصّافات: الآية 96]، وهذا حكم الحقيقة باطناً.

وعلى هذا فمن نسب الأفعال لله من غير أن يكون للعبيد دخل بطريق العجز فيها فقد ألقى الشريعة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وراء ظهره وألقى الحقيقة أيضاً، لأنها جاءت بها.

ومن نسب الأفعال للعبيد حقيقة فقد ألغى الحقيقة من وراء ظهره وألقى أيضاً الشريعة، لأنها جاءت بها.

ومن قال: إن الإنسان يخلق أفعاله ويتولد عن ذلك وجود الأثر في غيره، فهو من أهل الأهواء الذين هم في ضلال عن مذهب أهل السنّة.

ومن قال: إن الله تعالى يوجد الأثر عند حركة الإنسان لا بها، فهو من أهل التحقيق، وهم أهل السنة الظاهرة.

ومن قال: عندها لا بها وبها عندها، فهو من أهل التحقق وهم الصوفية.

وعلى هذا فمن نسب الأفعال التي جعل الله الخلق وسائط في إيجادها وإعدامها للحق سبحانه صرفاً من غير أن يعبر عن ذلك بعبارة تقتضي نسبتها للخلق ظاهراً كما أمر الله تعالى، فقد ألقى الشريعة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام من وراء ظهره وألقى أيضاً الحقيقة لأنها هي التي جاءت بالشريعة وأثبتتها، فهي مثبتة بإثبات الله لها، نِعم الأمور التي لم يجعل الله الخلق وسائط فيها كإخراج الماء من العيون وإخراج الثمار من العود ونحو ذلك، فتنسب لله حقيقة وشريعة لأن الشريعة لم تجيء إلا بنسبتها لله كما نسبتها الحقيقة لنفسها قرينة على أن نسبة ما توسط فيه الخلق إليهم إنما هي من طريق المجاز لحكمة أرادها سبحانه لا على سبيل التحقيق وليعجز بذلك من يدّعي الألوهية أو تدعى فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ [النحل: الآية 17] وقال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [عَبَسَ: الآيتان 26،25] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البَقَرَة: الآية 258] إلى غير ذلك من الآي الشاهدة لما قلنا.

ومن نسب أفعال العبيد إليهم حقيقة من غير أن يكون في ضميره أن الله خالقهم وما يعملون فقد ألقى الحقيقة من وراء ظهره وألقى أيضاً الشريعة، لأن

الحقيقة هي التي أثبتت الشريعة.

فتلخص من هذا، أن الحقيقة والشريعة شمسان مطلعهما واحد فمن ترك إحداهما ترك الأخرى، وهذا معنى قولهم: «لا تخالف بين الحقيقة والشريعة». والسلام.

الرِّسالة الثالثة والأربعون

الحمد لله. إلى مَن يقفُ على كتابنا هذا من كل أخٍ في الله، ومحبٍّ من أجله من إخواننا الفقراء، والسادات الأجلاء الكبراء، أَمَدَّنا الله وإيَّاكم بعَوْنِهِ، وجعلنا جميعاً من حِزْبِ الله بفضله ومَنِّهِ. وسلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد، فأعلمكم ـ أعلمكم الله خيراً ووقاكم شرّاً ـ أن الليل لا يعادل النهار، وأن الفرس لا يجاريه الحمار، فالذاكر لا يساوي الغافل، والمجد في طلب القرب من الله لا يعانده اللاعب الهازل، وما تفاوتت الناس في مراتب التعظيم عند الحق سبحانه إلاَّ بتفاوتهم في شدة ذكره والحرص على ما يقرب إليه على أي وجه كان وعلى أي حالة أمكن.

وإن الحريص على الله يعلم يقيناً أن الله سبحانه يزيد في قنديل إيمانه زيت اليقين به حتى يموت وقنديل إيمانه مشعول، ومن حصل منه التراخي في الحرص على الله أو عدم المبالاة بما يقرب إليه فليعلم يقيناً أن الحقيقة لم تمد إيمانه بقوة اليقين ويخاف عليه أن يموت إيمانه قبل موته إلا إذا تداركه الله تعالى بلطفه.

وأعلمكم، يا إخواننا وأحباءنا، أن الذاكر لله لا يكون ذاكراً عند المحققين حتى يطير إلى الله بكل جناح ويسافر بسفينة ذكره لله في بحر جريان الأقدار عليه بجميع الرياح، فلا يعثره عن حضوره مع الله عزٌّ ولا ذُلٌّ ولا قَبْضٌ ولا بَسْطٌ ولا فَقْرٌ ولا غنىً ولا عطاء ولا منعٌ ولا مرَضٌ ولا صحة ولا سيئة ولا طاعة ولا اجتماعٌ ولا افتراقٌ ولا فقدٌ ولا وجدٌ ولا غير ذلك من سائر العوارض لأن الشعور بهذه العوارض من أحوال الغافلين.

وأما الذاكر الحقيقي، فإنما له حالة واحدة، وهي الحضور مع الله فقط، ولا تجد عقله مشغولاً بغيرها وإن عرضت له هذه العوارض زادته شغلاً بالله ولا تؤثر فيه شغلاً عن الله فلا تغرق سفينته بهذه الرياح ولا ينكسر له بها عند الطيران إلى الله جناح، ولا يزال العبد الموفق يقوى بشدة ذكره وانحيازه إلى طائفة الذاكرين وحبه لهم حتى تكمل نشأته ويتم أمره كما قدمنا.

فنحبكم ـ أحبكم الله ـ أن تعتنوا بالله عناية كبيرة أسمعها عليكم ويراها الحق سبحانه منكم، وأحيوا رسوم الذكر، أحياكم الله بحياة قلوبكم وعقولكم يوم تموت القلوب وتدهش العقول بجاه مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الرِّسالة الرابعة والأربعون

الحمد لله، أخُونا في الله، ومحبّنا من أجله، السيد الجليل، الفقيه الأستاذ الماجد الأصيل، المعظم المحترم البركة، حفظكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو على ما تفضّل به من نعمه، وأولاه من فيض جوده وكرمه، ونؤكد عليك غاية أن تجتهد في أمر الإخوان بالجمع والتذكير، وأوصِ الجميع بتقوى الله العظيم والمحافظة على اتباع سنّة نبيه الكريم، ومحاسبة النفس الأمارة على دقائق الأنفاس وعدم إهمالها كما أهملها أهل الغفلة من الناس ومهما دعت إلى أمر فتأملوه، فإن كان خفيفاً عليها فاتركوه، وإن كان ثقيلاً فارتكبوه فإنه لا يثقل عليها إلاَّ الخير. وقفوا بباب الحق سبحانه واهربوا إليه في كل حال عزّاً وذلاًّ وفقراً وغنى، ومرضاً وصحة وقوّة وضعفاً وإياكم والنظر إلى غيره فتهلكوا فإنه سبحانه غيور لا يحب أن يرى عبده معلقاً بسواه، ودوموا على الذكر تسرحوا إن شاء الله في جنة وشهود وتزول همومكم وغمومكم ويدوم سروركم وفرحكم كما دام سرور من قبلكم من أكابر الأولياء. والله يوفقنا وإياكم بجاه النبي الكريم والسلام.

الرسالة الخامسة والأربعون

الأخ في الله ومحبنا من أجله الفقيه الأجل الأستاذ الأمثل، أمدنا الله وإياك بتوفيقه وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فنؤكد عليك أيها الأخ غاية التأكيد أن تجتهد في جميع ما لديكم من الدراويش على ذكر الله تعالى الذي تطمئن به القلوب وأن تحضهم على القيام بسنة مولانا رسول الله ﷺ جهد المستطاع لأن كل من ذكر الله تعالى وأكثر من ذِكْره ذَكَره الله تعالى لا محالة بتطهير نفسه من أوساخ الذنوب إذ لا يجتمع طيب الذكر مع رعونات النفوس وخبثها، وكل من نسي الله تعالى وأنساه الله لا تُطهّر نفسه إذ لا يجتمع نسيان الله مع تطهير النفس أبداً، والذاكر لله تعالى لا يزال يرتقي في شهود الحق سبحانه لأنه يستمد من كل شيء من جهة

أنه تشرق عليه أنوار العظمة عن رؤية كل شيء فتزداد قوة حضوره مع الله في كل شيء، بخلاف الغافل عن الله تعالى فإنه يزداد بكل شيء يراه انحجاباً عن الله حتى يموت مطروحاً على فرش الغفلة مغطى بأردية الغيبة عن الله، نعوذ بالله من الحجاب وشدة العذاب بجاه النبي ﷺ والآل والأصحاب وسلم لنا على جميع الأحباب وعلى عهدكم والله يوفقنا وإياكم بجاه النبي الكريم، والسلام.

الرِّسالة السادسة والأربعون

الحمدُ لله. وبعد، فلا يخفى عليكم يا أخي، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث أخاً في الله أحدث الله له درجة في الجنة». وأن التناصح في الدين من آكد مهماته لقوله عليه السلام: «الدين النصيحة»، وما كتبت لك هذا المسطور لظني عدم علمك بما فيه ولكن التذكرة جند من جنود الله تكسب السائر إلى الله قوة في سيره وتسر الواصل لأنه ينبسط بحديث حبيبه وذكره.

فأعلمك، يا أخي، أن الله تعالى إنما كلّف عباده بهذه التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وحج وجهاد وترك الزنا وشرب الخمر إلى غير ذلك من امتثال المأمورات واجتناب المنهيات لأجل أن تصفو بها القلوب وتتخذها زاداً تسافر به لحضرة علام الغيوب حتى تحصل لهم بها معرفة ربهم التي هي فائدة بروزهم لعالم الظهور ووجودهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية 56]. قال ابن عباس: أي ليعرفون.

وفي الحديث القدسي: «كنت كنزاً لم أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، فمن خرج لهذه الدار وأُعيد لدار القرار من غير أن تكون له معرفة بمعبوده، فقد فاتته فائدة ظهوره ووجوده، ومن لم تفض به أعماله وعلمه إلى معرفة ربه وحصول الأنس بقربه فطاعته معلولة، وأعماله مخذولة، وقد خسر الدنيا بالتعب، والآخرة بسوء المنقلب. نسأل الله السلامة والعافية.

فعليكم يا إخواننا وأحباءنا أن تشدوا أيديكم على طاعة ربكم وسنّة نبيكم وأن تذكروا الله ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون لأنكم إذا ذكرتم ربكم ذكركم ربكم وإذا ذكركم ربكم أعطاكم ما تحبون وكفاكم ما تخافون.

ومن المحال أن يجمع الله على عبد خوفين، الخوف منه والخوف من غيره، وإن كان لا غير معه سبحانه كما أنه من المحال أن يجمع له بين أمنين، الأمن منه والأمن من غيره. واعتمدوا على ربكم لا على حسن أعمالكم لأن

الله خلقكم وما تعملون واجعلوا عيون قلوبكم ناظرة إليه سبحانه في جميع أحوالكم ولا تقنعوا من الله إلاَّ بالله ولا تعلّقوا قلوبكم إلاَّ به ولا تطلبوا منه إلاَّ هو لأن أشد الناس طلباً للثواب من الله أكثرهم تقصيراً في محبته إذ لو كان يحبه ما طلب غيره ولا التفت إليه، إذ الله يغني عن كل شيء وغيره لا يغني عنه. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المتحابين في الله الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله، والسلام.

الرّسالة السابعة والأربعون

الحمد لله. حيًّا الله سبحانه بتحية الرضوان وزاكيات الفضل والإحسان ربوعاً أسْفَرت مطالعها عن شمس علَم أشرقت في جميع الأقطار وذلك محل السعد المطلق والمجد المحقق. وبعد، فغير خافٍ على سيدنا الأخ أن للبادي بالسلام مزية صيّرت الرد عليه فرضاً، وشفوفاً، وَوَجْه الطلب بأن يحيّى بأحسن من تحيته إشارة لتضعيف أجر من أقرض الله قرضاً. وإن تجدد الإخاء بين المؤمنين مطلوب. ووقوع المذاكرة بينهم في الله حيث كانت من ناحية الذكر أمر واجب أو مندوب. ثم أنت خبيرٌ بأنه كانت بيننا وبينكم محبة سابقة، وخلة متناسقة، فذهب كل إلى حال سبيله يسعى، وإلى ما قدر له بقادر الأقدار يدعى، وأن رسول الله ﷺ كان يجدد البيعة على أصحابه حيث يعلم انتقالهم من مقام في الصدق مع الله إلى ما هو أرفع منه، فلم يزل كذلك حتى بايعوه على السخاء بالنفوس وذلك من أرفع المقامات التي انتهى إليها المريدون في الصدق مع الله. والجود بالنفس أقصى غاية الجود، وهو نوع من الوله في المحبوب حتى يلقي المحب نفسه دون مطلوب محبوبه ولا يلتفت إليها، ولذلك كانت فعلته تلك شاهدة له بالصدق في حبه وكان مسك الغريق في محبة الحبيب تضوّع من دمه حيث انكشفت حقيقة ما كان عليه دمه في ذلك الوقت تمثل فيه بجريان نور الحق في حقيقته حين ألقى نفسه بالموت عليه وأدبر عن عزه وجاهه وماله وولده، بل عن وجود حياته، فظهر له بواضح العيان أن حياته في العدم وأن لا التفات للحادث إذا لاحت أنوار من له القدم، فكانت مزية شهوده شهادة وفضيلة رؤيته لا تعادلها عبادة، ولذلك كان الدعاء عند الزحف للعدو

والكافر مستجاباً، ما ذلك إلا لوقوعها عن ظهر غيب من المؤمن عن جملة وسعه وحضوره بشهود الحبيب في حضرة قدسه، ولذلك كان الدعاء من العارفين بالله مستجاب لدوام حضورهم في الحضرة وتمتعهم بوجود النظرة، فهم حيث هو وهو حيث هم، أحبهم فأحبوه ونظر إليهم فنظروه، فمنه السابقة، وعليها ترتبت اللاحقة فهم في الناس ليسوا منهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية 247].

وقد ورد علينا يا أخي كتابكم الأرفع، وخطابكم الأنفع، فكان أحسن ما استفدناه منه وقوعنا منكم على بال ودعاؤكم لنا وذلك كله من إحسان الكبير المتعال، ومن كان منه أخ على بال فليعلم أنه منه أيضاً على بال، لأن نظرة القلوب نظرة متحدة ونظرة الأجسام نظرة متعددة، والمؤمن مرآة أخيه فإن تجلّى له تجلّى فيه، وما طلبتم من الدعاء الصالح عن ظهر الغيب فنعمة أنعم الله بها ومنّة تعين الشكر من الرضيع عليها، وإلا فأنّى بأرضك السلام، وما المسؤول بأعلم من السائل، ولكن من يرى لغيره الفضل عليه فهو في الحقيقة الفاضل، ولكن أسعف السؤال وأرجو في تحقيق المراد من لا يقصر كرمه عن تحقيق الآمال فأقول: اللهم احفظني وإياكم في الله وجميع المسلمين حتى لا نشتغل بسواه بجاه مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الرّسالة الثامنة والأربعون

الحمد لله. اعلم أن الشيخ قد يظهر الجلال في بعض الأحيان لأصحابه اختباراً لصدقهم كما أظهره مولانا رسول الله ﷺ لكعب بن مالك وأصحابه، فثبتوا وراودهم الناس على عدم صحبته فلم يلتفتوا. وإن صدق التلميذ مع شيخه على قدر صدقه مع الله، شاهده قول مولانا جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح: الآية 10]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: الآية 80] يختبر العبد على قدر دينه، ومن الصديقين من يختبر بالمؤاخذة بالخطأ كالعمد، ولا يشك أن رسول الله ﷺ لم يزل يرقي أصحابه في الصدق مع الله فبايعوا على الموت وعدم الفرار يوم الزحف فاستوجبوا الرضوان من الله تعالى. قال مولانا سبحانه: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية 18]، وقد وقع لسيدنا آدم ما وقع وقد قال تعالى في حقه: ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه: الآية 115]، وقال رسول الله ﷺ: «تنصلاً من مؤاخذة الخطأ: «اللهم اغفر لي خطأي وعمدي وكل ذلك عندي».

وعلى قدر الهمم تعظم الملاحظة، لكن تدارك الله الأكابر بلطفه حيث علم الصدق من باطنهم فاستمال حالهم في الأحوال كلها إلى الخير، وإنما وأخذهم إظهاراً لشرف صدقهم وعدم انفكاكهم عن حضرته بتأييده لهم وحبه سبحانه لهم فكانوا بسابقة الاصطفاء وتقدم الاجتباء لا يسمحون بمقاماتهم عنه لما جبلوا عليه من حبه وشربوه من الفناء فيه صدقاً معه. قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: الآيتان 23-24] والسلام.

الرّسالة التاسعة والأربعون

الحمدُلله، إلى كافة إخواننا في الله تعالى وأحباءنا من أجله، سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، يا إخواننا وأحباءنا، فأعلمكم الله خيراً ووقاكم شرًّا أن في أوقات الأهوال وكثرة القيل والقال تعرف الرجال من الأطفال، ويتميز الذاكر من الغافل، والثابت مع الله من المتزلزل الداهش الذاهل، لأن هذه الفتن إنما هي امتحان من الله للعبيد ومِعْيار يُعلم به المتراخي ممَّن في جانِب الحقِّ سبحانه قوي شديدٌ، فأحبكم أحبكم الله وثبَّت أقدامنا وأقدامكم وأعلا في مراتب الذاكرين مقامنا ومقامكم أن تكونوا في هذا الوقت أشد لله ذكراً من كل ما سواه من الأوقات لتظهر مزيتكم عند الله تعالى بدوام الذكرِ له والثبات معه في أوقات الفتنة عنه والإهمال لذكره، فإن الذاكر لله تعالى مذكور عنده لا محالة وفي أي وقت ذكرتموه سبحانه ذكركم وعلى أيّ وجهٍ عاملتموه عاملكم وإنّ ذكر الله للعبد على قدر ذكر العبد لله ولذكر الله أكبر وإنّ استحياء الله من العبد على قدر استحياء العبد من الله ولاستحياء الله أعظم لأنكم إذا ذكرتم ربكم ذكركم ربكم، وإذا ذكركم ربكم أعطاكم ما تحبون وكفاكم ما تخافون، ولا أحبكم أن تحبوا من الله إلا إياه وأن لا تخافوا شيئاً إلا البعد عنه، فإن الله تعالى يرزق

العبد على قدر علو همته، ويعامله على حسب مُعاملته لربه، والذي لا يطلب من الله إلا الله همته والله عالية وقيمته في أسواق المحبين لله تعالى غالية، فلا تنظروا يا إخواننا بعيون قلوبكم إلا إليه ولا تعرِّجوا بكليتكم إلا عليه لأنّ من اشتغل بالله أعطاه الله تعالى أفضل ما أعطي السائلين كما في الحديث: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» أو كما قال ﷺ، وافهموا يا إخواننا فهّمنا الله وإياكم فإنّ من أعطاه الله الاشتغال بذكره ودوام اللَّهَج به والنظر إليه والتعلق به فقد أعطاه أفضل من كل شيء وكفاه كل هم من أمر آخرته ودنياه وأراحه من كلفة التدبير وهَموم التقدير، وجعله على سرير المملكة الإلٰهية تُصنع له الصنائع وهو عنها غافل وتُقْضَى له الحوائج وهو لها ناس وعنها ذاهل، كل ذلك لاكتفائه بتدبير الله عن تدبيره وباختياره عن اختياره، وتدبير الله واختياره لا محالة أفضل من تدبير العبد واختياره، ولذلك ترى الذي يدبر لنفسه ويختار خاسراً ولو حصل له ما دبَّره لنفسه لأنه لو ترك التدبير والاختيار لله لحل له أفضلُ مما دبّر لنفسه قطعاً لأن الذي يدبّر المولى سبحانه أفضل مما دبره العبد تحقيقاً وأين تدبير الجاهل من تدبير العالم القادر سبحانه. والسلام.

الرسالة الخمسون(1)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً.

من العبد الحقير إلى سيدنا المنصور بالله المظفر إن شاء الله بعونه، ولي الله تعالى مولانا عبد الرحمٰن الحسني، أكرمنا الله وإياك بكرامة أوليائه، وأمدنا وجميع المسلمين بمدد أصفيائه وأحبائه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(1) لم تُدرج هذه الرسالة الموجهة إلى السلطان المولى عبد الرحمٰن بن هشام العلوي الذي تولى الحكم سنة 1238 في كتاب الشيخ محمد ابن العربي الدلائي وإنما أوردها المؤرخ العلامة الأستاذ حسن داود في كتابه «تاريخ تطوان» المجلد السادس، الصفحة 331 ـ 333 (قائلاً «هذه الرسالة أهدَى إلي نسخة منها أحدُ حفدة الشيخ سيدي محمد الحراق وهو صديقنا الشريف الكاتب الأديب سيدي أحمد بن البشير الحراق حفظه الله).

وبعد، فاعلم سيدنا وحبيبنا أنه ورد على ثغر تطوان الأخ في الله مولاي الجلاني وكان من قضاء الله في سابق علمه أن نزل قريباً من منزلنا ولقينا وأخبرنا من أحوالكم بأخبار حسنة وسيرة مستحسنة تدل على مقام الولاية من الله سبحانه إليكم، لا منكم إليه لأنه لا يثبت على الحضور مع الله في مقام الإمارة إلا الفرادى من الناس الذين تولاهم بسابق العناية، ولا والله ما حدّثنا بأحسن مما كنا نعتقده فيكم قبل إخباره، وذلك بإلقاء الله سبحانه في قلوبنا، أحببنا أم كرهنا، وإنا لنوقن أن تلقيات القلوب يصدقها شاهد الحكمة، لأن القلب إذا كان على بينة من ربه حين الإلقاء فيه تلاه بالتحقيق شاهد منه، وعنه صلى الله عليه وسلم أن المؤمن مرآة أخيه، نفهم منه أن قلب المؤمن من تنطبع فيه صورة من يكون أخاه في الله وأحواله وأكوانه وعوالمه جميعاً حتى كأنه حاضر بين يديه هي فراسة المؤمنين، ولما وقع تصديق كلمات الباطنة بلطافتها عن مظاهر الألسنة بظهور ذلك في عالم الأكوان حملتنا شدّة البسط بذلك على مد يد الأخوة في الله إليكم وبسط اللسان بمذاكرتكم حرصاً على حب زيادة الخير لكم، لأن مقام الإمارة عظيم الفتنة، إلا من عصمة الله، ولأن المسلمين محتاجون إلى أمثالكم، فسدادكم سداد الجميع، فنحبكم أحبكم الله أن تثبتوا على ما أنتم عليه من القيام بوظائف العبودية لتستمدوا من أوصاف الربوبية، لأن شكر النعمة بالحال لا بخصوص المقال، ولأن الله تعالى جعل الأضداد كامنة في الأضداد، فجعل العلو كامناً في الحنو والعز كامناً في الذل إلى غير ذلك من الأوصاف العلوية مع الأوصاف السفلية، فمن عظمت فيه الأوصاف السفلية عظمت فيه الأوصاف العلوية وأغطيت بها حتى ترى الإنسان لا يعتقد أذل منه وهو يُرَى لا أعز منه.

والحقيقة يا سيدي كما تكون معها تكون معك، فإن استعليت استعلت وإن تواضعت تواضعت، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية 4] وهي البارزة في مظاهر الكون جميعاً إذ لا وجود إلا بها، فإذا كنت معها على وصف رأيت الكون جميعاً فاعلاً مثله معك، وإذا قمت بحقوقها على قدر المستطاع من جهة العجز وضعف البشرية قامت بحقوقك على قدر المستطاع من جهة كمال القدرة وعزة الربوبية فتكون وفق ما ضيعت، والحاصل يا سيدي كن معه كما يحب

يكن معك كما تحب، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمّد: الآية 7] وإذا تركت من أجله المحاب ترك من أجلك المكاره، وإذا أخذت بيد شريعته أخذ بيد حقيقتك، فيورثك علماً لم تكن تعلمه وفهماً لم تكن تفهمه وحكمةً لم تكن تنطق بها وعزاً لم يكن لك على بال ونصراً بدون مال ولا رجال، ولكل مقام مقال وعمل وحال، فكلما ازدادت النعمة نحبك تزيد في رعاية الحرمة. وعظّم جانب الله ما أمكنك يعظمك الله ما أمكنه والجميع داخل في خير إمكانه كما خارج عن خير إمكاننا إلا بفضله وكرمه. وإن كان ولا بد من مدارات من تترقب النصر به فدار الملك الجليل الذي يُبرز البعوضة بزينة الفيل يغنيك بنصره عن جميع الأنصار بانحياز الكون جميعاً إليك والقيام بطاعتك كما قمت بطاعته والانحياز إليه، ولذلك سبحانه حصر النصر فيه فقال: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126] فكلما سكن القلب إليه وانجمع بكليته عليه رأى من عجائب القدرة ما يقطعه عن الأسباب شهوداً وإن كان يقول بها ستراً للقدرة، ومن عجز حتى رأى أن العبودية قامت بربها أراه الحق سبحانه أن الربوبية قامت بنفسها ولم تحتج في أمورها إلى شيء سواها لاستغنائها بذاتها.

ونؤكد عليكم يا سيدي غايةً أن لا تنتصف لله من الناس حتى تنتصف لله من نفسك، وأظنك إذا انتصفت لله من نفسك رحم الله بك الخلق جميعاً وصرت عيناً من عيون الله ينظر الله بك في خلقه.

وهذا ما أوجب الله علينا لأئمة المسلمين من بذل النصيحة وحب الخير، زادك الله خيراً إلى خيرك وبراً إلى برّك، وادع لنا يا سيدي بخير بالفضل منك، وعلى الله مكافئتك. والسلام.

الباب الثاني

ديوان الشيخ أبي عبد الله
محمد بن محمد الحرّاق الحسني
1261هـ - 1844م

صنعة محمد بن العربي الدّلائيّ الرّباطي
1285هـ - 1868م

نشر وتقديم
الدكتور جعفر ابن الحاج السُّلَميّ
أستاذ محاضر بكلية الآداب بتطوان

الباب الثاني

ديوانه

- 1 -

[الطويل]

1 - أتطلُبُ ليلى وهي فيكَ تجلَّتِ
وتحسِبُها غَيْراً وغَيرَكَ ليْسَتِ
2 - فذا بَلَهٌ في ملَّةِ الحُبِّ ظاهِرٌ
فكن فَطِناً، فالغَيْرُ عينُ القطيعَةِ
3 - ألم ترها ألْقَت عليك جمالَها
ولو لم تَقُم بالذات منك اضمحَلَّتِ
4 - تقول لها: اذنُ، وهي كُلُّكَ، ثم إن
حَبَتْكَ بوصْلٍ، أوهَمَتْك تدلَّتِ
5 - عزيزٌ لِقاها، لا ينالُ وصالَها
سوى من يرى معنى بغير هُويَّةِ
6 - كَلِفتُ بها، حتى فَنِيتُ بحُبِّها
فلو أقْسَمَتْ أنّي إياها لَبَرَّتِ
7 - وغالَطْتُ فيها الناسَ بالوهم بعدما
تبيَّنْتُها حقاً بداخِلِ بُرْدَتي
8 - وغطَّيتُها عني بثوْبِ عوالِمي
وعن حاسدي فيها لشِدَّةِ غَيْرَتي
9 - بدِيعَةُ حُسْنٍ لو بدا نُورُ وجهِها
إلى أكْمَهٍ أضحى يرى كلَّ ذرَّةِ

10 ـ تحلَّتْ بأنواع الجمالِ بأسرها
فهامَ بها أهلُ الهوَى حيثُ حلَّتِ

11 ـ وحَلَّتْ عُرى صَبْري عليها صبابَةً
فأصبحتُ لا أرْضَى بصَبْوَةِ عُزْوَةِ

12 ـ ومن ذا من العشَّاقِ يَبْلُغُ في الهوى
مَرامِي فيها أو يُحاوِلُ رُتْبَتِي

13 ـ وبي من هواها ما لو أُلْقِيَ في لَظَى
لذابَتْ لظَى منه بأضْعَفِ زفْرَةِ

14 ـ وبالبحرِ لو يُلْقى لأصبحَ يابِساً
وبالشُّم دُكَّتْ، والسَّحابِ لجَفَّتِ

15 ـ ذَهِلْتُ بها عني فلم أرَ غيرها
وهِمْتُ بها وَجْداً بأولِ نظرَةِ

16 ـ ولمَّا أزَلْ مُسْتطلِعاً شمسَ وجهِها
إلى أن تراءَتْ من مطالِعِ صورَتِي

17 ـ فغاب جميعي في لطافَةِ حُسْنِها
لِأنْ كُنتُ مشغُوفاً بها قبلَ نَشْأتي

18 ـ فدَعْ عاذِلِي فيها المَلامَ فإنَّما
عذابي بها عَذْبٌ وناري جنَّتِي

19 ـ وإن شئتَ لُمْ فيها فلستُ بسامِعٍ
دُهِيتُ فلم يُمْكن إليك تَلَفُّتي

20 ـ وكيف أُصِيخُ للملامَةِ في التي
عليها جيوبي في الحقيقة زُرَّتِ

21 ـ وكنت بها مُغْرًى أراها حبيبَةً
إذا إنَّها واللَّهِ عينُ حقيقتي

22 ـ وفيها ادَّعيتُ العينَ في مذهبِ الهوى
وقـطَّـعْـتُ رسْـمِـي كـي أصـحِّـحَ حُـجَّـتـي

23 ـ وأصبحتُ معشوقاً وقد كنتُ عاشِقاً
لأن ظُـهُـوري صـار أعـظـمَ زَلَّـتِـي

24 ـ بـهـا سـمِـعَـتْ أُذْنِـي وأبْـصَـر نـاظِـرِي
فـعـايَـنْـتُـهـا مـنـهـا إلـيـهـا تـبـدَّتِ

25 ـ وفـي خَـانـهـا دارت عـلـيَّ كُـؤُوسُـهـا
فـصِـرْتُ بـهـا أسْـمُـو عـلـى كـلِّ ذَرْوَةِ

26 ـ وما أبْصَرَتْ عيناي للخَمْرِ جامَهَا
لأن جـامُـهـا مـنـهـا لـهـا عَـيْـنُ حِـكْـمـةِ

27 ـ تـلألأ مـنـهـا كـلُّ شـيءٍ فـمـا أرَى
سـوى نُـورِهـا الـوقَّـاد فـي كـلِّ وِجْـهَـةِ

28 ـ أبـاحَ لـيَ الـخـمَّـارُ مـنـه تـفـضُّـلاً
جـنـاهـا، فـصـار الـشُّـرْبُ ديـنـي ومِـلَّـتـي

29 ـ فإن شئتُها صِرْفاً شرِبْتُ، وإن أشَا
مـزَجْـتُ، لأنَّ الـكـل فـي طـيِّ قَـبْـضـتـي

30 ـ وإن شئتُ أطوِي الكَوْنَ طيّاً، وإنْ أشَا
نـشَـرْتُ جـمـيـع الـكـائـنـاتِ بِـنَـظْـرَتـي

31 ـ شَـرِبْـتُ صـفـاءً فـي صـفـاءٍ ومـن يُـرِدْ
من الـقـومِ شُـرْباً لـم يـجـد غـيـر فَـضْـلَـتـي

32 ـ تـقـدَّم لـي عـنـد الـمُـهَـيْـمـن سـابـقٌ
من الـفـضـلِ واسـتـدعـاهُ حُـكـمُ الـمَـشـيـئَـةِ

33 ـ فـلِـي عـزَّةُ الـمُـلـكِ الـقـديـمِ لأنـنـي
بـعِـزَّةِ ربِّـي فـي الـعـوالِـمِ عـزَّتـي

34 ـ ولي مَقْعدُ التَّنْزِيهِ عن كلِّ حادِثٍ
وَلِي حضْرةُ التَّجْريدِ عن كلِّ شِرْكةِ

35 ـ جلستُ بكرسيِّ التَّفرُّدِ فاسْتَوى
من اللَّه عرشٌ لي على ماءِ قُدْرتي

36 ـ تراني ببطْنِ الغَيْبِ إذ أنا ظاهِرٌ
وما ثَمَّ غيري ظاهِرٌ حين غَيْبَتِي

37 ـ تجلَّيْتُ من لوْحِ البطونِ ولم يكن
تجلِّيَ منه غير تحقيق حِكْمةِ

38 ـ لأنِّي قَبْلَ الكونِ إذ أنا بعدَهُ
ولم يكُ كوْنٌ غيرَ تلْوِينِ بَهْجَتي

39 ـ تجلَّيْتُ قبلُ باسمِ لَوحِ القضا كما
تجلَّيْتُ بعدُ باسم نارِي وجنَّتي

40 ـ ترامَتْ بأنوارِي المقاديرِ إنَّني
عجِيبٌ بدَتْ في كَثْرَتي أحَدِيَّتِي

41 ـ وخَمْرِي أثارَتْ في الجميعِ ضياءَها
وحقّاً بأنواعِ الوجودِ استَبَدَّتِ

42 ـ مُدامٌ تُزِيلُ الهَمَّ وهي بِدَنِّها
ويَنْشطُ كلُّ الكونِ منها بنَفْحَةِ

43 ـ تراها بحَشْوِ الكأسِ، وهي زجاجةٌ
ولو لم تكن فيه لذابَ بسُرْعةِ

44 ـ بها هُوَّ ممسوكٌ، وقد مُسِكَتْ به
تلوُّنُ كأسي من تلوُّنِ خَمْرتي

45 ـ تلطَّفَ منها إذْ سَرَى منه نُورُها
فتَحْسِبُها شمساً على البدْرِ دَرَّتِ

46 ـ ومن عَجَبٍ كأسٌ هو الخمرُ عينُها
ولكنه يبدو على شكلِ دُرَّةِ
47 ـ فيَحْسِبُهُ الرَّاؤُونَ غير مُدامَةٍ
لشدَّةِ آفاتٍ بعينِ البصيرَةِ
48 ـ ولو صَفَتِ الأسرارُ منهم لأبصروا
لطائفَ أنوارٍ بأشكالِ قُذْرةِ
49 ـ بدَتْ برياضِ المُلكِ أزهارُ مائِها
وبالوهْمِ يبدو الزَّهرُ غيرُ المائِيَةِ
50 ـ فإن شئتَ أن تَنْفيه فاترُك خواطِراً
تجُولُ لفِكْرٍ لم تكن في الحقيقةِ
51 ـ ولكن أتَتْ من عالَمِ الحُسْنِ فاستوتْ
على القلبِ عيناً، وهو عالَمُ غفْلَةِ
52 ـ وطِرْ عن حَبالاتِ التفكُّر في الوَرَى
لكي لا تُرَى مُسْتوثِقاً لم تَفَلَّتِ
53 ـ وكُن بمَقاماتِ الرِّجالِ بظاهِرٍ
ولا تَكُ يوماً حذْوَ كلٍّ بفِكْرَةِ
54 ـ فكم زاهِدٍ ألقاهُ في الليلِ زُهْدُهُ
تفكُّرُهُ فيه أتاهُ بظُلْمَةِ
55 ـ وَذِي طاعَةٍ قُصَّتْ جوانِحُهُ بها
وعِيقَ عن المولى بلَحْظِ الفضيلةِ
56 ـ ولم يَصْفُ زُهْدٌ لا ولا عَملٌ لمن
يَرى نفسَهُ في زُهْدها قد ترقَّتِ
57 ـ لأنَّ الذي يأتي بِبِرٍّ ولا يرَى
به اللَّهَ آتٍ فاتحٌ بابَ فِتْنَةِ

58 ـ ولم يَصْفُ أيْ يَخْلُصْ من الجهل أمرُهُ
ولم يُلْفَ إلاَّ في غياهِبِ رِيبَةِ
59 ـ لأن فِعْلُنا، ما لم نَرَ اللَّهَ فاعِلاً
على الشَّكِّ بالمعبودِ في كلِّ وِجْهَةِ
60 ـ لفُقدانِ إخلاصٍ به اللَّهُ آمِرٌ
وذلك إفْرَادُ الإلٰهِ بخدمَةِ
61 ـ ولم يكُن الإفرادُ يوماً لعامِلٍ
إذا نفْسُهُ في ذلك الفِعْلِ عنَّتِ
62 ـ لأنَّ إلٰهَ العرشِ عمَّ وجودُهُ
ولمَّا يكُنْ شيءٌ سواهُ بمُثْبَتِ
63 ـ ولم يَخْصُصِ الأعمالَ باللَّهِ مَنْ يَرَى
شريكاً له فيها بمِثْقالِ ذرَّةِ
64 ـ ويا عجَباً كم تَدَّعي أحَدِيَّةً
وهي على التحقيق غايةُ وحْدَةِ
65 ـ ولما تكن في اثنينِ واللَّهِ غايةٌ
فكيفَ إذا أثْبَتَّ نِسْبَةَ كَثْرَةِ
66 ـ ألَمْ تَرَهُ يَنْهَى عن اثنينِ خَلْقَهُ
وشِرْكُ ذوي التَّثْليث بادٍ بحُجَّةِ
67 ـ فدَعْ عنك أقوالاً ترى إن أتيتَها
أخا ظَمإٍ يوماً سراباً بقِيعَةِ
68 ـ وألْقِ لنا أذْنَ الفؤادِ مُصِيخَةً
وَعِ القولَ مني واستمِعْ لنصيحَتي
69 ـ إذا شِئْتَ أن تَلْقى السعادةَ والمُنَى
وتبلُغَ ما عنهُ الرِّجالُ تولَّتِ

70 ـ فطَهِّرْ بماءِ الذِّكْرِ قلبَكَ جاهِداً
بصِدْقِ اللَّجَا واغسِلهُ من كلِّ عِلَّةِ

71 ـ ومكِّن بكفِّ الشَّرْعِ أمرَكَ كلَّهُ
فدونك إن لم تفعلِ البابُ سُدَّتِ

72 ـ ودَعْ ما مضى إن تُبْتَ لا تكترِثْ به
ولا تلتفِتْ في طاعَةٍ لمَثُوبَةِ

73 ـ وشَمِّرْ ذُيولَ الحَزْمِ للَّهِ طالباً
ولا تقصِدَنْ حظاً بسَيْرِ الطريقةِ

74 ـ فمن عمَهِ القُصَّاد بل من عماهُمُ
توجُّهُهُمْ نحو الحُظُوظِ الدَّنِيَّةِ

75 ـ ومن يَبْتَغ غير الإلٰهِ بسَيْرِهِ
إليه تراهُ راجعاً أيَّ رَجْعَةِ

76 ـ بأن ينتهي للوَهْمِ والباطِلِ الذي
له نَفسُهُ عند البدايَةِ أمَّتِ

77 ـ ومن ثَمَّ كانت عادَةُ اللَّهِ في الذي
يؤُمُّ سِوَاهُ دائِماً نَيْلَ خَيْبَةِ

78 ـ فيَحْرِمُهُ ما أمَّ إذ هو لم يكنْ
ولا يَصِلَنَ للَّهِ مِنْ فقْدِ نيَّةِ

79 ـ فذا عدمٌ محضٌ وذا لم يؤُمَّهُ
فصَفْقَتُهُ، واللَّهِ، أخسَرُ صَفْقَةِ

80 ـ فسِرْ في أمانِ اللَّهِ للحقِّ مُسْرِعاً
وكن مُعْرِضاً عن ذي الأمُور الشَّنِيعَةِ

81 ـ كحِرْصٍ على مالٍ وحُبِّ ولايَةٍ
وكثْرَةِ أصحابٍ ونيلِ المَزِيَّةِ

82 ـ وغِبْ عن شهودِ الذَّاتِ منك ووصْفِها
وصَلْ على الكُلِّ تَنَلْ كُلَّ رِفْعَةِ
83 ـ وكن مُفْلِساً من رُؤْيَةِ الكونِ كلِّهِ
تكن بإلٰهِ العَرْشِ أغْنَى البريَّةِ
84 ـ فلمْ يفتقِرْ من جاءَ بالفَقْرِ ذا الغِنى
ولن يَغْنَ من يأتي إليه بثَرْوَةِ
85 ـ وكلُّ مقامٍ لا تُقِمْ به فِكْرَةً
ودَعْ كلَّ حالٍ فيه نفسُكَ حَلَّتِ
86 ـ إلى أن تَرَى ما كنتَ من قبلُ هارِباً
بفِكْرِكَ منه نَفْسَ عينِ الحقيقَةِ
87 ـ وتُبْصِرَ ربّاً قد أحاطَ بما تَرَى
وجُوداً على التَّحقيقِ من غيرِ مِرْيَةِ
88 ـ وتنظُرَ نوراً فائِضاً من حقيقةٍ
تلوَّنَ ألواناً لإظهارِ حِكْمَةِ
89 ـ وتعلَمَ أنَّ الكَونَ ليس بكائِنٍ
لأجلِ دخولِ الكلِّ تحت الماهِيَةِ
90 ـ وتُوقِنَ أنَّ الكأسَ خَمْرٌ ولا تَرَى
سِوَاهُ فما أحْلَى لقاءَ الأحِبَّةِ
91 ـ وأنَّكَ سِرُّ الكُلِّ والسرُّ ذاتُهُ
وأنَّكَ أنتَ العينُ في بَيْنِ صنْعَةِ
92 ـ وأنَّكَ موصولٌ ولا ثَمَّ واصِلٌ
ولكنْ معاني الذاتِ بالذاتِ حَفَّتِ
93 ـ تناهَتْ إليها بعدما احتجَبَتْ بها
ومنها التَّناهي كان أوَّلَ مرَّةِ

94 ـ أبَتْ أنْ تراها عيْنُها وهي عينُها
وفي ذا كمالُ القُدْرةِ الأزليَّةِ

95 ـ وتظهَرُ إن شاءَتْ إليه بحالِ ما
به احتَجَبَتْ عنها بسَطْوَةِ عِزَّةِ

96 ـ بدَتْ بجَمالٍ مِن كمالِ صفاتِها
فأهْدَتْ به مَنْ بالعنايَةِ خصَّتِ

97 ـ ولو لم تجَلَّ بالصِّفاتِ لما اهْتَدَى
لعِرفانِها، واللَّهِ، فَهْمُ الخليقَةِ

98 ـ لأنَّ تجلِّي الذَّاتِ يَمْحَقُ نُورُهُ
جميعَ الذي يبدو له بالذَّتِيَّةِ

99 ـ ألم ترَها لمَّا تجلَّت بذاتِها
لِطُورِ كَليمِ اللَّهِ للصَّخرِ دَكَّتِ؟!

100 ـ وخَرَّ لذاكَ الدَّكِّ مُوسَى كَلِيمُهُ
فعوَّضَ صَعْقُ الطُّورِ عن صَعْقِ نَفْخَةِ

101 ـ لأنَّ تجلِّي الذَّاتِ نفخَةُ صُورِها
به تُبْدَلُ التَّلطِيفَ كلُّ كثِيفَةِ

102 ـ ومِن ثَمَّ كانت نشأةُ الخَلقِ أولاً
تُهَدُّ ونَشأ العرضِ نفخةُ بِغْتَةِ

103 ـ فتُدْرِك ما لم تَدْرِ مِن قبلِ بَعثِها
ويعلَمُ منه الغَيْبُ نفسَ البديهَةِ

104 ـ لأن مُدرِكُ الأنوارِ من عينِ نُورهِ
على قَدْرِهِ يبدُو له في الحقيقةِ

105 ـ ألَمْ تَرَ خيرَ الخَلقِ أبْصرَ خِلَّهُ
تنزَّلَ حتَّى كانَ في المَلَكيَّةِ

106 ـ وأصحابُهُ لما عَلَوا باتِّصالِهِ
فلم يغدُ منهُم واحِدٌ حُسْنَ دَحْيَةِ
107 ـ وإن لم يروا جِبريلَ إلاَّ عَشِيرَهُمْ
على أنَّهم في النَّاسِ أفضَلُ أمَّةِ
108 ـ فكيفَ يرى خلقٌ حقيقةَ أحمدٍ
ولكنْ يَرَى ظِلاً من البشرِيَّةِ
109 ـ لأنَّهُ صَوْنُ السرِّ بل سِرُّ صَوْنِهِ
والأنوارُ طُرّاً من سناهُ استمدّتِ
110 ـ عليه يدُورُ القُطبُ وهو بسرِّهِ
يدُورُ عليه الكونُ في كلِّ لَمْحَةِ
111 ـ ترى حُكمَهُ باللَّهِ في الخلقِ نافِذاً
لأنَّه صار فيهِمُ أصْلَ نشأةِ
112 ـ ترقَّى إلى أن صارَ للكلِّ جامِعاً
لسِرٌّ أتى من هِمَّةٍ أحْمَدِيَّةِ
113 ـ وأصْلُ وجُودِ الشيءِ رحْمَةُ نَفْسِهِ
لذلِكَ كان رَحْمَةً للبَرِيَّةِ
114 ـ ورَحْمَتُه من رَحْمَةِ المُصْطَفى أتَتْ
لأن سِرُّهُ من سِرِّ عينِ لرَحْمَةِ
115 ـ لذلك كان القُطبُ يُبْصَر دائماً
له سرُّ الاستِخْلافِ في كلِّ بَرْزَةِ
116 ـ لأنَّهُ عن خَيْرِ الأنامِ خليفَةٌ
وهو عن الرَّحمْنِ خيرُ خليفَةِ
117 ـ فنُورٌ سَرَى في الكونِ صُورَةَ أحمَدٍ
به تَهْتَدِي لِلَّهِ كلُّ بَصيرَةِ

118 ـ فهو الهُدَى والنورُ من حيثُ أنَّه
علـى ذاتِـهِ تُجْلـى معـانـي الـحـقـيـقـةِ

119 ـ فـلا مُـهْـتَـدٍ إلاَّ بـأضـواءِ نـورِهِ
لأنَّ نُـعُـوتَ الـنُّـورِ بـابُ الأدِلَّـةِ

120 ـ وهي على التَّحقيقِ واللَّهِ وصْفُهُ
ومـن ثَـمَّ كـان الـفـتـحُ مـنـه لـحَـضْـرَتـي

121 ـ فَمَنْ حقَّهُ نورُ الرَّسُولِ يَخُوضُ من
بـحَـارِ شُـهُـودِ الـذَّاتِ فـي كـلِّ لُـجَّـةِ

122 ـ وتُـنْـهَـى إلـيـه فـي الأنـامِ رِيـاسَـةٌ
قـد اسْـتَـشْـفَـلَـتْ فـي عـزِّهـا كـل رُتْـبةِ

123 ـ ومن قد أتى من غير نُورِ محمدٍ
فـأقْـدامُـهُ فـي مَـهْـوَةِ الـغَـيِّ زلَّـتِ

124 ـ يَرُومُ دخُولَ الدارِ من غير بابِها
ويَـطْـلُـبُ هَـدْيـاً بـالأمُـورِ الـمُـضِـلَّـةِ

125 ـ ولولا سَنًى منها لما وصلتْ بنا
سـنـابِـكُ أفْـراسِ الـقُـلُـوبِ الـمُـجِـدَّةِ

126 ـ لنحو حِماها وهي في مَنْعَةِ الهوى
وصَـونِ شُـفُـوفِ مـن سـيـوفِ أعِـزَّةِ

127 ـ فلذَّ اغْتِرابي في اقْتِرابِ حبائِبي
وهـانَ عـذابِـي إذْ عـذابِـي شِـقْـوَتـي

128 ـ أوَارِي غَرَامِي عن هواجِسِ عاذِلِي
فتـكْـشِـفُ عـن سِـرِّي حـقـائـقُ سـيـرَتِـي

129 ـ ويَـعْـذِرُنـي مـنـه صِـوانُ تَـجـلُّـدِي
فـتَـعْـذِرُنـي مـن سـرعـةِ الـسَّـكْـبِ عَـبْـرَتِـي

130 ـ وما كنتُ أدري حين أذْرِي مدامِعِي
بأنَّ سرايا الطَّرْفِ من جيشِ رَقْبَتي

131 ـ وأنَّ شُؤُونِي عن شُؤُونِي عَبَّرَتْ
إذا عَبَرَتْ في التِّيْهِ أخْدُودَ وَجْنَتي

132 ـ توَسَّدْتُ من جسمي الأمانَ لأنَّهُ
إذا ما فَنَى في الحُبِّ في زِيٍّ مَيِّتِ

133 ـ وأن حياةَ الرُّوحِ عنه خفِيَّةٌ
إذا أنَّهُ لمَّا فَنَى فيه حلَّتِ

134 ـ وصار بِسِرِّ الذَّوْقِ من عينِ ذاتِها
ونالَ بقاءً إذْ رمى بالبقِيَّةِ

135 ـ ووافَقَها فيما يَعُمُّهُما معاً
ودَاما جميعاً بين خَفْضٍ ورِفْعَةِ

136 ـ فهذا بِعَيْنِ الذَّاتِ نافِيَ دائماً
وهذا بنُورِ العينِ في العينِ مُثْبَتِ

137 ـ فأضحَى الوَرَى لمَّا رَوَى كُلُّ واحِدٍ
رِوايَتَهُ قِسمَيْنِ في نوعِ عَشْقَتِي

138 ـ فمِنْ قائِلٍ هذا يُحِبُّ بُثَيْنَةً
ومِنْ قائلٍ هذا كُثَيِّرُ عَزَّةِ

139 ـ رأوْا من ثبَاتي في ثباتِ توَلُّهي
فأوقَعَهُمْ في الوَهْمِ فَهْمُ تَثَبُّتِي

140 ـ ولمَّا أبَى كُنِّي يُكِنُّ هَوَايَ بل
يُذِيعُ جميعاً للوُشاةِ سَرِيرتي

141 ـ وأصبحَ أفواهاً تُنَاجِي بكُلِّ ما
له صارَ أسْماعاً على خَلْفِ إمْرَتِي

142 ـ فإنْ أنْهَ نُطْقِي أنه ما كان مُودِعاً
سِواهُ وذَاعَ السِّرُّ من كلِّ جُمْلَتِي

143 ـ تيَقَّنْتُ إذْ لم يَبْقَ مني كاتِمٌ
بأنَّ اسْتِتَارِي في الغَرَامِ فَضيحَتِي

144 ـ وصِرْتُ إذا لم يَسْتُرِ الشمسَ ظِلُّها
أصانِعُ عن دَرْءِ الهَوَى بصَنِيعَتِي

145 ـ وأعْلَمُ أنِّي بالمعالِمِ جاهِلٌ
وأنْكِرُ في كُلِّ اختِبَارِي خِبْرَتِي

146 ـ وأسألُ أهلَ الحيِّ عن جِيرَةٍ لها
لتَبْرِيدِ تَبرِيحي وإطفاءِ لَوْعَتِي

147 ـ أغَالِطُهمْ في فِتْنَةِ الفَرْقِ إنَّ فِتْـ
ـيَةَ الجَمْعِ ليسَتْ في الصَّبابَةِ فِرْقَتِي

148 ـ بَدَا غَيُّهُمْ من عَيْنِهم فتواتَرَتْ
عليهم سِهامُ البَيْنِ من عينِ نُقْطَةِ

149 ـ ولو جرَّدُوا من نُقْطَةِ الغَيْنِ عَيْنَهُمْ
لفازُوا بتَفْرِيدٍ به الذَّاتُ جَلَّتِ

150 ـ وشاهَدَ كُلٌّ عَيْنَهُ عينَ حِبِّهِ
وأفضَلُ خَلْقِ اللَّهِ عَيْنُ الوسِيلَةِ

151 ـ ولكنْ إلى أنوارِهِ الكُلُّ يَنْتهي
فَفِيهِ حقائِقُ الكِرامِ تَرَقَّتِ

152 ـ عليه صلاةُ اللَّهِ ثمَّ سلامُهُ
وآلِهِ والأصْحابِ في كلِّ لحْظَةِ

153 ـ وأزْواجِهِ والتَّابِعِينَ جميعِهِمْ
وأمَّتِهِ الغَرَّاءِ أفْضَلِ أمَّةِ

* * *

ـ 2 ـ

[الطويل]

1 ـ وأحْسَنُ أحوالِي وثُوقي بفَضْلِكُمْ
وأنِّي على أبوابِكُمْ أتَمَلَّقُ

2 ـ فللَّهِ ما أحْلَى السؤَالَ لفاضِلٍ
عَظِيمِ النَّدا منه العطاءُ مُحَقَّقُ

3 ـ فلا عَفْوُهُ عن زَلَّتِي مُتقاصِرٌ
ولا فضْلُهُ عن فُسْحَةِ القصدِ ضَيِّقُ

4 ـ لهُ خُلُقٌ أنْ لا يُخَيِّبَ سائِلاً
وَجُودٌ به كلُّ العوالِمِ يَغْرَقُ

5 ـ فوالَّهِ ما جُودٌ يكونُ سجيَّةً
ومَن ذي غِنىً يَحْلُو إليهِ التَّصَدُّقُ

6 ـ كجُود الذي يُعْطِي القليلَ تَكَلُّفاً
من البُخْلِ إلاَّ أنَّهُ يتخَلَّقُ

7 ـ فَلُذْ بالَّذِي يَبْغِي المُلِحَّ لفَضْلِهِ
ويَغْضَبُ إن عنهُ العُفاتُ تفرَّقُوا

8 ـ وعُذْ بالذي يَسْتحقِرُ الكونَ كلَّهُ
عطاءً إذا القُصَّادُ بالبابِ حَلَّقُوا

9 ـ وكن ساكِناً يا صاحِ إن كنتَ كَيِّساً
إليهِ ودَعْ مَنْ بالسِّوَى يتعلَّقُ

10 ـ فَذُو فاقَةٍ واللَّهِ ليس بنافِعٍ
لذي فاقَةٍ إذ فَقْرُهُ بهِ مُحْدِقُ

11 ـ وداوِمْ على ذِكْرِ الغَنِيِّ حقيقةً
تكن ذا غنًى فالطَّبْعُ للطَّبْعِ يَسْرِقُ

12 ـ ولا تَعْدُ عنه في أمُورِكَ كلِّها
فمن يَعْدُ عنه فهْو واللَّهِ أحْمَقُ

13 ـ لأن ذِكْرَهُ كم أثْمَرَتْ نخلاتُهُ
من الخَيرِ حتى صار للحُجْبِ يَمْحَقُ
14 ـ فأضْحَتْ به عينُ العُبَيْدِ قَرِيرَةً
بقُرْبٍ له كلُّ الخليقةِ يَغْشَقُ
15 ـ ونالَ الذي يَهْوَى وما ثَمَّ غَيْرُهُ
رَقِيبٌ وبابُ البَيْنِ بالفَضْلِ مُغْلَقُ
16 ـ تقرَّبَ حتى صارَ مُتَّحِداً به
فأصْبَحَ في كُلِّ الملامِعِ يُشْرِقُ
17 ـ تقدَّمَ حتَّى صارَ للكُلِّ آخِراً
تأخَّر حتى صار للكُلِّ يَسْبِقُ
18 ـ بهِ ولهُ منه المظاهِرُ أفْرِدَتْ
فمِنْهُ له عنه إذاً تتفَرَّقُ

* * *

ـ 3 ـ

[الطويل]

1 ـ سَلُوا الحُبَّ عنِّي هل أنا فيه مُدَّعِي
فإنَّه يدري في الصبابَةِ مَوْضِعِي
2 ـ ويعلَمُ حقاً أنَّ لي أحبَّةً
أحبُّهُم بالطَّبْعِ لا بالتَّطَبُّعِ
3 ـ وإنْ رَامَ جَحْدِي في هَوَايَ فإنَّ لي
شُهُوداً بِحَالي في رسُومِ الهَوَى تَعِ
4 ـ سُهادِي وذُلِّي واكْتِئَابِي ولَوْعَتي
ووَجْدِي وسُقْمي واضْطِراري وأدْمعِي
5 ـ وهِجْرانُ أوْطاني وفَرْطُ تَوَلُّهي
وشدَّةُ إحْراقِ الحَشا وتفَجُّعِي

6 ـ يُزَكِّيهِمْ أنّي لهم مُتَوَجِّهٌ
وَيَحْكُمُ لي شُغْلِي بهم وتَوَلُّعِي
7 ـ ومِنْ عَجَبٍ كُلّي بهم وإليهمُ
ويزْعُمُ قَومٌ أنَّهُمْ بين أضْلُعِي
8 ـ على أنَّني في الحقِّ واللَّهِ عَبْدُهُمْ
فلَسْتُ فَقِيراً لا عليَّ ولا معِي
9 ـ لأني بهم نِلْتُ الغِنَى وبِعِزِّهِمْ
ظَهَرْتُ رفِيعَ القَدْرِ في كلِّ مَجْمَعِ
10 ـ كمالُ اقْتِدَارِي في انْتِسابِي إليهمُ
وطِيبُ حياتِي بهمُ وتَمَتُّعِي
11 ـ هُمُ ذَكَّرُوني فاشْتَغَلتُ بذِكْرِهِمْ
وهِمْتُ بهم وَجْداً بغيرِ تصَنُّعِ
12 ـ ولولاهُمُ لمْ ألْفَ في منزِلِ الوَفا
ولا لَهُمُ قد صارَ واللَّهِ مَرْجِعِي
13 ـ كفانِي افْتِخاراً أنَّهُم لي سادَةٌ
وأنَّهُمُ مِنِّي بِمَرْأً ومَسْمَعِ

* * *

ـ 4 ـ

[الطويل]

1 ـ أحِبَّتَنا إنَّ الغرامَ أصابني
وغَيَّبني حتى تحيَّرْتُ فيكُمُ
2 ـ فإنْ رُمْتُ نوماً فارَقَ النومُ مُقْلَتِي
وإن رُمْتُ بَسْطاً خِفْتُ سَلْوَاي عنكُمُ
3 ـ وإن كنتُ من أهْلِي قريباً أخافُ أنْ
تَرَوا من مُحِبٌ حالَةَ البُعْدِ منكُمُ

4 ـ وإن كنتُ نَاءٍ عنكم خِلْتُ أنَّني
أقَصِّرُ عن نَهْجِ العُبَيْدِ لدَيْكُمُ

5 ـ على كُلِّ حالٍ ليْسَ في الحُبِّ راحَةٌ
أمُوتُ شَهِيداً والسلامُ عليكُمُ

* * *

ـ 5 ـ

[الطويل]

1 ـ أتَتْ في الدُّجا كي لا يراها رَقِيبُها
ويَخْلُصَ من شرِّ الوُشاةِ حَبِيبُها

2 ـ فنَمَّ بها إشراقُ نُورِ جمالِها
وأخْبَرَ عنها إذْ تَضَوَّعَ طِيبُهَا

3 ـ فواللَّهِ لا يَخْلُو بها غيرُ عاشِقٍ
رَقِيقُ المعانِي في الأمورِ لَبِيبُهَا

4 ـ فَنَى فبدَّتْ في موضِعِ الوَصْلِ وحدَها
ولمَّا يكُنْ شَيءٌ هناك يَرِيبُها

* * *

ـ 6 ـ

[الطويل]

1 ـ أعِدْ نظراً يا صاحِ هل طلعَ الفجرُ
وهل لنسيمِ الصُّبحِ قد مَدَحَ الطَّيْرُ

2 ـ وهلْ تلكَ لَيْلى قد أزالتْ لِثَامَها
لذاكَ نَرَى العُشَّاقَ ليس لهمْ صَبْرُ

* * *

- 7 -

[البسيط]

1 ـ لجَّ المُعاتِبُ في لوْمِي فقلتُ له
دع عنك لومي فإنَّ اللوْمَ إغرَاءُ

2 ـ هذا ولا تلتمِسْ بَرْئِي بمَعْتَبَةٍ
وداوِني بالتِّي كانت هي الدَّاءُ

3 ـ أراكَ تجهلُ أحوالي فتَحْسِبُ لي
لاماً وباءً ولا لامٌ ولا باءُ

4 ـ أعِرْ لِكَفِّي سَمْعاً تستفيدُ به
منك النصيحَةَ إنَّ الأُذْنَ صَمَّاءُ

5 ـ تلُومُ بالنَّوْكِ في الصَّهْبَاء مَن نُسخَتْ
منه الحقيقةُ فهو الآنَ صَهْبَاءُ

6 ـ أنا السَّفيهُ إذا تركْتُها أبداً
لأنها الرُّوحُ والكِيزانُ أعْضاءُ

7 ـ بها انْبَسَطنا مع الأحبابِ إذْ نُشِرَتْ
منها على عالَمِ الأكْدَارِ سَرَّاءُ

8 ـ ما ضَيَّعَ الحَزْمَ مَنْ أضْحَى بها ثَملاً
قد أمْطرَتْهُ بماءِ البَسْطِ أنْوَاءُ

9 ـ يَهُزُّ بالرَّقْصِ من أعْطافِهِ فرحاً
أيامُهُ أبداً بالرَّاحِ خَضْراءُ

10 ـ شمسٌ متى سطعَتْ في عقلِ شارِبِها
يصيرُ ذاتاً لها الأكوانُ أسماءُ

11 ـ إذا تذَهَّبَ منها الكأسُ نضَّدَهُ
دُرُّ الحَبابِ فلوْنُ الكُلِّ لألاءُ

12 ـ بالعَرْفِ قد عَرَّفَ الحُذَّاقُ حذَّتَها
مِـن داخـلِ الـدَّنِّ ذوقـاً وهـي عـذراءُ

13 ـ أضْحَوْا نشاوَى وما فضُّوا الختامَ لأ
نَّ حالَ أهْلِ النُّهَى في السُّكرِ حَسْناءُ

14 ـ ما كسَّرَ الكأسَ منهم شارِبٌ أبداً
بيـن النَّدامـى ولا بـالطَّيْشِ قـد باؤوا

15 ـ إن باحَ غيرُهُم بالسِّرِّ صانَهُمْ
عـن هَـفْـوَةِ الـشَّـرِّ إظـهَـارٌ وإخْـفَـاءُ

16 ـ لا يُثْبِتُونَ ولا يَنْفُونَ ما لَهُمْ
لِـعِـلْـمِـهِـمْ بـحـقـيـقِ الأمْـرِ آوَاءُ

17 ـ تَنْفيهمُ الذَّاتُ تَحْقيقاً ويُثْبِتُهُمْ
نُـورُ الـصِّـفـاتِ فـهـم مَـوْتَـى وأحْـيـاءُ

18 ـ قد باشَرُوا الشُّرْبَ بالأكْواسِ أجْمَعها
سِـيَّـان عـنـدَهُـمْ غَـيْـمٌ وإصْـحَـاءُ

19 ـ هُمُ الرِّجالُ أدَامَ اللَّهُ مَجْدَهُمُ
والـغَـيْـرُ والـلَّـهِ أوبـاشٌ وغَـوْغـاءُ

* * *

ـ 8 ـ

[البسيط]

1 ـ ما للعَذُولِ غَدا باللَّوْمِ يُوذِيني
ألَيْسَ يعلمُ في نَهْجِ الهَوى دِينِي

2 ـ إنِّي على مذهَبٍ في الحُبِّ لو عَذَلَتْ
فيـه الـبَرِيَّـةُ لـم تـكُـنْ لـتَـلْـوِيـنِـي

3 ـ صُبغْتُ فيه بألوانٍ بلَغْنَ إلى
عَقْلي فما يُرْتَجَى كَشْفٌ لتَلْوِيني

4 ـ واللَّهِ لا أرْعَوِي عنه ولو لَقِيَتْ
نَفْسِي على حُبِّهِ حَيْني مِن الحِينِ
5 ـ تَبَحَّرَ الحُبُّ في مَعْنَايَ فانبجَسَتْ
عَيْنَايَ منه بسَيْحُونٍ وجَيْحُونِ
6 ـ لم أعْشُ عن ذِكْر مَن أهْوَى فليس يُرَى
شَيْطانُ عَذْلٍ عنِ الأحْبابِ يُلْهِينِي
7 ـ لقد رَضِيتُ بِذُلِّي في محَبَّتِهِمْ
وإنْ دُعِيتُ به مِنَ المجانينِ
8 ـ وهَبْهُمُ قتلُوني في الهَوَى أسَفاً
فالمَوْتُ في حُبِّهِمْ واللَّهِ يُحْيِينِي
9 ـ وإنْ جَفَوْنِي فلا عَارٌ على دَنِفٍ
ببابِهِمْ قامَ في أحْوالِ مِسْكِينِ
10 ـ يَرْجُو نوالَهُمْ إذ النَّدَى لهُمُ
غَدَا شَعَاراً وكادَ الشَّوْقُ يُغْنِينِي
11 ـ إذا تفَنَّنَ تَعْذِيبي بصَدِّهِمُ
يوماً يُقابِلُهُ في الحُبِّ تَفْنِينِي
12 ـ ولا أُرِيدُ اضْطِباراً عنهمُ أبداً
عندي ولا أتمَنَّى ما يُسَلِّيَنِي

* * *

ـ 9 ـ

[البسيط]

1 ـ إنْ طارَ عَقْلُ الذي قد شمَّ ريَّاكِ
فكيفَ حالُ الذي قد نالَ رُؤْياكِ
2 ـ لا عَتْبَ إن ذابَ من نارِ الغرامِ ومن
يَبْقى من الكونِ إذْ يبدُو مُحيَّاكِ

3 ـ سَبَقْتِ في الحُسْنِ حتى صار كُلُّ جَمَا
لِ فـي الـخـلـيـقـةِ مـن إشـراقِ مَـعْـنَـاكِ

4 ـ حَكَيْتِ وجهكِ في مَرأى الوجودِ فما
أبْـدَيْـتَ ألأَكِ فـي الـمَـحْـكِـي والـحـاكِـي

5 ـ وصُنْتِ سِرَّكِ عن كلِّ الوُشاةِ ومن
إذا احْـتَـجَـبْـتِ بـنُـورِ الـصَّـوْنِ يَـلْـقـاكِ

6 ـ وكيف يستطيعُ إخفاءَ الغرامِ فتًى
رأى سـنـاكِ ولـو مـن طـاقِ شُـبَّـاكِ

7 ـ هيهاتَ هيهاتَ لا يَخْفَى على أحَدٍ
صَـبٌّ حَـوَى حـالَـةَ الـمَـشْـكُـوِّ والـشَّـاكِـي

8 ـ شَغَلْت لُبَّهُ حتى ضلَّ فيكِ هَوًى
عـن كُـلِّ شَـيْءٍ فـمـا يَـنْـفَـكُّ يـرعَـاكِ

9 ـ وجُـنَّ حـتـى غـدا بـيـنَ الأنـامِ إذا
ذُكِـرْتِ خـالَ سُـمَـاكِ مـن مُـسَـمَّـاكِ

10 ـ والـلَّـهِ مـا ألِـفَـتْ أجْـفـانُـهُ وسَـنـاً
قـد أصْـبَـحَ الـعَـقْـلُ من مُـضْـنَـاكِ مـثْـوَاكِ

11 ـ وحُلْتِ بين الذي قد كان يَحْجُبُهُ
وبـيْـنَـهُ فـغَـدَا إيَّـاهُ إيَّـاكِ

12 ـ إنْ قُلْت أنت سَمِعْتُ في الخِطابِ أنا
وإن أنـا قـلـتُ نـاجـانِـي مُـكَـنَّـاكِ

13 ـ أُمْسي وأصْبِحُ لا أرى السِّوَى ولكم
رأيْـتُـنِـي وأنـا أظُـنُّ أهْـوَاكِ

14 ـ ولستُ أدْرِي الذي قد كانَ يُوهِمُني
أنِّـي سِـوَاكِ ولـكـنْ قـولُ أفَّـاكِ

15 ـ لا عاشَ واشٍ وشَى بيني وبينكُمُ
ولا رَقِيبٌ غدا بالوَصْلِ يَلْحاكِ

* * *

ـ 10 ـ

[البسيط]

1 ـ كم تيَّمَتْنِي بوَرْدِ الخَدِّ والبَلَجِ
وكَلَّمَتْ كَبِدِي بِطَرْفِها الغَنِجِ
2 ـ مَليحَةٌ قد رَمَتْ عن قَوْسِ حاجِبِها
بأسْهُمٍ صُنِعَتْ من رَوْنَقِ الدَّعَجِ
3 ـ وأغْرَقَتْ نارَ قلبي بالدُّموعِ كما
قد أحْرَقَتْ أدْمُعِي من شدَّةِ الوَهَجِ
4 ـ لولا دُمُوعي لكانَ القَلْبُ مُحْتَرِقاً
ولو خَبَا الحَرُّ كان الطَّرْفُ في لُجَجِ
5 ـ كأنَّ بالعينِ ما بالقَلْبِ من ضَرَمٍ
شَوقاً وبالقلبِ ما بالعينِ من ثَجَجِ
6 ـ يا ليتَ شِعري هل لِوَصْلِهَا سببٌ
فأبتغيه ولو بالرُّوحِ والمُهَجِ
7 ـ وعاشقٌ قد شَرَى وصلَ الحبيب بما
حَوَتْ يداهُ فما عليه من حَرَجِ
8 ـ قُلْ للذي عزَّ نَفْساً دون من عَشِقَتْ
لقد أتَيْتَ طريقَ العشقِ عن عوَجِ
9 ـ إنْ لم تكنْ مُستقيماً في محبَّته
تكن على خَجَلٍ من وصْمَة العَرَجِ
10 ـ هيهاتَ هيهاتَ إنَّ الصَّبَّ لو فَنِيَتْ
أوصالُهُ عن رسُومِ الحبِّ لم يعُجِ

11 ـ الحبُّ ما لم يمتْ به الفتى دَنفاً
فإنَّ صاحبَهُ حقاً من الهَمَجِ
12 ـ لأنَّ موتَ الكَئِيبِ الصبِّ في كبَدٍ
عن صِدْقِهِ في الهوى من أوضَحِ الحُجَجِ

* * *

ـ 11 ـ

[البسيط]

1 ـ أضاءَ وجهُكِ بالإشراقِ أحلاكِي
فما أعزَّكِ في نفسي وأحلاكِ
2 ـ يا من تفَطَّرَ عقلي من محبَّتها
حتى غدا جَسَدي من عِشقْهَا شاكِي
3 ـ وأوقَعَتْ نظراً منها على خَلَدِي
فصارَ في ولَهٍ من طَرْفِهَا الشَّاكي
4 ـ علِمْتُ أنَّكِ بالتَّحقيقِ لي رمَقٌ
لأنني عدَمٌ واللَّهِ لولاكِ

* * *

ـ 12 ـ

[البسيط]

1 ـ بَخَّرْتُ بالطِّيبِ عند ذِكري إيَّاهُ
من شدَّة الحبِّ تعظيماً لعَلْيَاهُ
2 ـ فهبَّ منه نسيمٌ قد عرفْتُ به
أنَّ الذي فاحَ منه الطِّيبُ معناهُ
3 ـ فصِرْتُ إذ ذاك في عينِ اليقينِ أرَى
أنْ ليس في الكونِ بالتحقيقِ إلاَّ هُو

* * *

ـ 13 ـ

[البسيط]

1 ـ قالتْ وقد أبصَرَتْنِي حائِرَ الخَلَدِ
من فَرْطِ حُبِّي إيَّاها عادِمَ الجَلَدِ
2 ـ دعْ عنك في حُبِّنَا هذا المزاحَ ولا
تَحْسِبْ هوانا شَبِيهاً بهوَى أحَدِ
3 ـ واللَّهِ ما إن تَرَى حُسْناً لنا أبداً
حتى تكونَ بلا روحٍ ولا جسدِ
4 ـ أحْبابَنا إن رَضِيتُم من عُبَيْدِكُمُ
رُوحاً وجِسماً فهاهُما إلى الأبْدِ

* * *

ـ 14 ـ

[البسيط]

1 ـ لازِمْ هواكَ ولا تَجْزعْ من التِّيهِ
فالوصْلُ والهَجْرُ كلٌّ من معانِيهِ
2 ـ واصْبِرْ إذا أظْهَرَ المحبُوبُ عِزَّتَهُ
فالحُبُّ للحِبِّ حقاً من يُوَاتِيهِ
3 ـ وكُنْ شَكُوراً إذا أرَضاهُ ما صَنَعَتْ
بِكَ المشيئَةُ من شيءٍ تُقاسيهِ
4 ـ فَسِيمَةُ الصِّدْقِ منكَ أن تُرى فَرِحاً
بكلِّ حالٍ لك المحبوبُ يُبْدِيهِ

* * *

- 15 -

[البسيط]

1 - أهْدَيْتُ روحي لمن أهواهُ خالِصةً
يومَ النَّوى علَّهُ بالوصلِ يَجْزِيها

2 - فاستصغَرَ الرُّوحَ دون ما أردتُ بها
وقال هيهاتَ ما وَصْلِي يُساويها

3 - فقلتُ قدْرُكَ عالٍ قد علِمْتُ ولـ
ـكِنَّ الهدايا على مِقدارِ مُهْدِيها

* * *

- 16 -

[البسيط]

1 - يا رُبَّ ذي عِزَّةٍ أضحى بعِزَّتِه
يُذِلُّني وأنا والله في وَهَنِ

2 - أحْنيتُ ظهري لَهُ حتى إذا ظفرَتْ
يدي به وغدا مُسْتوطِناً وطَنِي

3 - كِلْتُ له بالذي قد كالَ لي زمناً
هذا بذاكَ ولا عتبٌ على الزَّمنِ

* * *

- 17 -

[البسيط]

1 - ليسَ الصِّيامُ من الصَّهْباءِ يمنعُنِي
لأنَّني قد خلعْتُ في الهوى رَسنِي

2 - ومِلْتُ عن كلِّ شيءٍ دونَها حَسَنِ
(لو كان لي مُسْعِدٌ بالرَّاحِ يُسْعِدُنِي)

3 ـ (لـمـا انْـتَـظَـرْتُ لِـشُـرْبِ الـرَّاحِ إِفْـطـارا)

4 ـ أَحْـلـى الـلَّـذاذَةِ ما أَعْـيَـتْ مـذاهِـبُـه
أَعْـلَـى الـرِّجـالِ ونـالَ الـعِـزَّ طـالـبُهُ

5 ـ والخَطْبُ ليس يَطلُبُ الوِزْرَ خاطِبُهُ
(فـالـراحُ شـيءٌ شـريـفٌ أنـتَ شـارِبُـهُ)

6 ـ (فـاشْـرَبْ ولـو حَـمَّـلَـتْـكَ الـرَّاحُ أَوْزَارا)

7 ـ كم أَغْرَبَتْ عن رَبِيعي حالُ صائِفَتي
وبَـيَّـنَـتْ فـي بـنـاتِ الـكَـرْمِ سـابـقَـتـي

8 ـ حتى تَركْتُ بها فَرْضِي ونافِلَتِي
(يـا مَـنْ يَـلُـومُ عـلـى صـهْـبَاءَ صـافِـيَـةٍ)

9 ـ (خُـذِ الـجِـنـانَ ودَعْـنـي أَسْـكُـنُ الـنَّـارا)

* * *

ـ 18 ـ

[الكامل]

1 ـ ذِكْــرُ الإلَــه بِــه يُــنــالُ رِضــاهُ
ويــزُولُ عــن بــصــرِ الــفــؤادِ عــمــاهُ

2 ـ كم قد سَمَا بدوامِهِ من مُخْلصٍ
فـيـه فـأشْـرَقَ فـي الـوجـودِ سَـنـاهُ

3 ـ لـمَّـا غـدا مـن ذِكْـرِهِ لـحَـبـيـبـهِ
فــي كُــلِّ آنٍ لا يــزالُ يــراهُ

4 ـ مـن غـيـرِ أيـنٍ لا ولا كـيـفَ ولا
زمَـــنٍ ولا راءٍ يـــكـــونُ ســـواهُ

5 ـ عـلِـقَـتْ بـه الأكـوانُ لـمَّـا أن غـدا
هــو نــاظِــراً مــنــهــا إلــى مــولاهُ

6 ـ من عَيْنِهِ سقَطَتْ جميعاً إذ غدَتْ
أنوارُهُ من ربِّه تَغْشاهُ

7 ـ أضحى غنياً بالإلٰهِ عن الوَرَى
يا سعدَ من أغناهُ ما أغناهُ

8 ـ سَعِدَتْ به أعوامُهُ وشُهُورُهُ
فالدَّهْرُ من فرَحٍ به يَهْواهُ

9 ـ للَّه قومٌ نالَهُمْ من ربِّهِمْ
رِضْوانُهُ إذْ لم يَرَوا إلاَّ هُو

10 ـ قد غابَ في لاهوتِهِ ناسُوتُهُمْ
من فَرْط ذِكْرِ قلوبِهِم إيَّاهُ

11 ـ فعقُولُهُمْ في نُورِهِ مغمُوسَةٌ
ولسانُهُمْ لاهِجٌ بذِكْرِ سُمَاهُ

12 ـ فهُمُ هُمُ واللَّهِ أرْبابُ النُّهَى
تركُوا الفناءَ وأعْلَقُوا بِبَقَاهُ

* * *

ـ 19 ـ

[الكامل]

1 ـ بُحْ بالغرامِ وبُثَّهُ ترتاحُ
واشْرَحْ هواكَ فما عليكَ جُناحُ

2 ـ واصْبِرْ على لوْمِ العَذُولِ فإنَّ إلـ
ـقَاءَ السِّلاحِ من المَلُومِ سِلاحُ

3 ـ يَكْفِيكَ مِنْ شَرَفِ الطَّريقةِ أنَّ من
تَهْواهُ قد هامَتْ به الأرواحُ

4 ـ وتنافَسَتْ فيه الأكابِرُ وانْطَوَتْ
منهم على تَحْصِيلِهِ الأشْبَاحُ

5 ـ فترَقَّصُوا طَرَباً على لذَّاتِهِم
وتواجَدُوا فيه بذاك وصاحُوا
6 ـ راحوا بأفضَلِ حالَةٍ إذ أصْبَحُوا
ولَهُمْ بأفْراحِ المحبَّةِ راحُ
7 ـ قد صرَّحُوا في سُكْرِهِم بحبيبهِمْ
فلسانُهُم كجَبينهم وضَّاحُ
8 ـ فتشَبَّهُوا إن لم تكونوا مثلَهمْ
إن التَّشَبُّهَ بالكِرامِ رَبَاحُ

* * *

ـ 20 ـ

[الكامل]

1 ـ عَقْدِي بإخلاصِ الغرامِ ضمائِري
لم يُبْقِ لي بين الوَرَى من ساتِرِ
2 ـ إن لم يَبُحْ يا عاذِلِي نُطْقي به
شَهِدَتْ عليَّ به شهودُ ظَوَاهِرِي
3 ـ داءُ العُضالِ وحالتي أوْدَى بها
جَلَدِي فلستُ على الحبيبِ بصابِرِ
4 ـ قطَّعْتُ من وَلَهِ الغرامِ مقاوِدِي
وجعلتُ فيه موارِدِي ومصادِرِي
5 ـ فدَعِ المَلامَ فما على صَبٍّ إذا
خلعَ العِذَارَ لأجْلِ وصْلِ الهاجِرِ
6 ـ لو أبْصَرَتْ عيناكَ ما أبْصَرْتُ لمْ
تَعْتِبْ عليَّ وكنتَ حقّاً عاذِري
7 ـ أتَلُومُ يا أعْمَى البَصيرَةِ مُغْرماً
صبّاً ترى منه فِعالَ الحائِرِ

8 ـ زارَتْهُ عن طُول الصُّدُود مَلِيحَةٌ
فتَكَتْ به فَتْكَ العزِيزِ القاهِرِ
9 ـ جَلَّتْ عن التَّشْبيهِ في أوصافها
وتنزَّهَتْ في ذاتها عن حاصِرِ
10 ـ كم أشْرَقَتْ من حُسنها شمسُ الضُّحَى
ولَكَم أنارَ بها هلالُ الدَّاجِرِ
11 ـ نَفْسِي الفِداءُ لِمن غَدَتْ تُبْدِي لنا
نُورَ الجمالِ وعينَ فِعْلِ السَّاحِرِ
12 ـ وسَقَتْ فساقَتْ إذْ رَنَتْ عَينِي لها
حَيْناً وباهَتْ بالبهَاءِ الباهِرِ
13 ـ ولَوَتْ على عَقْلِ الكَئِيبِ نِطاقَهَا
وتخَمَّرَتْ حيثُ الغرَامُ مُخَامِرِي
14 ـ قِدْماً تَخِذْتُ محبَّتِي دِيناً لها
وشدَدْتُ من شغَفِي عليها خناصِري

* * *

ـ 21 ـ

[الكامل]

1 ـ نزَلَ الغرَامُ بِعاذِلِي ورَقِيبي
فأذابَ كُلاًّ كيف كان مُذِيبي
2 ـ قد عيَّراني في الهَوَى فأراهُما
ما كان لي من مِحْنَةِ التَّعذيبِ
3 ـ وعراهُمَا شَغَفي وما قد صابَنِي
من مَحْوِ كُلِّي في وجودِ حبيبي
4 ـ وكذا الهَوَى يُعْدِي الذي قد يَشْتَفِي
في حالَةِ البَلْوى بكُلِّ كَئِيبِ

5 ـ فتَنَحَّيا عني وزالَ الغَيْمُ عن
شمسِ الوِصالِ ببَهْجَةِ التَّقريبِ

* * *

ـ 22 ـ

[الكامل]

1 ـ إنِّي نَظَرْتُ بمُقلةِ الإنصافِ
فرأيْتُني واللَّهِ صِرْتُ خِلافي
2 ـ لمَّا اسْتَوى حُبُّ الذي أهْوَى على
كُلِّي وأطَّتْ بالهوَى أكْنافي
3 ـ وشَرِبْتُ من خَمْرِ المَلاحَةِ شُرْبَةً
هـزَّزْتُ من طَرَبي بها أعْطافي
4 ـ حتَّى غَدَوْتُ أُخالُ مِن أهْوَاهُ قد
مُزِجَتْ بِخَمْرِ شُهُودِهِ أوْصافي

* * *

ـ 23 ـ

[الكامل]

1 ـ نَظَرُ المُحِبِّ إلى الحَبيبِ حياتُهُ
وهواهُ في ميزانِهِ حسناتُهُ
2 ـ تاللَّهِ لولا نوره نظرَتْ به
أجفانُهُ ما أشرقَتْ أوقاتُهُ
3 ـ لكنَّهُ بالفضْلِ يَمنحُ وصْلَهُ
من يَصْطفِي فتعُمُّهُ نفحاتُهُ
4 ـ وبصِيرُ ليس بناظِرٍ من ذاتِهِ
إلاَّ الذي هو في الحقيقةِ ذاتُهُ

* * *

ـ 24 ـ

[الكامل]

1 ـ نُورٌ تنوَّرَهُ الكَليمُ فخالَهُ
مِن فَرْطِ ما قد بانَ عَينَ النَّارِ
2 ـ فأتَى يُناوِلُ الاصْطِلاءَ لأهلِهِ
قَبَساً فألفاهُ الكريمُ البارِي
3 ـ وافْهَمْ لطِيفَةَ حاذِقٍ من أهْلِهِ
ظَنَّ الكَلِيمُ النُّورَ نارَ السَّارِي

* * *

ـ 25 ـ

[الكامل]

1 ـ ثمنُ الوصولِ مِنَ الأحِبَّةِ غالِي
مُتعذِّرٌ في سائِرِ الأحْوالِ
2 ـ لو أنْفَقَ الإنسانُ فيه رُوحَهُ
وجلائِلَ الأموالِ والأعمالِ
3 ـ ما نالَ منه بذاكَ أدنى ذَرَّةٍ
إلاَّ بمَحْضِ الجُودِ والإفضَالِ
4 ـ ليس التُّقَى والعِلمُ من أثمانِهِ
يا من يُرِيدُ منازِلَ الأبْدالِ

* * *

ـ 26 ـ

[الكامل]

1 ـ ظنَّ الصَّدِيقُ سُلُوَّ قلبِي عنكُمُ
وسواكُمُ في خاطِرِي يُتَصَوَّرُ

2 ـ فغدا يُذكِّرُني عُهُودَ أحِبَّتِي
ومتى نَسِيتُ عهودكُمْ فأُذكَّرُ

* * *

ـ 27 ـ

[الكامل]

1 ـ زعَمُوا بأنكَ في الفُؤادِ وهل لِمنْ
أضْحَى يراكَ من الأنامِ فُؤادُ
2 ـ ذهَبَ الفُؤادُ فما سِوَاكَ بكائِنٍ
أنتَ المُرِيدُ حقِيقَةً ومُرادُ

* * *

ـ 28 ـ

[الكامل]

1 ـ شَرَفٌ بِوَصْلِكَ أو بوصْفِكَ شَنْفِي
ودرَاكَ ذُلِّي في الهوى وتَلَهُّفِي
2 ـ ففنائي فيك ليس عنِّي يَخْتَفِي
(قلبي يُحدِّثني بأنك مُتْلِفِي)
3 ـ (رُوحِي الفِداءُ عَرَفْتَ أم لَمْ تَعْرِفِ)
4 ـ هيهاتَ لستُ من الصَّبابةِ أفْتَدِي
من بعدِ ما قد صحَّ فيها مأخَذِي
5 ـ فافْعَلْ بِصَبِّكَ ما تشا واسْتَحْوِذِ
(لم أقْضِ حقَّ هواكَ إن كنت الذي)
6 ـ (لم أقْضِ فيهِ أسَى ومثلي من يَفِ)
7 ـ قَسَماً بحاجِبِكَ الذي من قوْسِهِ
قد غابَ حِبُّكَ في الوَرَى عن حِسِّهِ

8 ـ وبِبَدْرِ ذيَّاكَ الجَبِينِ وحُسْنِهِ
(ما لي سِوى رُوحي وباذِلُ نفسِهِ)
9 ـ (في حُبِّ مَنْ يهواهُ ليس بِمُسْرِفِ)

* * *

ـ 29 ـ

[الكامل]

1 ـ يا مالِكاً قد عزَّ في سلطانِهِ
وتقاصَرَ الكُرَماءُ عن إحسانِهِ
2 ـ عفواً على عاصٍ أتى مُتَفرِّداً
عن أهْلِهِ طُرّاً وعن إخوانِهِ
3 ـ كلٌّ قد اسْلَمَهُ ولم يَبْقَ الرَّجا
للعَبْدِ إلاَّ فيكَ لا أعْوانِهِ
4 ـ فارْحَمْ حَقِيراً شأنُهُ العِصيانُ يا
مَنْ كُلُّ عَفْوٍ سائِغٌ من شأنِهِ

* * *

ـ 30 ـ

[الكامل]

1 ـ ربِّ بحقِّكَ والشَّفيعِ محمَّدِ
عجِّلْ بفَضْلِكَ يا رحيمُ شِفائي
2 ـ ولئِنْ عصَيْتُ فليسَ من عَجَبٍ إذا
غفَرَ الحلِيمُ رذائِلَ السُّفهاءِ
3 ـ وأنا السَّفِيهُ حقيقةً إذ لم أكُنْ
مُتأدِّباً لك شاكِرَ النَّعْماءِ

4 ـ لُؤمِي بما تُشديهِ أصبحَ واضِحاً
منه إزَارِي في الورى وَرِدَائي

* * *

ـ 31 ـ

[الكامل]

1 ـ أوْلَى الوجودِ بقُرْبِهِ من ربِّهِ
حقاً وأزْكاهُم لديه نَائِلا

2 ـ إذ كان منه قابَ قَوْسَينِ أو أدْ
نَى حيثُ لا غيرُ المهابَةِ فاصِلا

3 ـ حذَفَ الوسائِطَ إذ رأى مَحْبُوبَهُ
مَرأى بِرُؤْيا العينِ أصْبحَ كامِلا

4 ـ ولِذاكَ من عِلْمِ الحقيقةِ مَنْزِلٌ
أضْحَى جمِيعُ الخَلْقِ عنه نازِلا

5 ـ إذ عِلْمُهُ باللَّهِ حِسّاً خَصْلَةٌ
قد صَيَّرَتْهُ على الأفاضِلِ فاضِلا

6 ـ أوْحَى له في قُرْبِهِ ما لا يُرَى
لوحٌ ولا قَلَمٌ إليه شامِلا

7 ـ سِرٌّ خَفِيٌّ لم يكن أحدٌ لهُ
غيرَ النَّبِيِّ من البَرِيَّةِ قابِلا

8 ـ عِلْمٌ به انفردَتْ حقيقةُ أحْمَدٍ
ما إنْ يُرَى أحدٌ إليه واصِلا

9 ـ إذْ مَنْ يَرى بضَمِيرهِ شيئاً يكُنْ
عند الذي بالعينِ أبْصرَ ذاهِلا

* * *

- 32 -

[الكامل]

1 - أمُحَمَّدٌ إنّي بجاهِكَ عائِذٌ
مما عَرَى جِسْمي من الضَّرَّاءِ

2 - ولقد دعوتُكَ حين جلَّتْ كُرْبَتي
ولم أُلْفِ غيركَ كاشِفاً لبلائِي

3 - والحالُ إنْ عَظُمَتْ فلا يُدْعَى لها
إلاَّ العظيمُ وأشْرَفُ الشُّفعاءِ

4 - وحَشَا يَرَى بأساً عُبَيدٌ قد غدا
مُسْتصرخاً بك ساكِنَ البطحاءِ

5 - كلاَّ فمُعْتقدي وأنت المُجْتَدَى
أن لا أرى هَمّاً وأنتَ جلائِي

6 - يا أكْرَمَ الرُّسْلِ الكِرامِ ومَن به
جُلِيَتْ كرُوبُ الأوَّلِينَ سِوائِي

7 - ماذا بأوَّلِ هائِلٍ فرَّجْتَهُ
بعنايَةٍ تَسْمُو على الجَوْزَاءِ

8 - ما ضاقَ جاهُكَ بالعظائِمِ كُلِّها
عند المُهَيمنِ أكْرَمِ الكُرَماءِ

9 - سِيَما جَرائِمُ مُذْنِبٍ قد غَرَّهُ
حِلْمُ الإلٰهِ وكَثْرَةُ الآلاءِ

10 - أنْتَ الملاذُ إذا الوَرَى دهِمَتْهُمُ
نارُ الهُمُومِ وشِدَّةُ الّلأوَاءِ

11 - وتقاصَرَتْ هِمَمُ الكِرام وحلَّقُوا
طُرّاً ببابِكَ وَاسِعُ الإعطاءِ

12 ـ فغدَوْتَ تشفَعُ للجميع لِيَنْشُرَ الـ
ـرَّحـمْـنُ حَـمْـدَكَ فـي أجـلِّ لِـوَاءِ

13 ـ فـأرَحْـتَـهُـم لـلَّـهِ لا لـيَـدٍ لـهـم
سَـلـفَـتْ إلـيـكَ بـسـالِـفِ الآنـاءِ

14 ـ وكـذا فِـعـالُـك كـلُّـهـا إخـلاصُـهـا
يَـعْـلُـو بـفَـضْـلِـكَ كـلَّ ذي حَـسْـنـاءِ

15 ـ مـا مَـنْ أقـامَ جـدارَ قـومٍ حِـسْـبَـةً
كـمُـخـلِّـصِ الـجـمَّـا مـنَ الـحَـوْبَـاءِ

16 ـ فـبـمـنْ حـبـاكَ بـكُـلِّ فـضـلٍ نِـلْـتَـهُ
وأضَـا بـنُـورِكَ سـائِـرَ الأرْجـاءِ

17 ـ وأعَـزَّ رُتْـبـتَـكَ الـشـريـفَـةَ فـوقَ مـا
والـلَّـهِ تـفْـهَـمُ جِـلَّـةُ الـنُّـبَلاءِ

18 ـ وأفـاضَ جُـودَكَ فـي الـعـوالِـمِ كـلِّـهـا
وأعـارَ فـضْـلَـكَ جُـمْـلـةَ الـفُـضَـلاءِ

19 ـ ومَحَى بوجْهِكَ ظُلْمَةَ الإشْراكِ واسْـ
ـتَـبْقَـى بِـسِـرِّكَ قـائِـمَ الأشْـيَـاءِ

20 ـ عَـجِّـلْ إغـاثَـةَ مُـذْنِـبٍ قـد صـارَ مِـنْ
وضَـرِ الـجـرائِـمِ فـي أشـدِّ بَـلاءِ

21 ـ مـا لـي لـرَفْـعِ الـضُّـرِّ عـنِّـي حِـيـلـة
يـا مُـصـطـفـى إلاَّ إلـيـك نِـدائِـي

22 ـ ولَـئِـنْ رُدِدْتُ وأنـت أفْـضَـلُ شـافِـعٍ
تُـرْجَـى شـفـاعَـتُـهُ فـمـن لـشِـفـائِـي

23 ـ حـاشـا وكـلاَّ أن تُـخَـيِّـبَ سـائِـلا
قـد حـلَّ مـنـكَ فـي أعَـزِّ فِـنـاءِ

24 ـ والجُودُ شِيمَتُكَ الكريمةُ والحيا
وجلائِلُ الرَّحماتِ للضُّعفاءِ

25 ـ صلَّى عليكَ اللَّهُ يا خيرَ الوَرَى
كُلَّ الصلاةِ وآلِكَ النُّبلاءِ

26 ـ ما أضْحَكَ الرَّحمٰنُ سِنَّكَ عندما
تُولي الجَزيلَ بكَفِّكَ المِعْطاءِ

27 ـ ربِّي بهِ وبِآلِهِ وصِحابِهِ
والأنبياءِ وسائِرِ الصُّلَحاءِ

28 ـ وبحقِّ ذاتِكَ سيدي وكمالِها
وصِفاتِها العُلْيا وبالأسماءِ

29 ـ كُفَّ الأذَى عنِّي بفَضْلِكَ عاجِلاً
واغْفِرْ رذائِلَ أسْفَهِ السُّفهاءِ

30 ـ أنْتَ الغَنِيُّ عن العَبيدِ جميعِهِمْ
وأنا لِفَضْلِكَ أفْقَرُ الفُقَراءِ

31 ـ ولقد وقَفْتُ ببابِ عَفْوِكَ راجِياً
منكَ الرِّضَى يا أرْحَمَ الرُّحَماءِ

32 ـ فارْحَمْ ولا تَرْدُدْ فإني لم أجِدْ
ربّاً سِواكَ مُخَلِّصي من دَائِي

33 ـ والحالُ ضاقَتْ بي ولم أرَ نافِعاً
إلاَّ الرُّجوعَ لأكْرَمِ الكُرَماءِ

34 ـ من تَصْغُرُ الزَّللُ العظائِمُ عندَهُ
إذ هُو حقّاً أعْظَمُ العُظماءِ

35 ـ ويُعامِلُ العاصِي وإنْ زلَّتْ به
أقْدامُهُ في مَهْوَةِ البَلْوَاءِ

36 ـ ربٌّ غفورٌ لو يُواخِذُ خَلْقَهُ
لم يُبْقِ دَيَّاراً من الأحْيَاءِ
37 ـ لكنَّهُ غَمَرَ الجمِيعَ بِجُودِهِ
والحِلْمُ يُرْغِمُ أنْفُسَ اللُّؤماءِ

* * *

ـ 33 ـ

[الخفيف]

1 ـ نحنُ في مذهَبِ الغرامِ أذِلَّهْ
إن أقَمْنَا على الحبيبِ أدِلَّهْ
2 ـ كيف يَظْهَرُ للعُقُولِ سِوَاهُ
وسَنَاهُ كَسَى العوالِمَ جُمْلَهْ
3 ـ فتَرَاهُ في كُلِّ شيءٍ تَرَاهُ
فهو الكُلُّ دائِماً ما أجَلَّهْ
4 ـ فافْنَ فيهِ صبابَةً وهُياماً
إنَّما الصَّبُّ منْ يعيشُ مُوَلَّهْ

* * *

ـ 34 ـ

[الخفيف]

1 ـ ليسَ للغَيرِ إن ظهَرْتَ وُجُودُ
وإذا ما بَطَنْتَ أنْتَ فَرِيدُ
2 ـ كلُّ من رَامَ أنْ يرى ظاهِراً غَيْـ
ـرَكَ أو باطِناً فعِندي بَعيدُ
3 ـ يا سَنا الكُلِّ إنْ شهِدْناكَ يَوْماً
فهو يَومٌ من الزَّمانِ سعِيدُ

4 ـ إن لـلـنَّـاسِ كُـلَّ عـامٍ لـعِـيـدَيْـ
ـنِ وكُـلٌّ وقْـتٍ لـنـا بِـكَ عِـيـدُ

* * *

ـ 35 ـ

[الخفيف]

1 ـ أكْـثَـرَ الـعـاذِلُـونَ فـيـكَ مـلامِـي
عـلَّـهُـمْ يُـطْـفِـئُـونَ نـارَ غـرامِـي

2 ـ وتـبـاهَـوا بـأنَّـهُـمْ عـيَّـرُونـي
بـجُـنُـونٍ وحَـيْـرَةٍ وهُـيـامِ

3 ـ ورأوا أنَّ ذاك يُـسْـلـي فُـؤَادي
عـن هـواكُـمْ وذاكَ مَـحْـضُ حَـرامِ

4 ـ كـيـف أسْـلُـو وأنـتُـمُ الـرُّوحُ مـنِّـي
ودِمـائِـي حـقِـيـقَـةً وعِـظـامِـي

5 ـ قـد سَرَى سِـتْـرُكُـمْ قـديـمـاً بِـكُـلِّـي
فـقُـعُـودي إذَنْ بـكُـمْ وقِـيـامِـي

6 ـ وعَـزَلْـتُـم عـن الـوجـودِ وجُـودي
بـشـهـودي وجُـودِكُـمْ فـي انْـعِـدامِ

7 ـ ثـم مـن بـعـدِ ذاك أيـقـظْـتُـمـونـي
فـانـتـبَـهْـتُ بـفَـضْـلـكـم مـن مـنـامِـي

8 ـ فـإذا بـالـفَـنـاءِ قـد كـان وَهْـمـاً
قـد عَـرَانـي كـسـائِـرِ الأوْهـامِ

9 ـ فـأرَانـي بـأنَّـنـي كـنـتُ غَـيْـراً
وتـحـوَّلْـتُ بـعـدَهُ لـمـقـامِـي

10 ـ وأنـا لـسـتُ فـي الـحـقـيـقـةِ غَـيْـراً
أو لـلـغَـيْـرِ دُونَـكُـمْ مـن قِـيـامِ

11 ـ حِكْمَةُ الشَّرْعِ أثْبَتَتْنِي لَمَّا
سَمَّتِ الكونَ كُلَّهُ بأسَامِ

12 ـ ونَفى جُمْلَتي انفرادُكَ بالذَّا
تِ والأفعالِ والنُّعُوتِ العِظامِ

13 ـ وإذا كنتُ في الحقيقةِ فَرْداً
استحالَتْ حقائِقُ الأنامِ

* * *

ـ 36 ـ

[الخفيف]

1 ـ اِلْزَمِ الصَّبْرَ إنْ تعشَّقْتَ حُسْناً
وارْتَضِيهِ ولو تَهَشَّمْتَ بَيْنَا

2 ـ وإذا بُحْتَ بالصَّبابَةِ قُلْنا
(إنْ شَكَوْتَ الهَوَى فما أنْتَ مِنَّا)

3 ـ (احْمِلِ الصَّدَّ والجفا يا مُعَنَّى)

4 ـ فأسِيرُ الغَرَامِ لَيسَ يُفَكُّ
لا يَكُنْ فيه عِندكَ الدَّهرَ شَكُّ

5 ـ والمَلَلُ في مِلَّةِ الحُبِّ شِرْكٌ
(تَدَّعِي مذْهَبَ الهَوَى ثم تَشْكُو)

6 ـ (أيْنَ دَعْوَاكَ في الهَوى قُلْ لي أيْنَا)

7 ـ فاجْتَنِبْنَا إذا كَرِهَتْ جفانا
واتَّبِعْ مَنْ في حُبِّنا قد تَوَانى

8 ـ واتْرُكَنْ أمْرَنا وباعِدْ بِهانا
(لو وجدْناكَ صابِراً لِهَوَانا)

9 ـ (لَمَنَحْناكَ كُلَّ ما تتَمَنَّى)

* * *

- 37 -

[الخفيف]

1 ـ عَبْدَنا إنَّنا الأعِزَّةُ حقاً
ولنا أمرُ كلِّ قاصٍ ودَانِي
2 ـ إن نشأ نُهْلِكِ المُلُوكَ جميعاً
ويُرَى من نشاؤُهُ في أمانِ
3 ـ وبِنَا أنْتَ قد حَبَيْنَاك فَضْلاً
وأجِرْنا من ءَاجَرْتْ أمُّ هانِي

* * *

- 38 -

[الوافر]

1 ـ أماطَتْ عن محاسِنِها الخِمارا
فغادَرَتِ العُقولُ بها حَيَارَى
2 ـ وبَثَّتْ في صمِيمِ القلبِ شَوْقاً
توقَّدَ منه كلُّ الجسمِ نارا
3 ـ وألقَتْ فيه سرّاً ثمَّ قالتْ
أرَى الإفْشاءَ منك اليومَ عارَا
4 ـ وهل يَسْتطِيعُ كَتْمَ السِّرِّ صَبٌّ
إذا ذُكِرَ الحبيبُ لديْهِ طارَا
5 ـ به لعِبَ الهوى شيئاً فشيئاً
فلم يَشْعُر وقد خلعَ العِذَارا
6 ـ إلى أن صارَ غَيْباً في هواها
يُشيرُ لغيرِها ولَهَا أشارا

7 ـ يُغالِطُ في هواها الناسَ طُرّاً
ويُلْقِي في عيونِهِمُ الغُبارا

8 ـ ويَسْألُ عن معارِفِها التِذاذاً
فيَحْسِبُهُ الوَرَى أنْ قد تَمَارا

9 ـ ولو فَهِمُوا دقائِقَ حبِّ ليلى
كفاهُمْ في صَبَابَتِهِ اخْتِبارا

10 ـ إذا يَبْدُو امْرُؤٌ مِنْ حيِّ ليلى
يَذِلُّ له ويَنْكَسِرُ انْكِسارا

11 ـ ولولاها لما أضحى ذَليلاً
يُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وذا الجِدَارا

12 ـ وما حُبُّ الدِّيارِ شغَفْنَ قَلْبي
ولكن حُبُّ من سكَنَ الدِّيارا

13 ـ ولمَّا أنْ رأتْ ذُلِّي إليها
وحُبِّي لم يَزِدْ إلاَّ انتِشارا

14 ـ وأحْسِبُ في هواها الذُّلَّ عِزّاً
وحَقْرِي في محَبَّتِها افْتِخَارا

15 ـ أباحَتْ وصْلَها لكن إذا ما
غدَوْنا من مُدامَتِها سُكَارَى

16 ـ شَرِبْناها فلما أن تجلَّتْ
نَسِينا من ملاحَتِها العُقَارا

17 ـ وكَسَّرْنا الكُؤُوسَ بها افْتِتَاناً
وهِمْنَا في المُدِيرِ فَلا مُدارا

18 ـ وصارَ السُّكْرُ بعدَ الوَصْلِ صَحْواً
وأيْنَ السُّكْرُ من حُسْنِ العَذَارى

19 ـ فدعني يا عَذُولي في هواها
كفى شَغَفِي بمن أهْوَى اعْتِذارا

20 ـ أتَعْذِلُ في هَوَى ليلى بِجَهْلٍ
لمن في حُبِّها بلَغَ القُصَارى

21 ـ فذا شَيْءٌ دقيقٌ لستَ تَدْرِي
لِدِقَّتِهِ المُشِيرَ ولا المُشارا

22 ـ به صارَ التَّعَدُّدُ ذا اتِّحادٍ
بلا مَزْجٍ فذا شيْءٌ أحَارا

23 ـ فسلِّمْ واتْرُكَنْ مَنْ هامَ وَجْداً
وما أبْقَى لِصَبْوتِهِ اسْتِتَارا

* * *

ـ 39 ـ

[الوافر]

1 ـ هَوَى ذاتِ المحاسِنِ فَرْضُ عَيْنِ
ولو جَبَرَتْ على التَّسْهيدِ عَيْني

2 ـ وشَبَّتْ في الحشا بالتِّيهِ ناراً
وحالَتْ بين أهْوائِي وبيني

3 ـ وهَبْها قد رَمَتْ قلبي المُعَنَّى
بإِعْراضٍ يُذِيبُ الجِسْمَ مِنِّي

4 ـ فلَمْ أبْرَحْ مُقِيماً في ذَرَاها
أعَلِّلُ مِنْ رِضَاهَا بالتَّمَنِّي

5 ـ ويَكْفِينِي ارتِياحاً في هواها
لِشَوْقِي أن تقولَ إليكَ عَنِّي

6 ـ لأنَّ خِطابَها سُؤْلِي ومَنْ لي
ولو بتَوَعُّدٍ إيَّاي تَعْنِي

7 ـ فلا واللَّهِ ما الإيماءُ منها
لإتْلافِي سوى جنَّاتِ عَدْنِ
8 ـ تلاشَى صَبُّهَا فَظَهَرْتُ فيها
فما منها إليَّ فهو منِّي
9 ـ وزالَ البَيْنُ عنَّا فامْتَزَجْنا
فصِرْتُ بها إيَّاها وهي أنِّي
10 ـ ولو قالَتْ عُبَيْدي ما افْتَرَقنا
لأنِّي عَبْدُها عَيْنِي لعَيْنِي

* * *

ـ 40 ـ

[الوافر]

1 ـ أعَادِي في محبَّتِكُم عَذُولي
وأُبْغِض لائِمِي لو كانَ أمَّا
2 ـ وأرْكَبُ بَحْركُمْ طلباً لِحَتْفِي
ولَسْتُ بقائِلٍ إمَّا وإمَّا

* * *

ـ 41 ـ

[الوافر]

1 ـ نَفَحَتْ نسمةُ من أهْوَى عَليْ
فغدا الحبُّ بها مني إليْ
2 ـ ولَوَتْ كُلِّي إليها ليَّةً
طَوَتِ الكونَ بها عنِّي طَيْ
3 ـ يا لها من حُسْنِ شمسٍ أشْرَقَتْ
لم يكن في جوِّها واللَّهِ فَيْ

4 ـ نَسَخَتْ آيَتُها آيَ السِّوَى
إذ سَرَتْ من لُطفِها في كُلِّ شَيْ
5 ـ لسْتَ بالعَيْنِ تراها إنْ بَدَتْ
إذْ غَدَتْ لِلكُلِّ عَيْناً يا أُخَيْ
6 ـ كم لها من نظرَةٍ قد أسْكَرَتْ
جَهْرَةً أهْلَ الهَوَى من كُلِّ حَيْ
7 ـ فهي إن تَرْضَ على حِبٍّ لها
تأتِهِ رَغْماً على أنْفِ اللُّحَيْ
8 ـ وإذا تاهَتْ على عاشِقِها
لَمْ يُفِدْ في وَصْلِها واللّهِ شَيْ
9 ـ فلها الحُكْمُ انفِرَاداً في الوَرَى
لم يَكُنْ معها مِنَ الكونينِ رِيْ

* * *

ـ 42 ـ

[الرمل]

1 ـ قسَماً بمن سَما فوقَ سمَا
إذْ سَرَى من بيْتِهِ في الغَلَسِ
2 ـ وأنِيلَ في المعالِي قِسَماً
لم تكُنْ صَلْصَلَةً من جرَسِ
3 ـ آيَةً كُبْرَى رأى من رَبِّهِ
ما رآها قَبلَهُ من أحَدِ
4 ـ نالَها من بُعْدِهِ عن سِرْ بِهِ
إذْ علا السِّدْرَ ونُورَ البَرَدِ
5 ـ يا لها من رُتْبَةٍ في قُرْبِهِ
خُصَّ فيها بالمقامِ الأحَدِ

6 ـ فـهـو عـن حُـبِّ شِـفـاهـا كُـلَّـمـا
ورأى عــيــنَ الــبَهَــا الــمُــقــدَّسِ
7 ـ وَوَعَــى عــنِ الإلْــهِ كُــلَّ مــا
بــثَّــهُ فــي سِــرِّهِ ومــا نَــسِــي
8 ـ غَـيْـر شَـكٍّ أنَّـه خَـيْـرُ الـوَرَى
وأجَـلُّ الـخَـلْـقِ قَـدْراً مُـطْـلَـقـا
9 ـ نُـبِـذَتْ بـه الـمـقـامـاتُ وَرَا
إذْ عـلا جِـسّـاً عـلـيـهـا وارْتَـقَـى
10 ـ نُـورُهُ لـو لـم يـكُـنْ قـد سُـتِـرا
ورَاءَهُ الـكَـوْنَ يـومـاً مُـحِـقّـا
11 ـ ما سَهَى قلبي عنكم قَدْرَ ما
رُدَّ مــن بَــعْــدِ خُــرُوجِ نَــفَــسي
12 ـ إذْ بَـهَـاكُـمْ بـالـتَّـجَـافِـي قـد رَمَـى
كُـلَّ شـيءٍ لـلـنُّـهَـى يَـخْـتَـلِـسِ
13 ـ مـا بـدا قَـطُّ لـرَاءٍ ولَـهَـا
بـالـسِّـوَى إذ هـو فَـرْدٌ فـي الـظُّـهُـورْ
14 ـ بـل تَـرَى عـقـلَـهُ فـيـه ولـهـاً
هَــيْــبَــةً بــيــن وُرُودٍ وصُــدُورْ
15 ـ مـا عـلـى نَـفْـسِـهِ حـقّـاً ولـهـا
لـيـس يـدري فـهـو فـي بَـحْـرٍ يـدُورْ
16 ـ إذْ تَـجَـلَّـى ورآهُ عَـظَـمَـا
آدَمُ فــي جَــنَّــةِ الــخُــلْــدِ نَــسِــي
17 ـ ظـنَّ مـن سُـكْـرٍ بـه أنْ كُـلَّـمـا
قـد أتـى مِـن جُـمْـلَـةِ الـمُـلْـتَـمِـسِ

18 ـ لَيْتَ شِعْرِي هل لعَبْدٍ قد فَنَى
في هواكُمْ وبكُمْ نالَ الحيَاةْ
19 ـ مِنْ بُلُوغٍ فيكُمْ كُلَّ المُنَى
بِصفا وُدٌّ لكم حتَّى المَمَاتْ
20 ـ ويَزُولُ الكَرْبُ عنه والعَنَا
ويَعُودُ الذَّنْبُ منه حَسَناتْ
21 ـ سادَتِي مُنُّوا عليَّ كَرَماً
وتلافَوا بِغِنَاكُم فلَسِي
22 ـ وارْحَمُوا مَنْ جاءكُمْ مُسْتَرْحِماً
فَرِضاكُمْ رَحْمَةٌ للأنْفُسِ

* * *

ـ 43 ـ

[الرمل المجزوء العجز]

1 ـ زَالَ عن قَلْبي تولُّهُ الفَنَا
وصَفَا أمْرِي
2 ـ إذْ غَدا لي كُلُّ رَبْعٍ وطَنَا
وانْتَفَى نُكْرِي
3 ـ كُلُّ ماء قد حَوَتْهُ شُرْبَتِي
فأنَا رَيَّانْ
4 ـ لسْتُ يوماً أحْتَسِي من خمْرَتِي
وأنَا نَشْوَانْ
5 ـ مَنْ رَآنِي ثابِتاً في حَيْرَتِي
ظَنَّنِي وسْنَانْ
6 ـ لم أزَلْ بينَ هُناكَ وهُنا
دائِماً أسْرِي

7 ـ وأزُجُّ الفَقْرَ في عَيْنِ الغِنَى
إذْ هُمَا سِرِّي

8 ـ مِنْ جُيُوبي كُلُّ طِيبٍ عَبِقَ
عِنْدَ إيقَانِي

9 ـ عَجَباً كيفَ يُنَافِيني البَقَا
فَأرَى فَانِي

10 ـ ووجُودِي كُلَّ شَيْءٍ سَبَقَا
لَيْسَ لي ثَانِي

11 ـ شارِباً ألْفَى ومَشْرُوبي أنا
وأنا غَيْرِي

12 ـ وإذا غَيْرِي بدَا فهو أنا
لِلَّذي يَدْرِي

13 ـ إذْ بُطُونِي يَقْتَضِي لي ساتِراً
في مقامِ البَيْنِ

14 ـ وظُهُوري يَبْتَغي لي مُبْصِراً
في ضِيَّاءِ العَيْنِ

15 ـ فأنا في البَيْنِ والعَيْنِ أرَى
واحِداً في اثْنَيْنِ

16 ـ ظاهراً منِّي ما قد بَطَنَا
فاعْرِفوا قَدْرِي

17 ـ مَنْ رآنِي يَجْتَنِي زَهْرَ المُنا
مُدَّةَ العُمْرِ

* * *

ـ 44 ـ

[الرجز]

1 ـ مِـــن شِـــدَّةِ الأشـــواقْ
لِـــبَهْـــجـــة الأوطـــانْ

2 ـ أمُـــرُّ فـــي الأسْـــوَاقْ
وإنَّـــنِـــي نـــشْـــوانْ

3 ـ بِـــخَـــمْـــرَةٍ لِـــلْـــكَـــأسِ
تُـــقَـــرِّبُ الأفْـــراحْ

4 ـ حـــتَّـــى يَـــغـــرَ الآسُ
مِـــن رَوْضِـــهـــا بـــالـــرَّاحْ

5 ـ وهَـــلْ يُـــدَاوي الآسْ
كَـــمَـــا تُـــدَاوِي الـــرَّاحْ

6 ـ تُـهَـذِّبُ الأخْـلاقْ وتُـصْـلِـحُ الأبْـدَانْ

7 ـ ولَـوْنُـهـا بَـرَّاقْ فـي سـائِـرِ الأكْـوَانْ

8 ـ قَـلْـبـي لـهـا قـد مَـالْ
وحُـبُّهُ قـد هَـاجْ

9 ـ فـأسْـتَـضِـي بـالـمَـالْ
سِـراجَـهَـا الـوهَّـاجْ

10 ـ كَـيْ أبْـلُـغَ الآمَـالْ
فـي ذَلِـكَ الـمِـنْـهَـاجْ

11 ـ يـا مَـعْـشَـرَ الـعُـشَّـاقْ وفِـئَـةَ الإخْـوانْ

12 ـ لا تَـعْـذِلُـوا الـمُـشْـتَـاقْ الـهـائِـمَ الـوَلْـهـانْ

13 ـ مَـنْ دَمْـعُـهُ قـدْ سَـالْ
كـأنَّـهُ أمْـطـارْ

14 ـ فـمـا تَـرَاهُ سَـالْ
إذْ لُـبُّهُ قـد طَـازْ

15 ـ والـحـالُ يـا مَـنْ سَـالْ
يُـغْـنِـي عَـنِ الأخْـبَارْ

16 ـ مَـنْ لـي مِـنْ أحْـدَاقْ ذوابِـلَ الأجْـفـانْ

17 ـ فـبي لـهـا أحْـدَاقْ فـي حَـضْـرَةِ الرَّحـمْـنْ

* * *

ـ 45 ـ

[مجزوء الخفيف]

1 ـ قَـبْـلَ خَـمْـر الـدِّنـانْ
والـكُـرُومْ والـعَـصْـرِ

2 ـ أشْـرَقَـتْ فـي الـجِـنَـانْ
شَـمْـسُ هـذا الـخَـمْـرِ

3 ـ كـم لِـهَـذي الـشَّـمُـوسْ
فـي الـقُـلُـوبْ مـن أسْـرَارْ

4 ـ لـونُـهَـا فـي الـكُـؤُوسْ
يَـحْـكِـي ضَـوْءَ الـنَّـهـارْ

5 ـ لـو رأتْـهَـا الـمَـجُـوسْ
مـا اصـطَـلَـتْ قـطُّ نـارْ

6 ـ وَرْدَةٌ كـالـدِّهـانْ
لـلـعَـلِـيـلِ تُـبْرِي

7 ـ شُـرْبُـهـا لـي أمَـانْ
مِـنْ شُـهُـودِ غَـيْـرِي

8 ـ يـا لـهـا مـن رَحِـيـق
نـزَّهَـتْـنِـي عَـنِّـي

9 ـ فَــــغَـــــدَوْتُ حَـــــقِـــيــــقْ
غـــــائـــــبـاً عـــــن أيْـــــنِــــي
10 ـ مـــــا تَـــــرَانِــــي أفِــــيــــقْ
إذْ سَـــــكِـــــرْتُ مِـــــنِّــــي
11 ـ مـــــا خَـــــفَـــــى لـــــي بَـــــانْ
فـــــغَـــــدَوْتُ أدْرِي
12 ـ أنَّ حِـــــبِّـــــيَ دَانْ
بـــــعْـــــدَ طُـــــولِ هَـــــجْـــــرِي
13 ـ نُـــــورُ هـــــذا الـــــحَـــــبِـــــيـــــبْ
لـــــم يَـــــدَعْ لـــــي اشْـــــتِـــــبَاهْ
14 ـ إذ بـــــدا مـــــن قـــــريـــــبْ
ونَـــــظَـــــرتُ إيَّـــــاهْ
15 ـ لـــــيْـــــس قـــــطُّ يَـــــغِـــــيـــــبْ
عـــــن فُـــــؤَادِي سَـــــنَـــــاهْ
16 ـ لَـــــمْ يَـــــكُـــــنْ بِـــــمَـــــكَـــــانْ
وهـــــو كُـــــلُّ الأمْـــــرِ
17 ـ مَـــــنْ رَآهُ عِـــــيَّـــــانْ
لَـــــمْ يُـــــفِـــــقْ مِـــــنْ سُـــــكْـــــرِ

* * *

ـ 46 ـ

[المجتث]

1 ـ قَـــلْـــبُ الـــمُـــحِـــبِّـــيــنَ نـــاظِـــرْ
لِـــحُـــسْـــنِ تـــلـــكَ الـــمـــنـــاظِـــرْ
2 ـ ولـــم يَـــزَلْ بـــاجْـــتِـــهـــادِ
فـــي حَـــضْـــرَةِ الـــحـــبِّ حـــاضِـــرْ

3 ـ قـد غـابَ عـن كـلِّ شَـيءْ
سـواهُ فـي الـكَـوْنِ ظـاهِـرْ

4 ـ فـي حُـسْـنِـهِ يَـتَـرقَّـى
فـهـو مـدَى الـدَّهْـرِ سـائِـرْ

5 ـ مـا إن تـأدَّبَ يـومـاً
فـي مَـقْـعَـدٍ وهـو صـاغِـرْ

6 ـ إلاَّ ارْتَـقَـى لـمـقـامِ
يَـعُـدُّهُ مُـتـجـاسِـرْ

7 ـ لأنَّ مـا قـد رآهُ
مـن أوَّلٍ هـو آخِـرْ

8 ـ لـكـنْ عـلـيـه حِـجـابٌ
بـسَـطْـوَةِ الـعـزِّ قـاهِـرْ

9 ـ فَـلَـم يـزَلْ فـي اكْـتِـئـابٍ
يَـتُـوب مـن كُـلِّ صـادِرْ

10 ـ لأنَّ مـا كـانَ مـنـهُ
عـن رُتْـبَةِ الـعَـبْدِ قـاصِـرْ

11 ـ والـحـقُّ لا يـتـنـاهَـى
لـذاكَ تـابَ الأكـابِـرْ

12 ـ وكُـلُّـهُـمْ مِـنْ ذُنُـوبِ
بِـعِـصْـمَـةِ الـلَّـهِ طـاهِـرْ

13 ـ لأنَّـهُـمْ لـه رُسْـلٌ
بـهـم تُـزَالُ الـمـنـاكِـرْ

* * *

- 47 -

[المجتث]

1 - لِــلَّــهِ إنْ جُـزْتَ عــنِّــي
أنــظُــرْ بــعَــيْــنِــكَ عَــيْــنِــي

2 - وَعُــذْ بــالــفِــكْــرِ جِـدّاً
عــن كُــلِّ آنٍ وأيْــنِ

3 - تَــجِــدْ جــمــيــعَ الــمــعــانــي
تَــلُــوحُ فــي الــكَــوْنِ مِّــنــي

4 - وأنَّ روحــي راحٌ
قــد اسْــتَــكَــنَــتْ بَــدَنِــي

5 - أعَــدَّهــا الــلَّــهُ شُــرْبــاً
عَــنِ الــعــوالِــمِ يُــفْــنِــي

6 - لِــكُــلِّ مَــرْءٍ مُــحِــبٍّ
جَــنَــا الــسَّــعــادَةَ يَــجْــنِــي

7 - بِــســابِــقِ الــفَــضْــلِ مــنــهُ
قِــدْمــاً وخــالِــصِ مَــنِّ

* * *

- 48 -

[مخلع البسيط]

1 - جَـمَـعْـتَ فـي حُـسْـنِـكَ الـمَـطـالِـبْ
فــمــا لــنــا لــلــسِّــوَى نَــظَــرْ

2 - وكُــلُّ شــيءٍ نَــراهُ غــائــبْ
لــمَّــا بــدَا وجْــهُــكَ الأغَــرْ

3 - يــا سَــيِّــداً كُــلَّــمــا تَــجــلَّــى
إلــى مُــحِــبٍّ لــه خَــضَــعْ

4 ـ أنْـتَ بـعِـزِّ الـكَـمـالِ أعْـلـى
مـن كُـلِّ مَـنْ فـي الـعُـلَـى ارْتَـفَـعْ
5 ـ وكُـلُّ حُـسْـنٍ بِـكَـمْ تَـحَـلَّـى
طُـوبـى لِـمَـرْءٍ بِـكَ اجْـتَـمَـعْ
6 ـ مـشـارِقُ الـكَـوْنِ والـمـغـارِبْ
كُـلٌّ إلـى نُـورِكَ افْـتَـقَـرْ
7 ـ وأنْـتَ فَـوْقَ الـجـمـيـعِ غـالِـبْ
لأنَّـكَ الـعَـيْـنُ والأثَـرْ
8 ـ يـا نُـورَ عـيـنِ الـعُـيُـونِ طُـرّاً
يـا غـايَـةَ الـقَـصْـدِ والـمُـرادْ
9 ـ سَـقَـيْـتَـنِـي مـن بَـهَـاكَ خَـمْـراً
أحَـالَـتِ الـنَّـوْمَ لـلـسُّـهـادْ
10 ـ فـلَـمْ أجِـدْ فـي هـوَاكَ صَـبْـراً
يـا سـاكِـنَ الـجِـسْـمِ والـفُـؤادْ
11 ـ هَـجَـرْتُ مـن أجْـلِـكَ الـحـبائِـبْ
إذ لـيـسَ لـي دُونَـكُـمْ وطَـرْ
12 ـ وصـارَ عِـنْـدِي مِـنَ الـعَـجَـائِـبْ
وجُـودُ مَـرْءٍ عـنـكُـمْ صَـبَـرْ

* * *

ـ 49 ـ

[مخلع البسيط]

1 ـ يـا راحَـةَ الـرُّوحِ مـا أجَـلَّـكْ
أنْـتَ الـذي حُـزْتَ كـلَّ زَيْـنِ
2 ـ ولـم تَـزَلْ فـي الـوجـودِ وحْـدَكْ
فَـرْداً نَـزيـهـاً عـن كـلِّ أيْـنِ

3 ـ طُوبَى لِقَلْبٍ غَدا مَحَلَّكْ
ولَمْ يُعَذَّبْ بِنَارِ بَيْنِ

* * *

ـ 50 ـ

[مخلع البسيط]

1 ـ يا مَنْ غَدا في الفُؤادِ ساكِنْ
عَنْ حُبِّكَ القَلْبُ ما سَكَنْ
2 ـ إنِّي غَرِيبٌ مِن المَساكِنْ
وأنْتَ لي الأهْلُ والسَّكَنْ

* * *

ـ 51 ـ

[مجزوء الرمل]

1 ـ كُنْتُ ما بَيني وبَيْنِي
غائِباً عَنِّي بأيْنِي
2 ـ والذي أهْوَاهُ حَقّاً
لَمْ يَزَلْ ذاتِي وعَيْنِي
3 ـ فانْظُرُونِي تُبْصِرُوهُ
إنَّهُ واللَّهِ أنِّي
4 ـ لَيسَ مَنْ يَهْوَى سِوَاهُ
في طَرِيقِ الحُبِّ حُجَّهْ
5 ـ فازَ مَنْ أضحَى يَراهُ
وانْطَوَتْ عَنهُ المَحَجَّهْ
6 ـ زالَ عَنْ طَرْفِي غِطَاهُ
وبَدا حِبِّي بلا هُو

7 ـ وانْــتَــهَــى أمْــرِي إلــيــهِ
إذْ طَــوَى عَــنِّــي سِــوَاهُ
8 ـ فَــغَــدَوْتُ فــي سُــرُورِ
نــائِــلاً قَــلْــبِي مُــنَــاهُ
9 ـ خــائِــضــاً مــن فَــرْطِ وجْــدِي
فــي هَــواهُ كــلَّ لُــجَّــهْ
10 ـ فــازَ مَــنْ أضْــحَــى يــراهُ
وانْــطَــوَتْ عــنه الــمَــحَــجَّــهْ
11 ـ سَــمَــحَــتْ بــالــوَصْــلِ مــيّــاً
وسَــرَى نُــورِي إلــيَّــا
12 ـ وغَــدَا لَــيْــلِــي صُــبْــحَــاً
مُــشْــرِقــاً مــنِّــي عَــلــيَّــا
13 ـ فــأنــا فَــرِيــدُ عَــصْــرِي
قُــولُــوا لــي بُــشْــرَى هَــنــيّــا
14 ـ لــم يَــزَلْ حــبِّــي بِــصَــدْرِي
وسَــوَاهُ الــقَــلْــبُ مَــجَّــهْ
15 ـ فــازَ مَــنْ أضْــحَــى يــرَاهُ
وانْــطَــوَتْ عــنه الــمَــحَــجَّــهْ

* * *

ـ 52 ـ

[مجزوء الرمل]

1 ـ كُــنــتُ قــبــل الــيــوم مُــضْــنَــى
بــالــنَّــوَى والــبَــيْــنِ
2 ـ دائِــمَ الأحْــزانِ لــمَّــا
جَــنَّ لَــيْــلُ الأيْــنِ

3 ـ فـانْـثَـنَـى لـيْـلِـي وفَـجْـرِي
لاحَ لـلـعَـيْـنَـيْـنِ

4 ـ فـأنـا فـي الـكَـونِ وحْـدِي
مـالِـكُ الـجَـمْـعَـيْـنِ

5 ـ لـم نـزلْ مـن فَـرْطِ وَجْـدِي
بَـرْزَخَ الـبَحْـرَيْـنِ

6 ـ قـد تـجـلَّـتْ شـمـسُ ذاتـي
مـن سَـحَـابِ الـغَـيْـنِ

7 ـ واسْـتَـوَتْ مـن فـوْقِ عَـرْشِـي
فـهـي عـيْـنُ الـعَـيْـنِ

8 ـ لا تَـرَى فـيـهـا ظُـهُـوري
غـيـرَ نَـفْـسِ الـمَـيْـنِ

9 ـ فـهـي مـن جـسْـمِـي وروحـي
واحِـدٌ فـي اثْـنَـيْـنِ

10 ـ أحْـرَزَتْ لـفْـظـاً ومـعـنًـى
مـنِّـي الأمْـرَيْـنِ

11 ـ غـيـرَ أنـي فـي غـرامِـي
نُـظْـهِـرُ الـضِّـدَّيْـنِ

12 ـ كـي نُـسـاعِـدْ فـي خـفـاهـا
حـالَ تِـيـهِ الـزَّيْـنِ

13 ـ وتـرانـي فـي هـواهَـا
لابِـسَ الـلَّـوْنَـيْـنِ

14 ـ غَـيْـرَةً مـنِّـي عـلـيـهـا
أنْ تُـرَى بـالـعَـيـنِ

15 ـ مَــنْ رآهــا فــي صِــفــاتــي
ظَـــنَّـــنـــي ظَـــنَّـــيْـــنِ
16 ـ وأنــا والــلَّــهِ وخــدِي
مَــطْــلَــعُ الــشَّــمْــسَــيْــنِ

* * *

ـ 53 ـ

[مجزوء الكامل]

1 ـ الــصَّــبْــرُ بــابٌ لــلــظَّــفَــرْ
والــلَّــهُ يَــرْحَــمُ مَــن صَــبَرْ
2 ـ وإذا عــراكَ الــخَــطْــبُ سَــ
ـلِّــمْ لــلــذي أجْــرَى الــقَــدَرْ
3 ـ وتَــشَــفَّــعَــنَّ بــأحْــمَــدٍ
فــي كــلِّ أمْــرٍ ذي خَــطَــرْ
4 ـ فــبِــجــاهِــهِ لاذَ الأُلَــى
فــازُوا جــمــيــعــاً بــالــوَطَــرْ
5 ـ ربِّــي بــهِ وبِــنــآلِــهِ
عــن عَــبْــدِكَ ادْفَــعْ مــا أضَــرْ

* * *

ـ 54 ـ

1 ـ نِــلْــتُ مــا نَــوَيْــتْ
لَــمَّــا رأيْــتُ حِــبِّي
2 ـ وذاتِــي رأيْــتْ
3 ـ مــاذا لــي ونَــا مَــهْــجُــورْ
وأنــا الــحَــبِــيــبْ

4 ـ وسـرِّي عـنِّـي مَـسْـتُـورْ
وهـو قَـرِيـبْ
5 ـ لِـلَّـهِ يـا صـاحِ انْـظُـرْ
ذا الأَمْـرْ الـعَـجِـيـبْ
6 ـ عـنِّـي قـد خَـفَـيْـتْ
وشَـمْـسِـي مـنِّـي تَـطْـلُـعْ
7 ـ وأنـا مـا دَرَيْـتْ
8 ـ هـذا الـمَـحْـبُـوبْ إذا ارْضَـى
يَـرْضَـى كُـلُّ شَـيْ
9 ـ والـلِّـي يَـهْـوَى وِصـالُـو
ذاتُ يَـطْـوِي طـيْ
10 ـ وعَـلَـى جِـهـاتُ دايَـمْ
مـا يَـبْـقَـى لـو رَاي
11 ـ أنـا مَـنْ هَـوَيْـتْ
وخَـمْـرِي مـنِّـي اشْـرَبْـتْ
12 ـ وعَـنِّـي رَوَيْـتْ
13 ـ يـا طـالِـبَ الـحـقِـيـقَـا
اسْـمَـعْ مـا أَقُـولْ
14 ـ مـنـكَ هـي الـطَّـرِيـقـا
ولَـكَ الـوُصُـولْ
15 ـ فَـزُلْ تَـراكَ حَـقّـا
بـعـد مـا تَـزُولْ
16 ـ إلَـيْـكَ انْـتَـهَـيْـتْ
ولَـيْـسَ ثَـمَّ غَـيْـرُكْ
17 ـ وَبِـكَ بَـقَـيْـتْ

* * *

- 55 -

1 - صافِي الحَبيب تَظْفر بابْدِيع نْوارُو
وتَحُوزْ من بهاهْ إيمَارا

2 - بها تْنالْ من بين الخَلْق سْرَارُو
وتْعُودْ للنْفُوس طْهَارَا

3 - ذَكْرُ حْقيقْ للقَلْبْ ادْوَا
يْشْفِيهْ مْنْ سْقَامْ وهَامُو

4 - ويْسِيرْ لِغَيْرْ السِّوَى
ويْلْذْ لُو فيهِ مْنَامُو

5 - بِهْ الوُجُودْ كُلُّو يَضْوَى
مْنْ غْشْقْ الهْوَى وظْلامُو

6 - يْسْعَدْ مْنْ اضْحَى يْخْلَعْ فِيهِ اعْذَارُو
وَيْدُورْ في شْوَايْخ الدَّارَا

7 - يْنْشَدْ فالْحْبِيبْ سْجَالُو وشْعَارُو
والقَوْم مْنْ اهْوَاهْ اسْكَارَا

8 - يا مَنْ بْغَا وْصَالْ حْبِيبُو
افْنَى تْشُوفْ نُورْ الحَضْرَا

9 - وَارْقَ عَلَى الاكْوَانْ نْصِيبُو
يْغْنِيكْ عَنْهُمْ بْنْظْرَا

10 - مْنْ كانْ ذَا الحَبِيبْ نْصِيبُو
مْنْ كُلْ بَاسْ حَالُو يَبْرَا

11 - تْشْرَقْ فالقُلُوبْ شْمُوسُ واقْمَارُوا
وَتْجِيهْ كُلْ وَقْتْ بْشَارَا

12 - مَنْ نَالَ فْ المَحَبَّ والصَّدْقْ افْكَارُو
يْشْعَلْ مْنْ ضْيَاهْ امْنَارَا

13 ـ يْـصْـدَقْ فْ الـمَـحَـبَّ حَـالُـو
يْـظْـهَـرْ فـي وْصَـافْ ايـمَـانُـو
14 ـ وْيـلُـوحْ لـلـعْـبَـادْ جْـمَـالُـو
لـوْ يـكُـتْـمْ طُـولْ زْمَـانُـو
15 ـ يْـنْـفَـقْ عْـلـى حْـبِـيـبُ مَـالُ
وْيـزِيـدْ مُـهْـجْـتُـو وَابْـدَانُـو
16 ـ دَيْـمَ تْـرَاهْ بَـيْـنَ اوْرَادُ وَاذْكَـارُ
عَـنْـدُ فْـكُـلْ وَقْـتْ عْـمَـارَا
17 ـ يْخْشَى تْفُوتْ فالهَزْلْ جْمِيعَ اعْصَارُ
وِيْـضِـيـعْ الـعْـمَـرْ خْـسَـارَا
18 ـ مْـنْ هُـو لْـبِـيـبْ فَـاطَـنْ يـا صَـاحْ
يْـسْـعَـى فْ صْـلاَحْ مْـقَـامُـو
19 ـ وْيْـبُـوحْ بـالـغْـرَامْ وِيْـرْتَـاحْ
مْـنْ كَـيْـدْ الـرْقِـيـبْ وْمْـلامُـو
20 ـ هَـذَا الْـهْـوَى صْـعِـيـبْ وفْـضَّـاحْ
يْـشْـعَـلْ فـالـقُـلُـوبْ ضْـرَامُـو
21 ـ بِهْ الْعْشِيقْ يْتْقَلْبْ فُوقْ جْمَارُو
وَلا تْـفِـيـدْ فـيـهْ خْـزَارَا
22 ـ لَـيْـلُ فـي غْـرامُ يَـفْـنِـي وَنْـهَـارُو
ومْـحَـبَّـتْ الـحْـبِـيـبْ تْـجَـارَا

* * *

- 56 -

1 ـ جَـنْ الـلـيـلْ عْـلـيَّـا
حـتَّـى ظْـهْـرُوا لـي كْـوَاكْـبُ

2 ـ والْطُفْ رَبِّي بِيَّا
وافَى لِي الْمَرْغُوبْ
3 ـ بَانْ حْبِيبِي لِيَّا
مُدَّ لِي وانَا نْرَاقْبُ
4 ـ والْلِّي فِيهِ النِّيَا
يَظْفَرْ بالْمَحْبُوبْ
5 ـ رُوحِي لِيهْ اهْدِيَا
عُمْرِي فيهَا ما نْطَالْبُ
6 ـ إذَا يَرْضَى بِيَا
أنَا لُو مَكْسُوبْ

* * *

ـ 57 ـ

1 ـ جَادْ الزمان واسْتَبْشر قلْبْ الهايْمْ
واتْحَلَّى بالسَّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ
2 ـ انْكَى الحْسُودْ واظْفَرْ بالعِزْ الدَّايْمْ
واصْبَحْ يَتْبَخْتَرْ في ثْيَابْ هْنَاهْ
3 ـ طَابْ السْرُورْ مْعَ البْدُورْ بَيْض النْحُورْ
4 ـ فَاغْنَمْ كَاسْ
الرَّاحْ هَا حْبِيبْكْ زَارْ
5 ـ أسْقِ وْدُورْ وانْفِ الشْرُورْ طُولْ الدْهُورْ
6 ـ سَاعَةْ السْلْوَانْ
فَايْدَاتْ الاعْمَارْ
7 ـ وَاتِ الْمْلِيحْ واعْصِ فاللَّوْمْ اللاَّيْمْ
واعْمْلْ في زْمَانْكْ كُلْ ما تْهْوَاهْ

8 ـ وانْشُدْ مْنْ اشْعَارْكْ فالحُسْنْ نْغَايْمْ
نْجَمْكْ صَاحِ صَارْ في صْعُودْ سْمَاهْ
9 ـ صِلْ الشْرَابْ النْكْدْ غَابْ والزْهُو طَابْ
10 ـ وَسْرُوجْ الفُرْجَاتْ
شَعْشْعَتْ الانْوَارْ
11 ـ رَشْفْ الاكْوَابْ مْعَ الاحْبَابْ عَيْنْ الصْوَابْ
12 ـ ازْهَى فِي ايَّامْكْ
لَوْ تْعِيشْ نْهَارْ
13 ـ نَظْرَا فْ الحَبِيبْ تْمْحِي كُلّ جْرَايْمْ
والرَّحْمَنْ كْرِيمْ يَاللِّي يْرْجَاهْ
14 ـ إذَا ما ارْضَى ما تْنْفَعْ عْزَايْمْ
لَوْ بْاعْمَالْ الخَيْرْ كُلْهَا تْلْقَاهْ

* * *

ـ 58 ـ

1 ـ أتَارِكِي سَاهِرَ اللَّيَالِي
وقَاتِلِي وهوَ لا يُبَالي
2 ـ بِاللَّهِ يا نِعمَ الحَبِيبْ
ومَنْ لَهُ الحُسْنُ العَجِيبْ
3 ـ صِلِ المُتَيَّمَ الكَئِيبْ
رَغْماً عَلَى أنْفِ الرَّقِيبْ
4 ـ وكُلِّ قَالِي
5 ـ لَزِمْتَ قلبي فما حلا لي
سِواكَ بَلْ لَيسَ بالحَلالِ
6 ـ أيَسْلُو عَبْدُكَ الذَّلِيلْ
عَنْ ذلِكَ الوَجْه الجَمِيلْ

7 ـ يـا مَـنْ بِـوَاضِـحِ الـدَّلِـيـلْ
يَـفُـوقُ طَـرْفُـه الـكَـحِـيـلْ
8 ـ سُـمْـرَ الـسـعَـوَالـي
9 ـ عَـلِـمْـتُ أنِّي بـالـعِـشْـقِ صَـالِـي
وأنَّ قَـتْـلِـي مِـنَ الـنِّـبَالِ
10 ـ لـمَّـا رأيْـتُ ذَا الـحَـوَرْ
سَـدَّدَ لـلـرَّمْـيِ الـنَّـظَـرْ
11 ـ وَجَـسَّ بـالـكَـفِّ الـوَتَـرْ
وقَـالَ مِـنِّـي لا مَـفَـرْ
12 ـ بَـدْرُ الـكَـمَـالِ
13 ـ رعـاكَ رَبِّـي رُوحِـي ومـالِـي
فِـدَاكَ يـا بـاهِـرَ الـجَـمَـالْ
14 ـ أحْـرَقْـتَ بـالـهَـجْـرِ الـبَـدَنْ
وبَـيْـنَ طَـرْفِـيَ والـوَسَـنْ
15 ـ قـد حُـلْـتَ بـالـوَجْـهِ الـحَـسَـنْ
فَـفُـكَّ أسْـرِي وارْحَـمَـنْ
16 ـ وانْـظُـرْ لِـحَـالِـي
17 ـ بِـئَـاسِ صُـدْغَـيْـكَ واخْـتِـفـالـي
بـحُـسْـنِـكَ الـفـاقِـدِ الـمِـثَـالِ
18 ـ أنِّـسْ غَـرِيـبـاً طـالَـمَـا
بـالـدَّمْـعِ جَـفْـنُـهُ هَـمَـا
19 ـ وكـادَ يَـقْـضِـي سَـقَـمَـا
حـتَّـى تَـرَقَّـى وسَـمـا عَـنِ الـخَـيَـالِ

* * *

- 59 -

1 - نَـارْ حُـبَّـكْ فـالـقَـلْـبْ كْـدَاتْ
يَـالـلِّـي ذَاتِـي فِـيـهْ فْـنَـاتْ

2 - مايْلِي تَحْتَ حْكَامْ القَهْرْ في هْوَانِي
نْـكْـوِيـتْ بْـجَّـمْـرْ الـلْـظَـا

3 - يْعْذَرْنِي اللِّي يْشُوفْنِي مُوْلَهْ في احْوَالِي

4 - صُـونْ سِـرِّي فـالْـحُـبْ سْـكَـاتْ
والـهْـوَى صَـوْلاَتُـو صَـوْلاتْ

5 - كَـمْ سَـاعَ بْـنْـبَـالْ مْـحَـيْـنُ زْمَـانِـي
وانَـا زَاهِـي بْـمَـا قْـضَـا

6 - نْـتْـقَـلْـبْ مْـنْ لِـعْـتِـي عْـلَـى نَـارْ هْـوَالِـي

7 - زَالْ عَـقْـلـي وَمْـشِـيـتْ اشْـتَـاتْ
لا خْـبِـيـبْ نْـعْـرْفُـو هَـيْـهَـاتْ

8 - جِينْ رِيتْ جْمَالْكْ عن كُلْ شِي دْهَانِي
سْـكْـرَانْ خْـرُجْـتْ لـلْـفْـضَـا

9 - نُـورْ بْـهَـاكْ عَـلَـى الـدْوَامْ بَـارْزْ لْـنْـجَـالِـي

10 - مـا يْـلِـي فَـاغْـرَامَـكْ جِـهَـاتْ
كُـلْ شِـي هُـوَ عَـيْـنْ الـذّاتْ

11 - غَيْرْ سَرَّكْ يْظْهَرْ فِقْوَالْبْ المْعَانِي
مَـعْـرُوفْ بـاعْـلاَيْـمْ الـرْضَـا

12 - يا الَـلِّي قَـلْـبُ عَـنْ ما يْرَى وَهْـمُ خـالِـي

13 - يَـالـلِّـي وَالـغ بـالـفُـرْجَـاتْ
كُـبْ خَـمْـرْكْ واشْـرَبْ طَـاصَـاتْ

14 - هَـا حْـبِـيبَـكْ تْـرَاهْ إذا انْـتَ تْـرَانِي
فَـاثْـيَـابَ الـصَّـوْنْ والـخْـضَـا

15 ـ خَفِي عَنْ عَيْنْ الرَّقِيبْ سَاكَنْ بْاوْصَالِي

16 ـ قُـمْ وَارْقُـصْ واغْـنَـمْ لَـذَّاتْ
فَـايْـدَاتْ عُـمْـرَكْ ذَا الـسَّـاعَـاتْ

17 ـ طَالْ هَجْرْ حْبِيبْكَ والْيَومْ رَاهْ دَانِي
وَتْـلاَفَ كُـلْ مَـا مْـضَـا

18 ـ وَنْـتَ فَـالْـهِـجْـرَا طْـرِيـحْ بْـهْـبَالَـكْ سَـالِـي

* * *

ـ 60 ـ

1 ـ زَارْ حْـبِـيـبِـي بـعـدمـا جْـفَـا
وتْـبْـدْدْ كَـرْبِـي

2 ـ وَتْـيَـقَّـنْـتْ بْـخَـاطْـرُ صْـفَـا
حِـيـنَ بْـغَـى قُـرْبِـي

3 ـ وَجْـذْبْـنِـي بـالـصْـدْقْ والـوْفَـا
واخْـلَـعْ عَـنْ حَـجْـبِي

4 ـ واظْـهَـرْ لـي سِـرْ مـا خْـفـا
عَـنِّـي فـي جَـذْبِـي

5 ـ نَـارْ غْـرَامُ مَـا تَـنْـطْـفَـا
عُـمْـرِي مَـنْ قَـلْـبِي

6 ـ مـا مِـنِّـي لـيـلُـو مْـخَـالْـفـا
يَـقْـتَـلْ أوْ يَـسْـبِي

7 ـ لامُـونِـي فْـاهْـوَاهْ مـا كْـفَـا
وَتْـقَـوَّى عَـجْـبِي

8 ـ وَانَـا حَـالـي مـا يَـنْـتَـفَـا
رَاسَـخْ فـي شُـرْبِـي

9 ـ نِـلْـتُ وْصَـالُ بـالْـمْـسَـاغْـفَـا
مَـا هُـوَ مْـنْ كَـسْـبِي

10 ـ غَـيْـرْ تُـلاقِـيـتْ مْـصَـادْفَـا
سَـــابَـــقْ مْـــنْ رَبِّـــي

11 ـ [سَـابَـقْ مْـنْ رَبِّي عْـلَـى الـصْـفَـا
وْفَـــا لِـــي قُـــرْبِـــي

12 ـ وْقَــرِيــتْ حْـرُوفُـو مْـؤَلْـفَـا
فْ طْـــلاَسْـــمْ غَـــيْـــبِي]

* * *

ـ 61 ـ

1 ـ جَـــادْ عْـــلـــيَّ بْـــرْضَـــاهْ
الـــحْـــبِـيـــبْ الـــلِّـــي حَـــبِّـيـــتْ

2 ـ زَارْنِـي ونْـعَـمْ لِـيَ بـالـوْصَـالْ
حِـــيـــنْ اشْـــرَقْ نُـــورْ ابْـــهَـــاهْ

3 ـ كُـلْ شِـي بـالـقَـهْـرْ نْـسِـيـتُـو
يـا هْـلِـي عَـقْـلِـي اذَا شُـفْـتُـوهْ زَالْ

4 ـ مـــا بِـــي غَـــيْـــرْ هْـــوَاهْ
بَـانْ فِـيَّ بَـعْـدْمَـا خْـفِـيـتْ

5 ـ الـغْـرَامْ إذَا هُـو تْـقَـوَّى وْصَـالْ
مــا يَـــقْـــدَرْ مَـــنْ يَـــلْـــقَـــاهْ

6 ـ شُـفْ حَـالِـي حِـيـنْ الْـقِـيـتْ
حَـاطْ بِـيَ واقْـهَـرْنِـي بـالـنْـصَـالْ

7 ـ كُـلِّـي فـالْـحَـقْ افْـنَـاهْ
قَـالْ لـي غَـيْـرْكْ مـا رِيـتْ

8 ـ يـا الـوَالَـهْ زَوَّلْ شَـكْ الـخْـيَـالْ
مـــا ثَـــمَّ غَـــيْـــرْ الـــلَّـــهْ

* * *

ـ 62 ـ

1 ـ كُـــلِّـــي فَـــوْجُـــودَكْ
غَـيْـبُو عَـنِّـي يـا سِـيـدِي رْضَـاكْ
2 ـ وَغْـــشَـــانِـــي جُـــودْكْ
والاحْـسَـانْ الـلِّـيَ ظـاهْـرْ فِـيـكْ
3 ـ لايْـــنْ مَـــقْـــصُـــودْكْ
بـالْـذِي يْـبْقَـى فـالْـحَـضْـرَا مْـعَـاكْ
4 ـ زَاهِـــي بْـــوْصُـــولْـــكْ
لا غْـــنَـــى دَايْـــمْ وَالَـــغْ بِـــيـــكْ
5 ـ يَـــشْـــرَقْ بْـــسْـــعُـــودْكْ
فِـي سْـمَـا عَـقْـلُ بـالـنْـظْـرَ ابْـهَـاكْ
6 ـ مْـــنْ بَـــيْـــنْ عَـــبِـــيـــدَكْ
فـالْـمَـقَـامْ الـلِّـي كَـيْـرْضِـيـكْ
7 ـ اخْـــضَـــعْ لِـــســـيـــدْكْ
بْـالـصْـفَـا وتْـحَـدْثْ بْـالـلِّـي عْـطَـاكْ
8 ـ الْـــكَـــرِيْـــمْ يْـــزِيـــدْكْ
بـالْـفْـضَـلْ يـا صَـاحِ يُـغْـنِـيـكْ
9 ـ وَابْـــذَلْ مَـــجْـــهُـــودَكْ
فـالـذِكْـرْ وَتْـلْـذْذْ بـالـلِّـي نْـشَـاكْ
10 ـ تَـــنْـــحَـــلْ قْـــيُـــودَكْ
بـالـلْـذِي فْ الـدُّنْـيـا يْـلْـهِـيـكْ
11 ـ وَانْـــسَ بَـــاحْـــبِـــيـــبْـــكْ
كُـلْ شِـيء وَاجْـمَـعْ فـي ذَاتُـو هْـوَاكْ
12 ـ واشْـــكُـــرْ مَـــعْـــبُـــودَكْ
مَـنْ اضْـحَـى بـالْـقُـدْرَا يْـهْـدِيـكْ

* * *

الباب الثالث

حِكمهُ

المنيرة للبصيرة الإنسانية

(سيدي محمد الحراق)

الباب الثالث

حكمه

قال رضي الله عنه:

1 ـ لا تطلب منه تعالى أن يقيمك في وصف معين لأنك ربما طلبت منه ما حجبك به عنه، واطلب منه التأييد في المراد والتحصن به من موجبات البعاد، فالمؤيد لا يغيب بالنعم ولا يفتن بالألم. واذكر أيوب وسليمان عليهما اللصلاة والسلام.

2 ـ لا تطلب ما له ضد فيهيج ضده عليك، واطلب ما لا ضدّ له تكن الأشياء عبيداً إليك.

3 ـ إذا أراد سبحانه أن يمنَّ عليك بدوام النظر إليه جمع همتك في جميع الأحوال عليه فتكون كما قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115].

4 ـ العارف المحض يقيم الأدب مع الله في جميع الجهات بحضوره مع الله في جميع الجهات والغافل المحض لا يقيم الأدب مع الله في جميع الجهات لغيبته عن الله في جميع الجهات. ومن يقيم الأدب مع الله في جهة ولا يقيمه في جهة فهو حاضر مع الله في جهة وغافل عن الله في جهة، فهو قائل بالجهة ولا يشعر.

5 ـ والعلم النافع لا يسكن إلاَّ في قلب خاضع لأن كل خاضع سامع ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرّعد: الآية 17]. العلم النافع له سطوة العبودية بعزَّة الألوهية لا تستطيع القلوب رده.

6 ـ إذا أردت قطع النزاع بينك وبين نفسك فاهرب إلى الله سبحانه.

7 ـ شرف العبودية لا يعادله شرف لو كنت تفهم عن الله تعالى.

8 ـ إذا برزت العبودية في قلب اجتمعت القلوب عليه وإذا أبصر القلب متعززاً تحولت العزَّة إليه.

9 ـ لا يرى الحق إلاَّ من اطمأن قلبه ولا يطمئن مع الالتفات لشيء من الكون ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: الآيتان 27، 28].

10 ـ القلب محجوب عن النظرة ولو بالالتفات لأدنى من ذرة.

11 ـ ارفع همتك عن شهود نفسك وخيالات حسك ترى الحق كما قال: «أقرب إليك من حبل الوريد».

12 ـ لا سبيل للمكاشفة مع وجود المخالفة.

13 ـ لو كان الكون حجاباً حقيقياً ما انخرق بالاطلاع على حقيقته والنظر إلى أصل هويته.

14 ـ ما حجبك عنه ثبوت الحجاب، وإنَّما حجبك عنه قاهِرية العزيز الوهاب «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري».

15 ـ مِمَّا يدلك على عدم وجود شيء معه أن لا تصرف لشيء معه، وكل موجود لا بد له من تصرف، ولو انطلقت من قيود الوهم لعلمت أن إثبات لفظ الغير حِكمةٌ صرْفة.

16 ـ الرجوع للخلق بالخلق رجوع للنّفْس بالنفس، والرجوع للخلق بالحق رجوع للحَقِّ بالحق.

17 ـ الكون لا يعقل عنك إلاَّ بترجمان منك، فإذا أردت الكلام معه فكلم نفسك واجعل لغتك العبودية لأن العبد لا يفهم إلاَّ بلسان العبد.

18 ـ ما جَعَلَ لك الاختيار إلاَّ ليظهر ما فيك من العجز والاضطرار.

19 ـ وربما قضى عليك بالذنب ليرقيك في العبودية ويذيقك لذة التنصل منه بين يدي الربوبية.

20 ـ الذنب إذا فتح لك باب التوبة النصوح استحلت ظلمته نوراً وحزنه سروراً.

21 ـ الذنب إذا حققك بالمتَابِ خير من طاعة مع وجود الحجاب. فأي ذنب للتائب وأي طاعة مع وجود الحاجب.

22 ـ إذا أحبك كان ذنبك اقتراباً وإذا أبغضك كانت طاعتك حجاباً، فـ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [المُلك: الآية 1].

23 ـ الحب منه سبحانه دعاء للحضرة، وهي منزهة عن وجود المعصية فيها ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الواقِعَة: الآية 25].

24 ـ العارف إذا أخذ عنه تكلم بأسرار الألوهية وإذا رد إليه تكلم في أحوال العبودية.

25 ـ العارف إذا أخذ عنه تكلم في العلويات وإذا رد إليه تكلم في السفليات.

26 ـ العارف إذا أخذ عنه تكلم بأسرار المُكوِّن وإذا رد إليه تكلم في أحوال الكون.

27 ـ العارف إذا أخذ عنه تكلَّم بأسرار الأمر، وإذا ردّ إليه تكلَّم في أحوال الأوامر.

28 ـ العارف إذا أخذ عنه كان متكلماً، وإذا رد إليه كان قلما، فهو على كل حال سفير الأنوار وترجمان الأسرار، ولكل مقام مقال.

29 ـ العارف إذا أخذ عنه اكتفى بالذكر اللساني والعمل الجسماني وإذا رد إليه هاجت به الأشواق وأطفأ بالذكر لواعج الاحتراق ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: الآية 24].

30 ـ المريد ربما دخل الحضرة على بساط الشوق فأساء الأدب فيها فرد لشريعة الظاهر بقبول العذر لصدمة الشهود تربية من الحق سبحانه له، فإذا عاد طرد.

31 ـ رحمك بأكدار الدنيا ليزعجك إليه، وأشهدك محاسن الآخرة لتقبل بكليتك عليه.

32 ـ من نظر للفروع استمدَّ من ظواهرها، ومن نظر لأصل الفروع استمد من بواطنها، وبواطنها أنواره وظواهرها أوهام.

33 ـ العارف ناظر إلى الله في كل شيء فيحفظه الأدب عن الله في كل شيء.

34 ـ فناء المريد حياة باقية، والحياة الباقية لا تزول ففناؤه لا يزول وإنما يقل ويكثر، فإذا كثر عبر عنه بالأخذ عنه، وإذا قلّ عبر عنه بالرد إليه.

35 ـ المريد إذا واجهته الحقيقة بالذات انطوى، وإذا واجهته بالصفات انتشر فهو على كل حال مواجه بالأنوار في الطي والانتشار، وهي بين شدة تجل

وذاك احمرار، وبين قلته وذاك اسفرار.

36 ـ الحق سبحانه إذا أراد أن يفتن العبد بالدنيا أراه منها زينة الظاهر، وإذا أراد أن يزهده فيها أشهده منها حقيقة السرائر.

37 ـ إذا أراد سبحانه الإحسان إليك مد سرادق ستره عليك وهو إنما استتر بالقاهرية فصرت تنال من كل شيء ولا ينال منك شيء وتتصرف في كل شيء ولا يتصرف فيك شيء، ويحتاج إليك كل شيء ولا تحتاج إلى شيء ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعَام: الآية 18]، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

38 ـ الحق سبحانه ظهر بالشريعة وبَطن بالحقيقة، فظهر بالباطن وبطن بالظاهر، وهو سبحانه الظاهر والباطن.

39 ـ لا يجهلك شيء إذا عرفته ولا يعرفك شيء إذا جهلته.

40 ـ إذا نظر بعين الإحسان إليك انخرقت عوائدك عليك وكثرت الفوائد لديك ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود: الآية 107] وحكَّام لما يشاء.

41 ـ الحضرة الإلٰهية منزّهة عن تبال بالأسباب وتدخل بالاكتساب لأنها لا تدخل إلاَّ بالكرم وهو لا يكون في مقابلة شيء.

42 ـ الحضرة محفوظة من سوء الأدب إلاَّ في التمني والطلب.

43 ـ من تعلق بالفقير بالذات ضم فقراً إلى فقره وحقراً إلى حَقْره، ومن تعلّق بالغني بالذات ضم إلى فقره غنى واستراح من التعب والعناء.

44 ـ مما يدلك على أن الغني بالمال فقير، حرصه على الزيادة منه بعد تحصيل الكثير، لا يزداد بورود المال إلاَّ عطشاً لأنه فتنة والفتنة لا تزيد إلاَّ دهشاً ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 191].

45 ـ لا يحقر الدنيا إلاَّ من رفع همته عنها وانقطع طمعه منها.

46 ـ لا تحقر الدنيا ما دمت تنظر إليها بنفسك وإنما تحقرها إذا نظرت إليها بربك لأنك إذا نظرت إليها بنفسك نظرت فناء بفناء وهو لا يرجع عليه وإذا نظرت إليها بربك نظرت فناء ببقاء وهو لا يركن إليه.

47 ـ لا يريد الحقيقة أحد إلاَّ لما أرادته إليه ولا يطلبها إلاَّ لمن سبق به القضاء

عليه فمن طلب الله لله فقراً فقد انفرد لعلام الغيوب، ومن طلبه لسواه كان عبداً لذلك المطلوب «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

48 ـ عين البصيرة تنظر في الكون إلى أنوار ذاته وعين البصر تنظر إلى بديع مصنوعاته، فمتعك سبحانه بالنظرتين ونزهك بفضله في كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: الآية 33].

49 ـ لا تركن للولاية على الخلق في شيء فإنها تكثر عليك الحقوق وتعلق قلبك بالمخلوق «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» واطلب ولاية الله عليك لتكون يده مبسوطة بالبر والإحسان إليك.

50 ـ يا عجباً كيف تستدل عليه وأنت منه وإليه، يا عجباً كيف تستدل عليه بالآلات وأنت الفقير إليه بالذات، يا عجباً كيف يستدل الجزء على الكل أو كيف يستدل الفرع على الأصل لا تستدل عليه بوجودك إلاَّ من عدم شهودك إذ المشاهد لا وجود له.

51 ـ لا يطلب منه الاقتراب إلاَّ من أغلق دونه الباب، إذ لا يطلب القرب إلاَّ ممن يُفْرض في حقه البُعْدُ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16].

52 ـ طالب القرب من الجاهلين والمحترز عن البعد من الغافلين.

53 ـ طالب القرب محجوب وصاحب الحضرة محبوب.

54 ـ العارف إنما يطلب القرب إذلالاً لنفسه وغيْرة منه على حضرة قدسه.

55 ـ العارف إنما يطلب القرب تأنيساً للمحجوب وصوناً لسر علاَّم الغيوب.

56 ـ القرب والحضور من الأسرار الإلٰهية والحكم الربانية وإلاَّ فأنى بَعُدَ حتى يقرب إليه، وأنى غاب حتى يحضر بين يديه.

57 ـ ربما واجهك بالجمال فكان جلالاً، وقابلك بالجلال فكان جمالاً، كل ذلك ليشهدك صحة إبراز العين في العين، والذات في الذات، والحقيقة في الحقيقة حتى لا تأمن في السعة من مكره ولا تيأس في الضيق من بره، فتكون مضطراً إليه على كل حال.

58 ـ إذا أردت حاجة ولم تجد لها ثمناً فلا تطلبها ممن يكلفك فيها عوض الغِنَى واطلبها ممن يقبل منك فيها عوض الاضطرار وحصول الذلة والاحتقار. يا عجباً تطلبها ممن لا يقبل منك فيها إلاَّ الغنى لكونه فقيراً وتدع من لا يقبل منك فيها إلاَّ الفقر لكونه غنياً قديراً.

59 ـ الحق سبحانه إنما وصف عباده بالفقر ليدلهم على الباب الذي منه تقضى الحاجات من غير تعب ولا مُعانات.

60 ـ ما حجبك عنه إلاَّ كونك له ومنه وهذه قاهرية محضة.

61 ـ شوارق النهايات تظهر من مطالع البدايات حتى ترى العجز يخفيك والقدرة تبرزك.

62 ـ إذا جرت بك سفن الملاطفة برياح العناية فاعلم أنك مراد للحضرة الإلٰهية.

63 ـ التوبة إذا لم تنس بعدها ذنبك فاتهم نفسك على عدم وجود الإخلاص فيها.

64 ـ إنفاق الحق سبحانه لا ينقص مخازنه لأنه من يده ليده، ولا ينقص إلاَّ ما يخرج ليد الغير ولا غير معه.

65 ـ من أراد إحصاء طرق الوصول إليه فليُحصِ أطوار خلقه عليه لأن الجميع مظاهر نوره وعروش تجليه وظهوره.

66 ـ لا تَذُم البشرية إذ لولاها ما لم تكن لك في الأنام فرية. ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النُّور: الآية 35] وذلك مثل أنوار الرحمٰن في قلوب أهل الإيقان الكائنة في الأشباح المطهرة من أدناس العصيان.

67 ـ إذا أردت أن يؤيدك الله في قبضك فكن معه على أدب الحضور في بسطك «اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

68 ـ ربَّما أطال ليل الجلال عليك لتنشره نفسك لصباح الجمال فتحصل في حبائل الشهوة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية 182].

69 ـ أمرك بالعبادة لوجود ستره لا ليقابل أحديته بظهور غيره لأن مقتضى الربوبية إظهار العبودية لوجودِ الحكمة التي هي كمال، كما أن مقتضى

العبودية وجود الربوبية، إذ وجود العبودية بدونها محال، سبحان من أظهر كمال الأحدية في نقص التعدد والإثنية.

70 ـ لا يخرج الشهوة من القلوب إلاَّ عناية علام الغيوب ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: الآية 74].

71 ـ لا تنفذ من سرادقات مظاهر العبودية إلى أنوار الربوبية إلاَّ همة تولاها الحق فغابت عن شهود الخلق.

72 ـ من ماتت شهوته دامت يقظته.

الباب الرابع

في تقاييده رضي الله عنه
على آي قرآنية وأحاديث
نبوية وبعض كلام الصوفية

الباب الرابع

في تقاييده رضي الله عنه على آي قرآنية وأحاديث نبوية وبعض كلام الصوفية

1 ـ قال رضي الله عنه:

قول مولانا جلَّ ثناؤه وتقدّست صفاته وأسماؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية 10].

هو تشريف عظيم من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام من جهة أنه تعالى ألبسه نور الربوبية فشاهَد الصحابة رضي الله عنهم فيه عليه السلام نور الرُّبُوبيَّة دون ظل البشرية، فلذلك بايعوه على الموت ورضَى الله عنهم شهود أنوار ذاته سبحانه فهو الرضوان الذي يحله على أهل الجنة فكأنه سبحانه قال: إن الذين يبايعونك على الموت لم يبايعوك من جهة البشرية، وإنما بايعوك حيث أشرقت على قلوبهم نُوري منك فبايعوا الله محضاً لأن يد الله: قوته فوق أيديهم، أي قوتهم وقوة العبودية مضمحلة بين يدي قوة الربوبية انتسخت قوتهم بقوة الحق سبحانه بشدة الكشف عن أصل القوة حتى تبين بياناً يقيناً أن موتهم عين حياتهم، فلذلك بايعوا عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 169] بما عاينوا من حياتهم في قتلهم حتى أقدموا على الموت بدليل قوله سبحانه: ﴿قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 169] فهو دليل الشهود ولذلك سمي قتيل المعترك شهيداً.

2 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطَّلَاق: الآية 3].

اعلم أن أسوار القضاء والقدر محيطة بكل أحد سواء كان رسولاً أو نبياً أو ولياً أو غيرهم، وليس لأحد خروج بهمته وشدة انبعاث طلبه وصرف إرادته

عن ما قدر له أو عليه ولا أن يصرف بذلك من غيره شيئاً من الأقدار المحيطة به التي لا يخرج عنها ويخرق بذلك أسوارها، ولذلك قال ابن عطاء الله: «سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار» يعني - والله أعلم - أن الهمة التي هي عبارة عن انبعاث النفس لطلب مرادها لا يمكنها الخروج عن أسوار الأقدار المحيطة بها وإن بلغت في القرب من الله تعالى ما بلغت، فكل ما قدر لها من الخير أو قدر عليها من الشر لا بد أن تناله أو ينالها وليس لها خروج عن ذلك حتى يكون خرقاً لأسوارها وتفلّتاً من إحاطتها بعد أن قدرها الحق سبحانه في سابق العلم وما يقع للرسل والأنبياء والأولياء إنما هو من موافقة الأقدار لا من خرق أسوارها. فإذاً صرف إرادة الإنسان لتحصيل أمر من غير ملاحظة تعلق القدرة القديمة به عياء وسوء أدب لأن ذلك إرادة لخرق أسوار الأقدار ولذلك طلب من القائل: إني فاعل ذلك غداً، أن يقول: إن شاء الله حتى يكون في فعله مستنداً للمشيئة لا أنه يحصل شيئاً لم يُقدِّره الله له فيكون خرقاً لأسوار الأقدار لأن أسوار الأقدار لا تستطيع همة خرقها بفعل التخالف وإن كانت عالية عن جميع الهمم سابقة في القرب من الله. وإذا كان الإنسان في فعله مستنداً للمشيئة وإرادة الله سبحانه كان طالباً له بالله لا بنفسه التي لا تجني شيئاً. ما تعذر مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك.

3 - وقال رضي الله عنه:

قول مولانا سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 41].

إنما لم يقنع سبحانه من الذكر إلاً بالكثير لأن القلوب المركوزة في قوالب الحدوث لا تطابق عالم القدم حتى تلاقيه إلاً بكثرة إيراده عليها ولا تشرب منه حتى يغلب طيبه على نتن ما هي فيه مما لم ينظر الله إليه لأنها ما دامت ملاحظة عالم السوى إلاً والحق سبحانه لا ينظر إليها، لأنه سبحانه بحال الانفراد. أثبت السوى لحكمة أرادها فهو ثابت بطريق المجاز لا بطريق الحقيقة، والمنغمس في عالم الحس المثبت للسوى عن طريق الحقيقة لا ينظر الله إليه ولا إلى ما أثبته في نفسه حتى يتجرد منه ولا سبيل له إلى ذلك من حيث

أنه عالمه الذي هو فيه إلاَّ بإعانة الله له على دوام ذكره: المَاحِق لما سوى المذكور سطوة إلْهِيَّة، وقاهرية ربانية، وإلاَّ فكيف يتجرّد الإنسان من عالم هو مفطور عليه ومخلوق فيه ولكن الله على كل شيء قدير. ولا يلاقي النور إلاَّ بتجرده من عالم التكوين جملة بعناصره التي كوّن منها، وهي الماء والتراب والنار والهواء وأطواره التي هي المني والعلقة والمضغة. وعالم التكوين كله مجموع فيه من حيث هذه العناصر فهو جامع سر التكوين الذي هو سر الربوبية الذي ظهر به كمال قدرتها. فالإنسان المشتمل على هذه الأمور جامع سر الألوهية بأسره ففيه التكوين جميعاً ونور المكوّن، فمن حيث التكوين صح حمله للشريعة، ومن حيث النور صح نظره للحقيقة، فهو الكمال بعينه طريقة وحقيقة بجمعه الأمرين لما رآه بنور البصيرة. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «من عرف نفسه عرف ربه». ولذلك عظمت حسناته وسيئاته لكونه إذا أطاع أطاع بالعوالم كلها وإذا عصى فكذلك والله سبحانه فاعل ما يشاء ويؤتِي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

4 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا عظم قدره وجلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العَنكبوت: الآية 45].

يفيد بطريق الإشارة أن الحق سبحانه نصب على الصلاة المعتبرة دليلاً وهو أن المصلي حقيقة يجد نفسه ينتهي بها عن الفحشاء وكل أمر منكر شرعاً فمن لم تنهه صلاته عن ذلك فليعلم يقيناً أن صلاته ليست معتبرة عند الله سبحانه، ولو كانت معتبرة عند الله لظهرت عليه علامة ذلك وهي كونه منهياً عن الفحشاء والمنكر.

وقال سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العَنكبوت: الآية 45].

فأعلم سبحانه أن الذاكر حقيقة تظهر عليه علامة هي أعظم من علامة الصلاة فيزيد صاحبه عن ترك الفحشاء والمنكر بترك المباحات، ولم يزل يرتقي حتى يترك الوجود الفاني في شهود الوجود الباقي، فمن لم يجد من نفسه هذه العلامة التي نَصَبَهَا الحق سبحانه على الذَّاكر الصادق في ذكره فليعلم يقيناً أن

ذكره مقدوح فيه وأنه ليس بصادق في ذكره والله سبحانه أعلم بمراده.

5 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا جلت ذاته وتقدّست صفاته وأسماؤه: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ [الإنسان: الآيات 12 ـ 14] إلى آخر الآيات.

يفهم منه بطريق الإشارة أن القوم الذين أدخلهم الحق سبحانه جنة الشهود وألبسهم حرير فناء العدم في الوجود، وحباهم بلذة استراحة التوكي على أرائك حصول المقصود، لا يرون في تلك الجنة حر شمس التدبير والاختيار، ولا يشكون فيها برد قَمَرِ التسليم والرضى بالأقدار، لدنو ظل الشهود الذي هو استراح الأشباح، وتدَلّي قطوف التنعم بالحبيب الذي هو قوت الأرواح، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» فهم غائبون عن التدبير والتسليم، رافعون وجه القلوب لحضرة الرؤوف الرحيم السميع العليم، ولهذا عَدَّ الشيخ مولانا عبد السلام رضي الله عنه نفس التسليم حجاباً حيث قال لتلميذه الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه: «أصبحت أشكو برد الرضى والتَّسليم كما أصبحت تشكو من التدبير والاختيار».

وهذا لا يدل على أن الشيخ مولانا عبد السلام رضي الله عنه ونفعنا به كان وقت هذه المقالة محجوباً ببرد الرضى والتسليم، لأنَّه إنما قال هذه المقالة في معرض الرد على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه حيث ظهر له منه صرف الهمة نحو تدبير الأحوال واشتغال السر بمقامات الرجال، وقد لاح ذلك من قوله: كيف أصبحت يا سيدي؟ فأشار له إلى أن الذي يجب أن يعتني به العارف النحرير هو الغيبة في الله عن شهود التسليم فضلاً عن شهود التدبير. فكأنه قال: العارف بربه المستغرق في شهوده وقربه غير ملتفت للرضى والتسليم اللذان هما من مادة عين الإحسان، فما بالك بالتدبير والاختيار اللذان هما من مادة عين الجمال من الملك الديان. سبعون ألفاً يدخلون جنة الوصول بغير حساب في المقامات لا يكتوون بنار التدبير ولا يسترقون ببرد شهود التقدير، بل غابوا عن ذلك كله بشهود اللطيف الخبير والله سبحانه أعلم بمراده ونسأله سبحانه التجاوز عنا فيما ذكرنا إنَّه الكريم الجواد.

6 ـ وقال رضي الله عنه:

إنما دل مولانا جلَّ ثناؤه عباده على النظر فيما في السماوات والأرض لا على النظر في السماوات بقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يُونس: الآية 101]، لقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: الآية 35].

فأحال سبحانه على شهود نوره من حيث أن السماوات والأرض لولا أنوار ذاته التي هي القدرة وغيرها من صفات الذات المقدسة ما كان لها وجود أصلاً. ثم أفاد بطريق الإشارة سبحانه أن العارف بالله إذا فاضت عليه أنوار الملكوت بالعلوم الناشئة عن أنوار الشهود الحاصلة في القلب الفارغ ممَّا سوى المعبود، فكانت كما قال سبحانه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النُّور: الآية 35] فلا يرجع العارف منها للغير إلاَّ ما تمس إليه الحاجة بالنظر إلى تلامذته دون غيرهم، لأن العلم إذا بقي محصوراً في زجاجة القلب الكائن في مشكاة الجسم تلألأ من شجرة الشهود المباركة التي تنزّهت عن أن تكون شرقية أو غربية أو في جهة من الجهات، تعالى مولانا عن أن يحويه مكان أو زمان ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البَقَرَة: الآية 115]. وهذه الشجرة يحتمل على طريق الإشارة أنها هي التي نودي عليها سيدنا موسى عليه السلام لقول مولانا سبحانه: ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القَصَص: الآية 30] إلى آخر الآية. وهي التي يكاد زيت نورها يضيىء للمحجوب ولو لم تمسسه نار محبة المحبوب.

7 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا سبحانه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسرَاء: الآية 81].

يشير إلى لا إلٰه إلاَّ الله، فلا إلٰه باطل، وإلا الله حق.

ثم قال مولانا: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسرَاء: الآية 81] فالإشارة هو زَاهِق في نفسه لا يحتاج إلى مُزْهِق.

وقول مولانا عبد السلام: «واقذف بي على الباطل فأدمَغَه». طلب رضي الله عنه الغيبة في الاسم الذي يدفع به الباطل حتى يكون هو نفس الذي يَدْمَغ به البَاطل.

8 ـ وقال رضي الله عنه:

قول الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحَديد: الآية 3].

فهو بمقتضى قوله: هو الآخر يدل على نفي الأولية عنه لأن الذي يتصف بالأولية هو الذي يكون بعده شيء وهو سبحانه يقول: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحَديد: الآية 3] فإذا كان الأول هو الآخر فلا أوَّلية حينئذ. وقوله الأول ينفي عنه الآخرية لأن الذي يكون الآخر هو الذي يتقدمه شيء وهو المتقدم سبحانه فلا آخرية حينئذ فهو أول بلا أولية البداية وآخر بلا آخرية النهاية، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحَديد: الآية 3] لأن كونه ظاهراً يقتضي بطون شيء وهو سبحانه الباطن، وكونه باطناً يقتضي ظهور شيء وهو سبحانه الظاهر، فهو سبحانه هو ليس مَعَه إلاَّ هو، فالأول هو، والآخر هو، والظاهر هو، والباطن هو، فهو ظاهر بلا تبديل وباطن بلا تحويل.

وحاصل الأمر أنه من كمال اقتداره اجتمعت فيه الأضداد وظهر حيث بطن، وبطن حيث ظهر، وكان الأول حيث الآخر والآخر حيث هو الأول، ولا يظهر في مظاهر الأضداد بحقيقة واحدة إلاَّ كامل القدرة الذي ليس في إمكان العقول أبدع مما كان، وظهر في اقتداراته سبحانه وتعالى.

9 ـ وقال رضي الله عنه:

الحق سبحانه هو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، إذ هو سبحانه لا يتغير، والأكوان تشكلات قدرته بأنوار ذاته، فهو الأول في الانتهاء، والآخر في الابتداء، ولا ابتداء ولا انتهاء، فسبحان من تجلى بما كان في تجليه بما يكون، وتجلى بما يكون في تجليه بما كان، وهو الأول في آخريته بلا تبديل، والآخر في أوليته بلا تحويل.

10 ـ وقال رضي الله عنه:

قد يشير لكون العبد له تصرف القدرة وإنه يرى بعين الله ويسمع بسمعه ويبطش بيده ويمشي برجليه إلى غير ذلك. من الكتاب قول مولانا: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البَلَد: الآيتان 8،9] بعد قوله الكريم: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ [البَلَد: الآية 7]. ومن السنة قول سيدنا رسول الله ﷺ حاكياً عن ربه سبحانه: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الخ الحديث، أو كما قال ﷺ.

وقوله عليه السلام: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». ويشير إلى عدم استبعاد الإنسان لليقظة بعد حصول نوم الغفلة قول مولانا تقدّست أسماؤه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: الآية 7] فإن اليقظة بعد الغفلة نوع من البعث ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية 122] والكفر وكل هم ناشئان عن الغفلة والغافل ميت ومسترذل عند الله تعالى. وإليه يشير قول سيدنا رسول الله ﷺ: «ما استرذل الله عبداً إلاَّ منعه الله العلم والأدب» أي العلم بالله والأدب مع الله لا ما يفهمه من هذا الحديث بعض أهل الظاهر.

11 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: الآية 52].

أي تمنى زيادة الشهود والعلم بالملك المعبود ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114] وقوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: الآية 52] هو على حذف الإرادة والله أعلم، أي أراد أن يلقي في أمنيته على حد قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الأعراف: الآية 4]، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج: الآية 52] أي يريد إلقاءه بواسطة العصمة ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ [الحج: الآية 52] أي يثبت آياته الدالة على ازديادهم في المعرفة والشهود.

12 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا الكريم: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون: الآية 10].

يشمل الإنفاق من المال وسائر المكاسب التي أنعم الله بها على الإنسان من سمع وبصر وغيرهما من بدنه كما ينفق من ماله في سبيل الله بطريق الإشارة.

13 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا جلَّ ثناؤه لحبيبه: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:

الآية 91] إشارة له عليه الصلاة والسلام إلى العكوف على ذكر الاسم المفرد الشريف، فإن ذلك الاسم الشريف مجرب صحيح في تحصيل كل خير وإليه يشير قول مولانا عبد السلام: مَنْ دَلَّكَ على الله فقد نصحك لأنه أخصُّ طريق إلى حصول الخير مع سهولة بخلاف غيره من الأعمال فإنها شاقة بالنسبة إليه فمعنى قوله من دلَّكَ الخ. والله أعلم، أي ذكراً وتعلقاً واعتماداً. ومعنى قوله والله أعلم ومن دَلَّكَ على الأعمال فقد أتعبك لأن رؤيتها حجاب من العامل غالق للباب.

14 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا جل ثناؤه وتقدّست صفاته وأسماؤه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: الآيات 1-3]. يفيد بطريق الإشارة أن عبيدَ السُّوءِ هم الذين إذا منحهم الحق هدايا الإحسان وأفاض عليهم سجال الفضل والامتنان استوفوا ذلك منه ولم يردوا منه شيئاً بل طلبوا الزيادة من ذلك، وإذا طولبوا بالصدق في العبودية والقيام بأحكام الربوبية من التكاليف الشرعية فعلوا ذلك كيف ما اتفق من غير اتقان لذلك وربما نقصوا مما وجب فكانوا بسبب ذلك مطففين إن أخذوا استوفوا حقوقهم ونقصوا مما وجب عليهم. لا جعلنا الله سبحانه منهم.

15 ـ وقال رضي الله عنه:

صدور الطاعة كلها من الله سبحانه وتعالى، ولذلك يشيرُ قول مولانا سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: الآية 162]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: الآية 96].

فأي طاعة للعبد حتى يطلب الجزاء عليها، وإنما يطلب العبد مولاه سبحانه من فضله بلا سبب بل من الطاعة الطلب منه ونفس صدور الطلب منه حيث أجرى على لسانه فكان لسانه له قلماً والحمد لله. وإلى هذا وأمثاله يشير أبو الحسن رضي الله عنه، وفر من كل شيء إلى الله سبحانه. وقول مولانا جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣﴾ [الكهف: الآية 23] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: الآية 24] يشير إلى حذف الإرادة من المريد وأن مراده هو ما

يريده الحق سبحانه منه وله، ولذا قال ابْنُ وَهْبٍ: من قال في وعده لأحد إن شاء الله لا يلزم الوفاء به.

16 ـ وقال رضي الله عنه:

ما يقع في القرآن الحكيم من قسم مولانا جلَّ وعلا بالفجر والتين والنجم ونحو ذلك من الأكوان فإنما هو قسم بطريق الإشارة، بصفات الحق المشرقة عليها التي بها أوْجَدها. أو نقول: هو قسم بالمحجوب لا بنفس الحجاب. وإلى ذلك يشير قول مولانا الحكيم: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحَاقَّة: الآيتان 38،39] أي بما تبصرون من مظاهر الصفات وما لا تبصرون من محاسن الذات والله تعالى أعلم بمراده. ويُؤَيِّدُ هذا قول الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه: «من شاهد الكون ولم يشاهد الحق فيه أو قبله أو بعده أو معه فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار»، أي لم ير أنوار الذات التي هي صفاتها.

17 ـ وقال رضي الله عنه:

إن النصر مع الذل وتلمح هذا من قول مولانا العزيز الحكيم: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ [آل عِمرَان: الآية 123] وأن الذل مع الإعجاب وتلمح هذا من قول مولانا الكريم ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [التّوبَة: الآية 25] ثم إنَّ المُريد إذا لم ينبتْ مِنَ الذّلِّ الذي هو أرض المُريدين فلا يُرْجَا له نباتٌ لكونهِ نبت مِن غير محلهِ. وتلَمح هذا من قول مولانا الرؤوف الرحيم: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ [نُوح: الآية 17] إلى آخر الآية.

18 ـ وقال رضي الله عنه:

ينبغي للمريد إذا ثبت الله قلبه ألاَّ يركن إلى غير الله من مال وأهل وولد وإلى ذلك يشير قول مولانا الكريم: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزُّمَر: الآية 36]، وقول مولانا العزيز: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسرَاء: الآية 74]، ويوفي بعهد العبودية الذي سبق له يوم ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعرَاف: الآية 172]، قال مولانا على سبيل الإشارة: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزَاب: الآية 23]. ونسأل الله من فضله أن يمن علينا بالصدق في العبودية وأن يثبت قلوبنا عند إبْرامِ الحكم بالتسليم والرضى وقوة اليقين وأن

يلطف بنا في جميع الأحوال بكل خير من عنده وأن يجعل لنا سابقة الخير بحق نبيه الكريم.

19 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا جلّ ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115] إشارة إلى تجليه سبحانه بآثار الصفات في جميع الكائنات إذ الوجه ما يظهر للناظر.

20 ـ وقال رضي الله عنه:

أعوذ بالله، أي أتحصن بالذات العالية الجامعة لجميع الأسماء والصفات المانعة بشهودها من رؤية الأسباب والآلات لإحاطتها وجوداً حقيقياً بجميع الكائنات وغناها يقيناً من حيث قيامها بنفسها في كل مبرز وكمال قدرتها في كل مظهر ومن هو كذلك فهو الحقيق أن يتحصن به الخائف من كل صائل يصول لأن عزه لا يبيد ولا يزول من الشيطان الرجيم، أي الشَّاطِن عن الله، فالألف واللام للاستغراق والصِّيغة للمبالغة.

21 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية 27] بطريق الإشارة، أي يلقي في قلوبهم القول الثابت في نفس الأمر بأن يمحو من قلوبهم كل ما هو باطل في نفس الأمر من الشكوك والأوهام حتى يصفو توحيدهم من غَلْث الرجم بالغيب والله تعالى أعلم.

22 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا سبحانه: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 31] أي سنّة وطريقة وحالاً ومقالاً، فأفاد أن مقام المحبة لا يدركه إلاَّ من كان على قدمه ﷺ شِبْراً بشبر إلاَّ أن شبر المتبوع غير شبر التابع.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام رباح

23 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المَائدة: الآية 54] زجر للعبد عن

ملاحظة الأسباب.

وقول مولانا: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البَقَرَة: الآية 105] بسط لرجاء العبد في الإتيان للباب بأسباب الاكتساب لئلا يحصل له الدهش من هيبة الإحالة على السابقة.

24 ـ وقال رضي الله عنه:

الرحم الحقيقي هو الرحم من قبل الاجتماع على ذكر الله ومحبته. وتأمل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: الآية 101]، وقوله تعالى لنوح في ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هُود: الآية 46]، وقوله سبحانه لليهود: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البَقَرَة: الآية 134]، وقوله عليه السلام لعشيرته وابنته: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يُوسُف: الآية 67].

25 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغَابُن: الآية 16] فَرْق. وقول مولانا: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية 102] جمع. فالأُولى خطاب من يرى لنفسه استطاعة، والثانية لمن يتقي الله بالله كاشفاً في الحقيقة قناعة، والأولى لمن يطلب بتقواه الأجور الأخروية، والثانية لمن يطلب بها تحقيق العبودية والقيام بأحكام الربوبية، لأن الحق سبحانه وتعالى غيور أن يجعل أمانة الإيمان به في قلب من ليس بطهور «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ومن أجل غيرته على أمانة الإيمان به حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

26 ـ وقال رضي الله عنه:

الرجوع إلى الخلق بالحق يؤخذ من قول مولانا جلَّ ثناؤه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16] بطريق الإشارة، وإلى معنى كونه أقرب إلى العبد من حبل الوريد. يشير إلى قول مولانا الأسمى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذّاريَات: الآية 21] فهو يشير إلى القرب المشار إليه بالآية والله أعلم.

27 ـ وقال رضي الله عنه:

إنما صدر الحق سبحانه الفاتحة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفَاتِحَة: الآية 2] بطريق الأعمية ليجمع هم العبد عليه، وثنى بقوله سبحانه:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: الآية 1] ليوقفه على أصل الرحمة وليُسمعه فيه بسط الرجاء في نيل مقصوده، وثلّث بقوله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ﴾ [الفَاتِحَة: الآية 4] ليغيبه فيه عن كل شيء حتى تكون عبادته ودعاؤه بالله ويمنح في الزيادة على هذا.

28 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا سبحانه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المَائدة: الآية 119].

من حيث رضاه عنهم فيَؤُلُ الأمر إلى أنه تبارك وتعالى رضي وَحْدَه، ومَنَّ بجوده وكرمه نسأله سبحانه أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه وفضله الجميل آمين.

29 ـ وقال رضي الله عنه:

الخاطر الآمِرُ بالخير في الصلاة غير مضر فيها لأنه من قبل الحق سبحانه وتعالى، ويمكن أن يؤخذ بطريق الإشارة من قول مولانا جلَّ وعلا: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النِّساء: الآية 114] وعلى هذا المعنى يحمل قول سيدنا عمر رضي الله عنه: «إني لأجهز جيشي وأنا في صلاتي» والله تعالى أعلم بمراده.

30 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا جلَّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحَديد: الآية 3] حوله يدندن صاحب الحكم بقوله: «من شاهد الكون ولم يشاهد الحق قبله أو بعده أو فيه أو معه فقد أعوزه وجود الأنوار وحجب عن شمس المعرفة بسحب الآثار.

31 ـ وقال رضي الله عنه:

لمَّا علم الحق سبحانه عجز العباد عن القيام بحمده والثناء عليه أثنى على نفسه بنفسه في الأزل، ومن جملة ثنائه على نفسه في الأزل تقديره لهذه العوالم وإخراجها من العدم للوجود على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها شاهدةً على نفسها بالافتقار إليه والاحتقار بين يديه فكل ما أبرزه الحق سبحانه في هذه العوالم كله ثناء عليه فعلى الناظر فيها أن لا يحتقر شيئاً منها بل يعظم كل ما يرى منها، وإلاَّ كان محتقراً ثناء الله على نفسه فإن قيل: إن الشرع جاء بإدانة الكُفْر وأهله وأن المؤمن يكره الكُفر كما يكره أن يلقى في النار ونحوه

المعاصي، قلنا: مجيءُ الشرع بذلك ممّا يجب الرضى به من الحكمة وبياناً لما لله على المؤمن من النعمة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النّحل: الآية 93] فأفادت الآية بطريق الإشارة إن حدة الأفكار وجودة الأنظار لا توصل إلى معرفته والإيمان به وإن بلغت ما بلغت، وإنما توصل إلى ذلك مشيئته وإرادته لمن شاء من خلقه فأنت تراه سبحانه وتعالى بحكمته الظاهرة وقدرته الباهرة خلق الخلق من نسل رجل واحد وجعلهم بين مُقرَّبٍ وبعيد ومقبول وطريد على تساويهم في النوع الإنساني وحجب من شاء منهم بعدله، وأدخل حضرة قدسه من شاء بفضله فسبحان الفعال لما يشاء، القاهر فوق عباده، إذ حجب من حجب بمِثْلِ بيت العنكبوت إذ قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العَنكبوت: الآية 41] والله تعالى أعلم.

32 ـ وقال رضي الله عنه:

العبد الحقيقي هو الذي يعبد الله سبحانه لا هروباً من النار ولا طمعاً في الجنة، بل قياماً بأوصاف العبودية وإذعاناً لأحكام الربوبية. وإلى ذلك يشير في الحكم بقوله: «من عبد الله خوفاً من ناره أو طمعاً في جنته فما قام بأوصاف العبودية». قلت: يشير إلى هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحَج: الآية 11]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التّوبَة: الآية 58]. وأصرح من هذا كله في هذا المعنى قول مولانا رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم» أي العبد الذي تكون عبوديته متوقفة على إعطاء شيء من سيده فهو في الحقيقة ليس عبداً لسيده بل هو عبد للشيء المعطى الذي لأجله يعمل ولولاه ما عمل ويدخل فيه بالأحرى من يطلب بالدين هذه الأغراض الدنياوية ولولا إرادة تحصيلها ما عمل، وهو أسوأ حالاً من الأول لطلب الأول ما يبقى وطلب الثاني ما يفنى وكلاهما جعل لله شركاً في عبوديته. نسأل الله من فضله أن يخلص عبوديتنا له بمنه وكرمه آمين.

33 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: الآية 8] يفيد بطريق الإشارة أن الذي يسأل عنه الإنسان يوم القيامة من هذه الدار هو ما تناوله بقصد التنعم به والالتذاذ به، وأما الآكل بالله لله فلا يسأل عن شيء من ذلك، ولذلك قال عليه السلام: «ظل بارد وماء بارد ورطب بارد» فوصف الكل بما تستريح إليه النفوس وتستطيبه والبرودة التي تتنعم بها في هذه الأشياء، ولم يقل ظل وماء ورطب. ثم أشار للفرق بين أكله عليه السلام وأكل غيره حيث قال: «هذا النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة» بتاء الخطاب، مخرجاً نفسه من ذلك عليه السلام مع أكله معهم واستظلالِهِ في أشرف مواضع ذلك الظل إشارة إلى أنه لا لذة له في غير ربه. وأشار لهذا المعنى أيضاً بقوله: «حسب ابن آدم لقيمات يقيم بهن صلبه» فأفاد أن أكل العارف إنما هو لإقامة الصلب والتقوي على إقامة العبودية، إذ لا لذة له في غير ربه ولذلك كان عليه السلام لا يمدح طعاماً ولا يذمه لأنه لو كان أكله عليه السلام تنعماً والتذاذاً لكان يمدح ما يستلذه ويذم ما لا يستلذه، وحيث كان أكله لله بالله فَيَسْتَوِي عنده خشين الطعام ورقيقه وقبيحه وحسنه فإنما يأكل عليه السلام لإقامة الصلب الذي هو مطلوب بإقامته الذي لا يسأل عنه العارف لأنه في إقامته بنظر الله واختياره، ولذلك يشير عموم قوله عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». فالأكل لإقامة الصلب مكره عليه المكلف من حيث وجوب حفظ النفس وإقامة الأود، فالقلم عنه في ذلك مرفوع ولوجوب ذلك أبيح له أكل المحرم عند ضرورة الحفظ.

وانظر حكمة الحق سبحانه في طلبه إقامة الصلب بخصوص الحلال الذي يفيد الجسم وفور القوة، واليسير منه كاف في ذلك، وأكل المؤمن صدقة من حيث قيامه بالواجب واختيار الحلال ولهذا قال عليه السلام: «المؤمن يأكل في مَعى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» وما ذلك إلاَّ لأن المؤمن يأكل قياماً بالواجب واختيار الحلال، فأكله صدقة، بخلاف الكافر فأكله تنعيماً من الربا والحرام ويستفيد المؤمن من أكله خيراً لا يعلم نهايته إلاَّ الله مع وفور القوة

وكمال اللذات بالله بخلاف الكافر. ويدل لذلك بطريق الإشارة قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 276].

والحاصل: أن أكل المؤمن الحلال يفيده قوة عظيمة من حيث القيام بالواجب في طلب المأمور به الذي لا تعلم به الروح وهو الحلال، وكذلك في نفس الأكل لأنه قيام بالواجب أيضاً، فيكون الأكل صدقة، والكافر بضده، فأكله الكثير من الحرام لا يفيده لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 276] والله تعالى أعلم.

34 ـ وقال رضي الله عنه:

شبر في السياحة بالله من أجل الانقطاع إلى الله يفيد السائح دُخولَ جنة الوصول، لا سيما إن كان له أهل وأولاد فربما صَافحته الملائكة في سياحَتِهِ وكلمته الروحانية لقوله عليه الصلاة والسلام: «من فر بدينه شبراً من أرض دخل الجنة» أي جنة الوصول ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [النِّساء: الآية 100]. ويفهم من الآية الكريمة أن سياحة القلوب في عالم الغيوب. فالبيتُ: القلب والخارج منه الروح والموت قطع النظر عن عالم الأشباح لشهود عالم الأرواح.

وقول مولانا سبحانه وتعالى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [النِّساء: الآية 100] فيشير إلى أن أجر سياحته هو الله والله أعلم بمراده، كما يقال: وقع سهم فلان على كذا، أي نفس الحاصل له هو الشيء الذي وقع عليه سهمه والله أعلم.

وانظر صفو ما حصل لنبينا عليه السلام في هجرته وسياحته من الصفاء الظاهر في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التّوبَة: الآية 40]. فالسياحة مثمرة في الصفاءِ، ومن لا أهل له لا تطلب منه السياحة إلاَّ إذا كان البلد الذي هو فيه مألوفاً له. ويدل لهذا حكمة الشارع في التَّغريب.

35 ـ وقال رضي الله عنه:

الذين لا تعدوا عليهم الأرض هُم الذين لا تعدوا عليهم النفس لأن عَدَاءَ الأرض تابع لعَدَاءِ النفس فالأرض إنما تمص عصارة النفس حتى يقوم صاحب

القبر معترفاً بالحق من أول الأمر. قال مولانا: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية 68] يشير لاعترافهم بحقيقة الأمر عند المعاينة بلا حجاب النفس ووجود الحس، بخلاف الأنبياء والأولياء الذين طَهَّرَهُم الله من أوصاف النفس فلا تأكلهم الأرض فدلَّ ذلك على أنها إنما تأكل الأوصاف دون الحقائق، لأن النفس أرض والروح سماء.

36 ـ وقال رضي الله عنه:

سبحان من يعطي ما لا ثمن له من شهوده لمن شاء من عبيده فالمشاهِدُ إذا لاحت عليه أنوار القدس تبدلت لديه الأرض والسماوات فينظر إلى الكون فيجده غير الكون الذي كان يعهد قبل ذلك لكونه كان قبل ذلك ظلمة فصار نوراً من أنوار الذات المقدسة، ويشير لذلك قول مولانا جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: الآية 48] فعلامة بروز الإنسان لله تبدل الأرض والسماوات لديه وإلاَّ فلا.

37 ـ وقال رضي الله عنه:

رؤية الحق سبحانه في شيء من الأكوان أي شهوده مانع من إيقاع المخالفة فيه، فإذا شاهد الإنسان الحق سبحانه في الأجنبية منعه ذلك من الزنى بها وكذلك إذا شاهده سبحانه في الأمتعة من حيث شهود الحق له منعه ذلك من سريقتها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يُوسُف: الآية 24] أي شهوده سبحانه بطريق الإشارة، ولذلك قال تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يُوسُف: الآية 24] وقال رسول الله ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّاني حينَ يَزْنِي وهو مُؤمِنٌ» إيمان الشُّهودِ لا إيمان العِلْم مع الغفلة والله أعلم.

38 ـ وقال رضي الله عنه:

إذا أراد الله سبحانه مِن فضله رسوخ عبده في المعرفة، ثبَّت قَدَمَهُ على معرفته في كلِّ ما يواجهه الله من صِحَّة ومرضٍ، وفقرٍ وغِنًى، وعزٍّ وذُلٍّ، وقُوَّة وضعف، وغير ذلك، حتى يكون كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115].

39 ـ وقال رضي الله عنه:

الحق سبحانه عَيَّنَ للسائر طريق الوصول إليه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] فبيَّن أنه لا يرى نُوره ولا يصل إليه حتى يطرَحَ من فِكْرَتِهِ كل شيء يصيرُ إلى عقله من طريق السمع والبصر أو الشَّم أو الذوق أو اللمس. أو يصير إلى عقله من طريق الوهم، سواء كان من عَالَم الأجسام أو عالمِ الأرواح، وسواء كان مِنَ الدُّنيا أو مِنَ الآخرة، لأنَّ كل ما خطر ببالك، فالله بِخِلافِ ذلك؛ لأنَّ الحق سبحانه إذا تجلَّى لِمَنْ أحبَّ أن يَظْهَرَ له، تجلَّى بحَالِ الانفراد، فأمر سبحانه بطرح كل شيء يتجلى للعقل من عالم السوى وحينئذ فيكشف للرَّائي نوره والسائر ما دام سائراً له عقل تنطبع فيه صور الأشياء عند إدراكها فإذا غاب بحسه عنها انطبع في عقله خيالها وهو أضعف من الصور، ولكن انطباع الصور وإن كان قوياً عند حضوره سهل زواله لأنه يزول بمجرد الغيبة عنها، ولذلك كان الإنسان مأموراً بالإقلاع حساً عن كل ما يلهي عن الله ممَّا عسى أن تبقى منه بقية خيال في العقل وكفاه في ذنبه مجرد التوبة التي هي الإقلاع حساً بنية عدم العود إليه. ولكن لا بد من الندم الماحي لما من شأنه أن يبقى في العقل من خياله ووقع النهي عن الإصرار الموجب لبقاء خيال الشيء الذي يلهي عن الله في العقل. ونهى رسول الله ﷺ عن أن يمد عينيه لشيء من مستحسنات الدنيا إشارة لطيفة للأمة وإلاَّ فهو عليه السلام مأمون من الفتنة عن الله، ولذلك كان السلف لا ينظرون إلى شيء من مستحسنات الدنيا وبعضهم تجلى له عالم الآخرة فما رفع بصره إليه. وأخذ أهل التربية في تربيتهم ألاَّ ينظر المريد في مستحسن طبعاً وحيث كان الإنسان ربما صادف بصره موقعاً ممنوعاً اغتفر الشارع له ما لا يؤثر في عقله من النظرة الأولى لأن عدم العود إليها مع سرعة غض البصر مما ينفي تمكن خيالها من العقل بسبب ذلك عالج أهل التربية المريد من الخيالات بالخلوة والدُّؤُبُ علي الذكر، لعل ذلك العقل الذي تنطبع فيه الصور والخيالات ينعكس نظره لعالم الغيب الذي هو عالم اللطافة، وإذا انكسرت المرآة التي تنطبع فيها الصور لم يبق لها انطباع أصلاً وماتت الفروع بموت الأصل، وأما إذا لم تنكسر المرآة فلا تخلو من انطباع صورة فيها والله تعالى أعلم.

فصل في الأحاديث

1 ـ قال رضي الله عنه:

العامل إن نوى بعمله شيئاً يحصل عليه قطعاً، عملاً بقوله عليه السلام: «وإنما لكل امرِيء ما نوى» فإنه ساقه مساق الحصر فمن نوى بعمله أن يعلم الناس منه إنه عامل لذلك العمل وقف عَمَلَه على الناس فقط فهم يُجازونه إن قدروا ولا يصل إلى الله بمعنى أن الله لا يثيب عليه لأنه موكل للذي عمل من أجله فهو يثيب عليه، ويصدق عليه قول مولانا: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية 136]. ومن نوى بعمله أن يعلمه الكتبة الكرام منه أخر جزاؤه ليوم نشر الصحائف، وإنما أخر جزاؤه لأنه في حال عمله لم يستشعر اطلاع الله عليه إلاَّ حين ينشر كتابه فله ما نوى، ومن رأى اطلاع الله عليه عجل جزاؤُه في هذه الدار وجوزي في تلك الدار واستشعار الاطلاع، مُتفاوت فمن مشاهد أن الحق عليه رقيب فهو يعمل له، ومن مستشعر أن عمله بالله من جهة قدرة الله عزَّ وجَلَّ وعجزه هو، وهم أهل الفناء في الصفات لأن الأسماء مقتضبَة من الصفات، ومن مشاهد أن الله فاعل بذاته غائب عن الصفات لاشتعال نور الذات في جملته وهم أهل الفناء في الذات، وهؤلاء عملهم بالله من الله، ومن غائب في الذات لائحة عليه آثار الصفات وهم الكمال الذين عملهم بالله ومن الله وإلى الله والله تعالى أعلم.

2 ـ وقال رضي الله عنه:

قد قيل إن عبادة النبي ﷺ في حراء كانت ذكراً وقد كان بقية في الناس من دين عيسى، وقيل كانت فكرة وهو اللائق بحال النبوة لأن الأنبياء عليهم السلام لا سَيْرَ لهم في ميادين النفوس لكون الله خلقهم مطهرين من ذلك وغيرهم إنما يصير إلى مقام الفكرة بعد تمام قطع ميدان النفس وذهاب شهواتها المانعة من الفكرة المؤدية إلى العلم بالله سبحانه، وما ذاك إلاَّ لكونهم مخلوقين

غير مطهرين من اضطراب النفوس. ويمكن أن يقال: إن تعبده عليه السلام بغار حراء كان مجرد الاعتزال عن أهل الشر لا أن العزلة من أجل العبادات.

وانظر قصة أهل الكهف، فإنهم بلغوا منازل السعداء بمجرد العزلة، وحيث اختاروا العزلة والإيواء إلى الله أراحهم الله من كلفة الشرائع وتدبير المعيشة واختار لهم حالة النوم التي هي مستراح الإنسان، وهكذا ترى الله يفعل بكل من آوى إليه ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية 101] ومن بقية النفس اختاروا الكهف الذي هو نقب في الجبل متسع، ومن تطهيرها بالعصمة اختاروا الغَار الضَّيّق وفيه مع الفرح بالله متسع لأن الإنسان تلذ له المحسوسات على قدر قوة حسه وضعف معناه، فإذا قوي معناه جداً واستولت عليه الحقيقة لم يجعل الله لكل شاطِنٍ عليه سبيلاً ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: الآية 141]، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: الآية 42].

واعلم أن الحقيقة كلما برزت فيك بوصف برزت لك به. وتأمل قوله عليه السلام: «أنفق ينفق عليك ولا تُوكي فيُوكِي الله عليك»، وقوله: «أما الأول فآوَى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه وتولى الله تعالى جزاء وفاقاً» وقول البُصَيْرِي:

أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا
وَبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءُ

وقوله عليه السلام فيمن خرق الصفوف حتى جلس بين يديه فآوَى إلى الله فآواه الله يفيد إلى الإيواء للأنبياء والمشايخ لِقَصْد القرب من الله إيواء إلى الله، ويفيد أن حكم الوسائل حكم المتوسل إليه، ويفيد أن الذي يقصد إلى الوصول للعلم بالله له حكم من وصل إذا اجتهد ولم يصل، ويفيد أن ترك الحياء في الدين خير من تعاطيه فإن الذي آواه الله خير ممن استحيا منه. وقوله عليه السلام: «أنفق ينفق عليك» وقد امتثل الأمر لأن كلام النبوة عليه نور يحليه بالقبول. وكذلك المشايخ العارفون بالله تجد كلامهم مقبولاً في أمور الدين لمن أيده الله من أهل الخشية، لقوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ

ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى: الآية 9]، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: الآية 10] فأفاد سبحانه أن من عباده من لا تنفع فيه الذكرى وإن منهم من لا يخشى حتى تفيد فيه الذكرى.

3 ـ وقال رضي الله عنه:

عزّ الربوبية ما وقع في شيء إلاَّ ظهر عليه ذل العبودية، وعز الربوبية لا فناء له فيكون ذُلّ العبودية الناشيء عنه دائماً لا زوال له، ويكون صاحب هذا العز غنياً عن العالمين، لأن الربوبية أغنته بذاتها عما سواها، وإذا لم يكن عزّ الربوبية واقعاً في شيء وظهر عليه عز في الشاهد فهو عز عبودية ولا دوام له لأنه حادث، والحادث لا بقاء له. كما أن القديم لا فناء له. و﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: الآية 10] وهذا الذي رفع أنفه بعزّ العبودية لا بد أن يضعه الله، والذي بقلبه عزّ الربوبية وظهر عليه ذلّ العبودية لا بد أن يرفعه الله. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الحق سبحانه يقيم على الخلق ميزاناً فمن رآه قد ترفع بعز العبودية وقلبه خال من هيبة الربوبية وَضَعَهُ حتى يرجع بحكم القهر لذلّ العبودية أحب أم كره».

ومن المعلوم أن الضعة لا تكون إلاَّ عن رفعة سبقت، فقوله عليه السلام: «يضع» يدل على أن هذا ترفع، وأما من رآه الحق سبحانه قد ألبس نفسه ذلّ العبودية ووضعها بين يدي الربوبية لإشراق هيبة عظمتها بباطنه رفعه سبحانه في القلوب حتى يَجِدَ ذلك في ظاهره حساً، ومن المعلوم أن رفع الله لهذا العبد يدل على خفض نفسه إذ الرفع لا يكون إلاَّ عن خفض ولذلك قال عليه السلام: «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها» أي رداءها الذي يناسبها فمن كان في باطنه عبودية لهيبة الربوبية ألبسه الله عز الربوبية الذي يناسب ذل العبودية الذي هو سريرته، ومن كان باطنه عز العبودية ألبسه الله رداء يناسبه وهو ذل العبودية قال الحق سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريَم: الآية 93] فمَن لم يكن له عبداً باطناً حتى يظهر على باطنه ذله فتراه هو في نفسه مكسوراً بين يدي العبيد.

4 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا رسول الله ﷺ: «لتُسَوُنَّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين

وجوهكم» يفيد بطريق الإشارة أن المُصَلِّين يطلب منهم تسوية القلوب والأسرار عند صلاة الأجسام بين يدي الملك الغفار من حيث الغيبة عن شهود الأغيار وملاحظة الآثار وإن لم يفعلوا خالف الله بين وجوه الأجسام ووجوه القلوب بأن يكون وجه الجسم ظاهر الإقبال على العبادة ووجه القلب ناظراً لشهوته ومعتاده، وسبق الإمام بالرفع والخفض دليل على عدم الحضور مع الله فيها بشهادةِ قول النبي ﷺ: «أما يخشى أن يحول الله رأسه رأس حمار» وذلك لأنه تعطل فهمه بتراكم الأغيار فصار في سره حماراً معنى فتواعده الشرع بخوف كشف الله عن حاله كشفاً ظاهراً للعيان حتى تكون صورته ظاهراً موافقة لحاله باطناً. فيستروح من الحديث أن الغائب في شهود الأغيار هو في المعنى عين الحمار فيخشى أن يحوله حماراً في صورته كشفاً لسره ليذيقه وبال أمره.

5 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فشدوا مجاريه بالجوع» يفيد بطريق الإشارة أن الذي يشطن الإنسان عن القيام بحقوق ربه هو الذي يجري منه مجرى الدم وذلك الطعام الذي يجري في عروقه، فإذا كثر أكله كثر اشتغاله بالأسباب التي توصل إليه فيغفل عن ذكر ربه، وإذا قلل من ذلك ضعف طلبه له فلا يطلب إلاَّ الشيء اليسير ويؤدي ذلك إلى الورع والزهد واقتناء الحلال وكسره لشهوة النفس إلى غير ذلك من انتفاء الأوصاف المذمومة واكتساب الأوصاف المحمودة فلذلك كان الصيام جنة المؤمن تقيه من كل شاطن عن الله مما فيه للنفس حظ من أكل وشرب ومباشرة نساء إلى غير ذلك. ولذلك قال مولانا سبحانه في الحديث القدسي على لسان نبيه ﷺ: «كل عمل ابن آدم له إلاَّ الصيام فإنه لي وأنا أجزي به». وإنما جعل الشارع الصيام في النهار دون الليل لأن احتياج الإنسان في النهار إلى ما يقيه السكون لغير الله أكثر لشدة خوضه وتصرفه فيه، قال مولانا: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المُزمّل: الآية 7] أي تصرفاً وتقلباً في مهماتك بخلاف الليل فإنه محل سكون ونوم غالباً فلا يحتاج معه إلى وقاية بل إسدال ستر الظلام فيه وجعله محل نوم من وقاية الله للعبد فيه والله تعالى أعلم.

6 ـ وقال رضي الله عنه:

الجنة الحسية محفوفة بالمكاره كالنار والصراط وورود الحشر وأهواله.

وقال مولانا في إحاطة النار بالجنة: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية 13] ولا شك أن من يخرج من النار بمجرد خروجه يرى الجنة كقضية هناد، والله أعلم.

والجنة المعنوية كذلك قد أحاطت بها نار الشهوات وأنواع الغفلات وترك مألوفات النفس، به يدخل الإنسان جنة الشهود فلا يرى إلاَّ الملك المعبود ومن أراد الله به خيراً حمله على كاهل العناية، وكل جنة قد أحاطت بها مكاره ترك الشهوة وغرست فيها أشجار المحن والبلوى وهي لمن أيده الله عذبة حلوة ولذلك سارع أبو البشر للأكل منها فجعل خليفة بمحنته، وصدق في دعواه بمحبته، ولو علمت النفس ما في جنة المعارف من النعم والزخارف لكان أعظم حظها في ترك هذا الحظ الشهواني الذي لا بال له بالنسبة لما تنال بتركه من الخيرات وضروب التنعمات.

7 ـ وقال رضي الله عنه:

قول رسول الله ﷺ في المثل الذي ضربه لليهود والنصارى في عدم وصولهم إلى الله تعالى بالأجير الذي عمل للزوال والأجير الذي عمل بعده للعصر، وكان المسلمون عملوا للغروب كل صالح للمريد، فمن المريدين من يعمل بعض زمان إرادته ثم يعجز عن بقية العمل، ومنهم من يعمل حتى يشرف على الوصول ثم يعجز ولا يصل، ومنهم من يعمل بقية العمل ويصل فيُعطى أجر العاملين جميعاً لمكابدة آخر النهار وزمن عجز الجميع وإقباله حيث هرب الناس، وقوته حيث ضعف الكل وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن مات شيخه فآوى إلى آخر من خلفائه أوتي أجره مرتين: قوة شيخه الأول وقوة خليفته الثاني، وربما كانت قوة خليفته أتم لأنها نزلت عن قوة صفاء شيخه الأول، ولذلك قال عليه السلام: «من آمن بنبيه وآمن بي أوتي أجره مرتين» والله تعالى أعلم.

8 ـ وقال رضي الله عنه:

العقل إذا كان ميتاً بهواجس الحِسِّ فدواؤه أن يُلَقن لا إله إلاَّ الله فإنه

يحيى إن شاء الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لقنوا موتاكم لا إلٰه إلاَّ الله» وكذلك إذا تعاصَتِ النفس فيتعين على صاحبها أن يقاتلها بلا إلٰه إلاَّ الله حتى تقول لا إلٰه إلاَّ الله. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلاَّ الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله».

9 ـ وقال رضي الله عنه:

قيل لرسول الله ﷺ: متى كنت نبياً، قال: «وآدم بين الماء والطين» وذلك لأنه نور الربوبية وهو أصل وإنما شكلته القدرة بشكل آدم، ولعل كل من رأى هذه الرؤيا بباطنه أعني رأى وجوده وآدم بين الماء والطين، ورسخ في هذا المقام وكان مع آدم فمن بعده كما كان قبله يقال فيه انجمع مع النور المحمدي الذي هو نور الحق سبحانه واتصل نسبه بنسب رسول الله ﷺ.

10 ـ وقال رضي الله عنه:

إنما أمر الحق سبحانه الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام لأنه أول المظهر المحمدي عليه الصلاة والسلام وهو أبدع المظاهر الكونية، ولذلك حمل الأمانة من دون غيره.

11 ـ وقال رضي الله عنه:

الترقي في العبودية على قدر شهود الربوبية وشهود الربوبية بابه الفضل وطريقه المجاهدة ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العَنكبوت: الآية 69]، ومن لم يسر في الطريق لا يصل إلى الباب، ومن لم يصل إلى الباب لا يدخل مجلس الأحباب. فلو بقي المجتهد في اجتهاده عمر الدنيا والآخرة والله تعالى لم يلهمه إلى أنه لا يصل إليه إلاَّ بفضله ورحمته لا يصل أبداً لكونه أخطأ الباب الذي منه الدخول. وإلى ذلك يشير قوله عليه السلام: «لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته». وفي اليوم الذي يلهمه الله أنه إنما يصل إليه بفضله ورحمته حينئذ يدخل الباب ويجلس في حضرة الأحباب لكونه عرفه الباب الذي به يدخل عليه. ومن كانت بالله بدايته كانت إلى الله نهايته، والله تعالى أعلم.

12 ـ وقال رضي الله عنه:

الواردات الإلٰهية تأتي بغتة ولكن قبولها على قدر الاستعداد بقطع العلائق ودفع العوائق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «تعرضوا لنفحات الله فإن لله نفحات» يعني، والله أعلم، تعرض الاستعداد لا تعرض الطلب والاستمداد إذ بابه الفضل أيضاً.

13 ـ وقال رضي الله عنه:

معرفة الناس لرسول الله ﷺ على قدر ترقّيهم في الحقيقة، فمنهم من لا يعلم غير شخصه لكونهم محجوبين عن نور الحقيقة بظل الأشباح، ومنهم من يعلم منه عليه السلام فوق ذلك كمعرفة ملكوته وهم أهل خرق العوائد الكونية بشهود تلك الأنوار المقدسة في مظاهر الملك، ومنهم من يعلم منه جبروته عليه السلام وهم أهل خرق الأنوار الكونية بترقيهم عنها إلى شهادة اللطافة الأزلية وعلى قدر هذه الحقائق تعظم في أعين قلوبهم مهابته عليه السلام وتعظيم ما جاء به من الشرائع، والله تعالى أعلم، ولذلك ارتقت فيه حقائق العارفين التي تحققوها ومواجيدهم، ولذلك قال مولانا عبد السلام: وفيه ارتقت الحقائق.

14 ـ وقال رضي الله عنه:

إنما قال عليه الصلاة والسلام: «اللهمَّ اجعل رزق آل محمد كفافاً» خوف الفتنة عليهم من الفقر أو الغنى، لأن كلاً منهما مظنَّة الفتنة ألم تر إلى قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: الآية 15]. والتوسط مظنة السلامة، وهذا المعنى الذي عاقد ابن عطاء الله في حكمه حيث قال: إذا أراد أن يتم نعمته عليك رزقك ما يكفيك ومنعك ما يطغيك.

15 ـ وقال رضي الله عنه:

معنى قول القائل: ليس في الإمكان أبدع مما كان، والله تعالى أعلم، ليس الإظهار أبدع من الإضمار. أو نقول: ليس شهود العيان أبدع من شهود الإيقان، أو نقول: ليس عالم الشهادة أبدع من عالم الغيب لأنه عينه لقوله عليه السلام: «كان الله ولا شيء معه» الخ الحديث.

16 ـ وقال رضي الله عنه:

من شغله ذكر الله عن مسألة حوائجه من الله إما بلسانه أو بحرفة من

الحرف أعطاه سبحانه أفضل مما يعطي السائلين باللسان أو بالجَزْفِ والأسباب كما في الحديث القدسي: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» والله أعلم.

17 ـ وقال رضي الله عنه:

الثلاث عقد التي يعقدها الشيطان على قافية أحدكم هي كثرة الشباع، وكثرة شرب الماء، وشدة لين الفراش، فهذه أمور لا يكاد الإنسان يقوم معها لعبادة ربه.

18 ـ وقال رضي الله عنه:

من استشرف إلى اطلاع الخلق عليه في معاملته مع الله وإن كان خالياً فهو مُرائي قطعاً، بل من لاحظ اطلاع الله عليه فهو كذلك لأن المحب الصادق في محبته لو فرض أن محبوبه غير مطلع عليه في معاملته لكان فاعلاً ما أمره به ومجتنباً ما نهاه عنه، ثم من علامة الصدق في المعاملة دوامُها والإدمان عليها، لأن ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، ولكون المداومة على العمل دليل الصدق مع الله كما في الحديث «أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قلّ».

19 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا رسول الله ﷺ في الحديث القدسي حاكياً عن ربه: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري» الخ، يشير به، والله أعلم، إلى أن الرداء والإزار إليهما ينتهي أهل العرفان وفيهما يهيم العاشق الولهان، والله لطيف بعباده. هل لأحد ما وراء الرداء والإزار، والرداء هو رداء القهر والعزة التي احتجب بها في غاية الظهور والله تعالى أعلم.

20 ـ وقال رضي الله عنه:

العارف بعد الشهود تذهب روحه لعالم الأرواح وتأتي بالعلوم اللدنية واستشعروا هذا من قول مولانا رسول الله ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرُزِقْتُمْ كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً» أي تغدوا لعالم الأرواح خماصاً وتروح لعالم الحس بالعلوم بطاناً.

21 ـ وقال رضي الله عنه:

الحق سبحانه وتر يحب الوتر. والوتر من خلقه هو الذي غاب عن الكون في شهود المكون سبحانه وتعالى، فرفع الآثار بينه وبينه بحيث صار لقبلة شهوده مغطى بأوصاف معبوده.

22 ـ وقال رضي الله عنه:

قول مولانا رسول الله ﷺ: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير» يفيد بطريق الإشارة أن القلب الذي فيه تصاوير الخلق لا تأتيه الأسرار الوهبية ولا تدخله الملائكة بالعلوم اللدنية إذ القلب هو بيت الرحمٰن والله تعالى أعلم.

23 ـ وقال رضي الله عنه:

لا إلٰه إلاَّ الله، كلمة التوحيد وعلامة الإيمان، فمن قالها بصدق أثمرت له محبة الله والانحياز إليه والحضور معه والتجافي عن كل ما سواه، وهذه علامة دخول نور الإيمان للقلوب. قال ﷺ: «إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح، قالوا: هل لذلك مِنْ علامة يا رسول الله؟ قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود». وأما من كان يقولها وذلك يثمر له الانحياز للدنيا والحضور معها والاغتباط بها فما قالها بصدق وما له نصيب بأنوار الإيمان والله تعالى أعلم.

24 ـ وقال رضي الله عنه:

معنى قول رسول الله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» والله أعلم، إن كل داع يدل دعاؤه على مقامه من العبادة، فالعابد بالفكرة يدل دعاؤه على عبادته، والعابد بالنظرة يدل دعاؤه على عبادته، وهكذا.

25 ـ وقال رضي الله عنه:

المؤمن تَعْدِله رياح الاستقامة وتميله رياح الشهوة فهو أبداً بين اصبعين من أصابع الرحمٰن، وغيره كالأرزة لا تؤثر فيها رياح حتى تسقط دفعة واحدة كما في الحديث.

26 ـ وقال رضي الله عنه:

الأشياء ناطقة لكن لأهل الحجاب من وراء الحجاب، فلا يفهمون منها

إلاَّ لسان الحال لمن كان له منهم حضور. والعارفون تكلمهم بأبلغ من ذلك على قدر مقاماتهم إلاَّ أنهم لا يبلغون معها لسان المقال الصريح كما يبلغه معها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «رأيت الجنة والنار»، وقال حارثة: كأني أنظر الخ.

27 ـ وقال رضي الله عنه:

الصلاة على مولانا رسول الله ﷺ هي من العبيد دعاء للحقيقة المحمدية بلفظ يقتضي التعظيم وحقيقته عليه السلام هي القبضة النورية المطلسمة بالمحمدية فهي راجعة للحقيقة بالحقيقة ولذلك عظم الحق سبحانه أمرها وجعلها سبب كل خير نفعنا الله بها وأفاض علينا من بركاتها، وأطلق ألستنا بها دائماً حتى يتوفانا مولانا سبحانه وتعالى.

28 ـ وقال رضي الله عنه:

من الرضى عن النفس أن يقف المريد عند تحسين أعماله دون الانتهاء إلى الله سبحانه، لأنه كلما ناقشها وبحث معها في الأعمال وجد الشيطان يسلم والملك لا يسلم حتى تقف عند الله فيُسلِّم حينئذ الملك ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: الآية 42].

29 ـ وقال رضي الله عنه:

إذا حصلت المشاهدة واستمدت الروح من النور القدسي خفت عليه الطاعة وانقطعت المجاهدة ووقعت الغيبة في الله، واختلطت الأقوال والأفعال، ولم يبق نفي ولا إثبات ولا تلاوة ولا صلاة ولا ركوع ولا سجود وانجمع الكل في الله وسقط الكون جميعاً وهذه والله أعلم هي السكينة التي تنزل من قبل الحق لأن العبد يسكن عند ذلك إلى الله فلا يلتفت لسواه وعلى الغيبة في الله يحمل نسيان آدم، فمن بعده من الرسل والأنبياء ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: الآية 115] لأن المشاهد في حال شهوده لا يرى إلاَّ الله سبحانه ناسياً الأقوال والأفعال بل الأكوان كلها جميعاً فتجده في الوقت اليسير يفعل ما لا يسعه ذلك الوقت في العادة وما ذلك إلاَّ لكونه فيه بالله سبحانه والله تعالى أعلم.

30 ـ وقال رضي الله عنه:

إن حفر في قلب العارف بفاس الإحسان خرج منه ينبوع الربوبية، وإن حفر في قلب المسكين بفاس الإحسان خرج منه ينبوع من انكسار العبودية، وكلاهما سبب في حصول الخير للمحسن لكن نصرة نور الربوبية أشد من نصرة انكسار العبودية لأن نصرة نور الربوبية بالفعل ونصرة نور انكسار العبودية بالجعل والله تعالى أعلم، ونصرة الأضعف يفتقر فيها إلى الإعانة بالعدة والعدد بخلاف نصرة الأقوى، فلا يحتاج معها لشيءٍ كما يفعل أهل علم الجدول، فإنهم لضعف حضورهم مع الله يحتاجون في تصريف همتهم إلى وضعه وأهل الحال القوي يتصرفون بدون وضع شيء. وانظر إلى أبي بكر رضي الله عنه أحسن لرسول الله ﷺ فاستخرج عن ضيق الحال نصرة مَعِيَةِ الربوبية فاستتار عن أعين المشركين كاستتار النبي ﷺ من غير فرق. والعارف توغله في الحضرة شديد فلا تميل همته لأحد بسهولة، فلا بد في ميل الهمة إلى الإحسان الكثير بخلاف المسكين، فإن ميله سهل لأن انكسار الفقر هو يريد دفعه بخلاف حضور العارف هو به ضنين شحيح. فالإحسان للعارف يكسو كسوة الربوبية والإحسان للمسكين يكسو حلة انكسار العبودية، فتجد المحسن للمسكين لا ينفك عن أحوالهم لأن انكسار سريان حالهم فيه وتجد المحسن لأهل الله لا ينفك عن عزّة الربوبية لسريان حالهم فيه، والناس معادن، ولأن يحفر الإنسان في معدن يخرج منه الذهب خير من أن يحفر في معدن يخرج منه الفضة، ولأن يحفر في معدن يخرج منه الكمياء خير له من أن يحفر في معدن يخرج منه الذهب، والخيار الحذَّاق في جاهلية الظاهر؛ هم الخيار الحذّاق في إسلام الباطن، إذا فقهوا ورسخوا حتى نفذ باطنهم لظاهرهم فكساهم الله في ظاهرهم كسوة نور باطنهم فطهر أجسامهم بماء نور أرواحهم فهم في مَرْأى العين من البشر وفي نفس الأمر روحانيون، والإنسان منسوب للغالب عليه من البشرية والروحانية.

فصل في الكلام على المشاهدة والفناء والبقاء

1 ـ قال رضي الله عنه:

في معنى الشهادتين: أشهد أن لا إله إلاَّ الله جمع لحقيقة التوحيد باطناً، وأشهد أن محمداً رسول الله جمع لماهيته ظاهراً. لأن الحقيقة المحمدية هي ظاهر التكوين والحقيقة الأحدية هي باطنه، ومن أراد الدخول في الإسلام تعين عليه إخلاص التوحيد من ظاهره وباطنه لأن ملكوت كل شيء وحقيقته الباطنة جميعاً أحدية، وملك كل شيء وحقيقته الظاهرة جميعاً محمدية. فلا بد من إقراره بالتوحيد بالتفريد ظاهراً وباطناً لأنه هو في خاصة نفسه أحدي باطناً، ومحمدي ظاهراً، فلا بد من الاعتراف الدال على باطنه وظاهره فلا تجزيه لا إله إلاَّ الله وحدها لأنه إقرار بالتفريد والأحدية باطناً فقط ولا تجزيه محمد رسول الله وحدها لأنه اعتراف بالتفريد والأحدية ظاهراً فقط، فلا بد من الجمع بينهما، وهذه هي النكتة في دخول الكافر في الإسلام بالشهادتين ليسقط عنه ما عمل في حال كفره لإقراره بالفاعل انفراداً. وفي كل حال لا بد من التلبس بمعنى هذا الاعتراف علماً وشهوداً. وبذلك جاء الحديث بالبطاقة التي يخرجها الحق سبحانه لمن غلبت سيئاته حسناته حتى ظهر له أنه هالك فيقول الحق سبحانه: «إني خبأت لك خَبْئاً عندي، فيقول: يا رب وما هو؟» فيخرج له بطاقة فيها مكتوب: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، فتوضع في الميزان فتطيش سيئاته. وذلك، والله أعلم. بتفريد الحق سبحانه ظاهراً وباطناً فينسلخ من حقيقته وصفاته وأفعاله حسنة كانت أو سيئة فتبطل إذ ذاك السيئات والحسنات باطنة كانت أو ظاهرة، لسقوط الباطنة بتفريد الفاعل المختار باطناً وسقوط الظاهرة بتفريد الفاعل المختار ظاهراً، ويبقى العبد سالماً من عيوب الشركة في الذات والأفعال والصفات لكن الحق سبحانه يبقي عليه حسناته لأنه ذكر سبحانه أنه تفضل بها عليه، لقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النّساء: الآية 79]

وحاشاهُ أن يسترد ما وهب أو يستلب ما أعطى وهو المفضال الغني.

وأما السيئات فقد ذهبت ببيان التفريد، والله تعالى أعلم، ولولا نور المذكور في طي أسمائه ما طاشت السيئات بوضع البطاقة في الميزان ولذلك اعتنى الناس بسر حرف الأسماء لا بالحروف.

وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه: وصني بسر اسمك المصون، ولم يقل: باسمك، لأن أسماء الحق سبحانه قد استكن فيها نور المذكور لا نور الذكر، فالذاكر صدقاً يلوح له من ذكره نور ذات مذكوره لغيبته عن الذكر في المذكور الذي هو سر الاسم، وهذه البطاقة التي ذكر رسول الله ﷺ أنها توضع في الميزان فتطيش بسببها السيئات وإنما طاشت السيئات بسببها لكون ذاكرها كان حين ذكره عند الحق سبحانه علماً وشهوداً. ويدل لذلك قوله تعالى في الحديث المتقدم: «إنما وسعها الميزان لما فيها من الفرق وهو لا إله إلاَّ الله ومحمد رسول الله» الدال على عالم الملك ولولاه، أي الفرق، لما وسعه ميزان ولا أرض ولا سماء لأنه سبحانه منزه عن أن يحويه زمان أو مكان، فهذا الاسم ـ والله أعلم ـ للمشاهد لنور الذات المستكن فيه لا يقام له ميزان ولا ينصب له صراط لغيبته في المذكور المنزه عن كل شيء لظهوره في كل شيء، فليس معه شيء لأن الذي يتوهم أنه معه به ظهر ولولاه سبحانه لم يكن له ظهور لأنه عدم صرف ولا يظهر الوجود في العدم لولا من له البقاء والقدم.

2 ـ وقال رضي الله عنه:

أهل الفناء يثبتون الحق في الظواهر فلا يرون معه سواه لاجتماعهم بالحق في عالم البطون، والحق إذا بطن فلا يبطن شيء معه لوجود انفراده فيه، فهم ينكرون الظواهر الحسية حتى أخرجتهم الشريعة عن عالم الظاهر حكماً حيث خرجوا منه معنى فمن غاب منهم من غبش استشعار الظاهر سقط عنه التكليف الشرعي وسقوط التكليف عند أهل الكمال نقص وهم في حالهم يرون استشعار الظواهر نقصاً لخروجهم عنها بسمة الحدوث الذي هو وهم محض في نظرهم فهم يتوقون استشعارها خوفاً على نزولهم عن مقاماتهم. انتهى الكلام على أهل الفناء.

وأما أهل السلوك المحض المتجمدون على الظاهر لا يثبتون الحق في

الظواهر لعدم اجتماعهم بالحقيقة بطوناً لوجود غيبتهم عن عالم الغيب بأين وجودهم، والحق سبحانه أظهر لهم الأكوان ظهوراً قوياً أفناهم به فناء شديداً عن عالم البطون حتى صاروا يدعون الوجود للظواهر لكن بسمة العبودية، وقوفاً مع نصوص الشرع الظاهرة وما دروا أن نصوص الشرع الظاهرة إنما جاءت رداً على أهل الفناء في الظاهر وهم فِرق لا تحصى فمنهم أهل الفناء في وجود أنفسهم وهم المعطلة فلا يرون للوجود إلاهاً، ومنهم الفاني في الحجارة فاتخذوها رباً، ومنهم الفاني في الخشبة، ومنهم الفاني في الشمس، ومنهم الفاني في القمر، ومنهم الفاني في غيرهما من النجوم والأجرام من البشر وغيره، فأرسل الله سبحانه الرسل لِيُثْبِتُوا عليهم ظلال العبودية صوناً للربوبية إن ثبتت لظاهر برسم الحدوث، ولذلك كلما ادعت طائفة الربوبية في شيء ظاهر ردت عليها الشريعة باشتمال ذلك المدعى فيه الربوبية على أوصاف الحدوث التي لا تليق بالربوبية كقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المَائدة: الآية 75] إلى غير ذلك. ومن عظم به التلف حتى ادعى الربوبية في الحدوث فلا أقل أن يرد إلى ادعاء العبودية له لأن ادعاء العبودية في الحادث للربوبية كمال بخلاف ادعائها في شيء يوهم بالحدوث فذلك محال، والكلام في هذا الشأن طويل عريض يحمل المقام أكثر مما رسمناه. ولكن الإشارة تهدي إلى ما هو أكثر، وأهل الجمود على الظاهر فهموا أن الحقيقة تريد أن العبودية في الظاهر حقيقة، فجعلوا يؤولون كلما يشير إلى الحقيقة في الظاهر أبداً. وأما أهل الفهم عن الله الراسخون في العلم بالله، المجتمعون بالحقيقة تمكيناً في عالم البطون فهم يرون الحق سبحانه باطناً بصفاته القديمة وأسمائه في عالم الظهور، ولا يتوَقَّوْنَ استشعار الظواهر ولا ينكرونه لأنه عندهم مثبت لإثبات الحقيقة له صوناً للسر اللطيف لأنها لا تفسد شهودهم في مقام بطونهم الذي ينفي عدم غيبتهم عن لطافتهم عند ظهور غبش اقتضاء العزة للتستر بانفعالات الحدوث، وذلك لأن انفعالات الحدوث مما اقتضاه كمال القدرة وظهور العزة، فهم يزيدون جمعاً بالحقيقة فهو جمع لجمعهم ولم لشملهم حتى لا يحصل لهم افتراق أبداً لزوال غبش الفناء بعظمة ظهور القدم الذي ألفوه وعظم في أعينهم فكلما ظهرت آية زادتهم إيماناً وذلك لكمال الرسوخ، فمن الحِسِّ مردهم، وأما

المعنى فشيء أقاموا فيه وتمكنوا حتى صار لهم كأنه فطرة. ولذلك قال عليه السلام: «روّحنا بها يا بلال» وقال لعائشة: «كلميني» ولا راحة له عليه السلام إلاً عند ربه بشهود كمال اقتداره لظهوره في مظاهر العابد الذي له رب يعبده إلى غير ذلك من المظاهر. وإنما كانت من أعظم العبادات لظهور كمال القدرة أكثر مما فيها من الخشوع والله تعالى أعلم.

3 ـ وقال رضي الله عنه:

البقاء في عرف أهل الطريق عبارة عن زوال الدهش الحاصل للسائر عندما تواجهه الحقيقة بظهورها له بعد بطونها عنه فإذا دام عليه أشرق نور الحقيقة في جميع أحواله وألف شهودها ومارس ذلك وزالت حيرته ودهشه وصفا مشربه من قَذَا الحيرة والدهش، وكانت نظرته أصفا بالفاني أول فنائه إن حققت النظر فيه وجدته غير تام، نظره في الحقيقة لاختلاط نظرته بظلمة الدهش والحيرة، فإذا ألف الحقيقة وزالت عنه الحيرة كمل شهوده وصفا نوره غاية والله تعالى أعلم.

4 ـ وقال رضي الله عنه:

الفاني انْجَمَعَ بالحقيقة في عالم الأرواح، والباقي انجمع بالحقيقة في عالم الأرواح والأشباح، فهو أشد انجماعاً بالحقيقة من الفاني، ظهرت له الحقيقة في بطونها وظهرت له أوليتها في آخريتها والباقي، أعني الراسخ في الفناء، بطنت عنه الحقيقة في ظهورها وظهرت له في بطونها، وظهرت له أوليتها في آخريتها وآخريتها في أوليتها، الفاني واجهته الحقيقة بالذات فبطن بالجمع فهو غائب، والباقي واجهته الحقيقة بالذات فبطن وبالصفات فظهر فهو باطن ظاهر، وغائب حاضر، وناطق صامت، وصامت ناطق.

5 ـ وقال رضي الله عنه:

الفاني لا يتهيأ له أن يردَّ أصحابه إلاَّ للفناء في الله لتَلبُّسه بوصف الفناء ولا يمكنه أن يردّهم إلى وصف البقاء بالله لعدمِ تلبُّسه بوصف البقاء. فما أعجزه الله عنه لا يقدر هو أن يرقى إليه أحد لأنه لا يملك مفتاح الدخول إليه لكونه لا يملك ذلك الحال كما أن الموجود بنفسه لا يتأتى له أن يرد أصحابه

إلى الفناء في الله، من جهة أنه لا يملك ذلك الحال حتى يرد إليه غيره، وأما الباقي بالله السكران الصاحي فإنه يملك بحول الله وقوته أن يرد أصحابه إلى الفناء بالله لتلبسه بوصف الفناء فيه ويحولهم أيضاً إلى البقاء بالله لتلبسه بوصف البقاء به فهو حيث تلبس بالوصفين ومالك للحالين قادر بحول الله وقوته أن يرد أصحابه إلى حال ما ملكه الله بفضله، والله ذو الفضل العظيم. ومن عظم فضل الله سبحانه أنك تجده يعطي هذه الأحوال النفيسة وهذه المقامات الرفيعة بدون طلب ويغني من يشاء بها بدون سبب، يداه مبسوطتان غير مغلولتين بثقاف الأغراض والأسباب سبحان الله الكريم فعال لما يريد وحكام بما يشاء أفعاله سبحانه ذاتية ليست متوقفة على شيء لوجود غناه في أفعاله عن كل شيء، فإذا حققت النظر وجدته سبحانه غنياً من جميع الوجوه، فكما أن ذاته سبحانه غنية عن جميع الذوات كذلك صفاته وأفعاله غنية عن جميع الصفات والأفعال بدليل قيامه سبحانه بنفسه وصدور أفعاله بلا سبب. وأما أمر الحكمة التي احتجب بها وظهر فأمر آخر.

6 ـ وقال رضي الله عنه:

مشرب المجذوب المُصْطلم أصفى ومقام المجذوب السالك أكمل، الأول استولت عليه الحقيقة بظهورها في بطونها فبقاؤه في فنائه، والثاني تارة يكون بقوسين في القُرْب من حيث استشعار الفرق في الجمع، وتارة يكون أدنى من جهة الغلبة عليه وذلك نادر أحواله. والأول ملازم لمقام الدنو من حيث استغراقه في الجمع من غير فرق. أو نقول الأول ملازم لمقام الدنو، ومن هذا الفريق يكون الأوتاد من جهة اللزوم، والثاني تارة في مقام القرب وتارة في مقام الدنو، وتارة يكون شهوده في البين وهو قريب، وتارة يكون شهوده في العين وهو دنو، وتارة يُطْوَى فلا يفوته شيء من دوران فلك الحقيقة أولية وآخرية ظهوراً وبطوناً، ومن هذا الفريق تكون الأقطاب لأن فلك الحقيقة يدور عليهم. فشمس ظهورهم مشرقة في بطونهم كما أن شمس بطونهم مشرقة في ظهورهم، فهم في عالم الظهور ظاهرون وفي عالم البطون باطنون، ينظرون بكلتا العينين ويتنزهون في جنتين فلم تفتهم الشريعة في الحقيقة لوجود ظهورهم

في فنائهم ولم تفتْهُم الحقيقة في الشريعة لوجود فنائهم في بقائهم وإن شئت قلت: لوجود بطونهم في ظهورهم. جعلنا الله في زمرتهم وحزبهم آمين.

7 ـ وقال رضي الله عنه:

أهل التصوف الظاهر يدلون على الله بظاهرهم الذي يسري للظاهر فقط وهو لا يفيد تطهيراً يطابق نور الربوبية، وإنما يطابق أنوار التوجه التي هي نور العبودية؛ لأن العبودية لها نُورُ الصنعة والربوبية لها نور الصانع، ولا يطابق بكثرة الصفاء نور الربوبية إلاَّ نور الباطن والظاهر له تبع ولذلك كان التكاليف منوط بالعقل لكونه له نور العبودية ظاهراً ونور الربوبية باطناً، وأهل الباطن يَسْري حال باطنهم للباطن وإن كانت الدنيا في أيديهم فباطنهم مجرد منها وحاشا وكلا أن تدخل الدنيا في باطن سكنه نور الحقيقة وهي لا تنظر إليها أبداً منذ خلقتها ولا تساوي عندها جناح بعوضة والحق سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: الآية 28] والذكر ينهى عن الفحشاء والمنكر، أي يزيل أثر ظلمتها من القلوب، فالذي يذكر الله وإن كان عاصياً يزيل الذكر من باطنه ظلمة معصيته إذ لا توزن بذكر الله معصية في القلوب إلاَّ طاشت وزالت وأفضى العبد لربه الذي به يتأهل لدخول عالم الجنة الذي لا يدخله محجوب عن الله وتأمل قوله عليه السلام في المخرجين من النار يلقون في نهر الحياة الذي هو عبارة عن الفناء في الله والفناء به بدليل قوله عليه السلام: «فينبتون كما تنبت الحبة في حامل السيل». فإن قوله: يلقون، يقتضي أن لهم وجود أو قول ينبتون يقتضي أنهم عدم وما ذلك إلاَّ أنهم موتى بالحجاب ويحيون بزواله وإلاَّ لكان أول الكلام يدافع آخره. وانظر إلى هذا الخطاب لم يلق في نهر الحياة وإنما كانت تطيش في ميزان الآخرة لأن ميزان الأعمال يثقل بحسب ما يداخله من نور القرب من الله تعالى وتعظم الحسنة في عالم التكوين حتى تكون كأُحُدٍ أو ما يماثله باعتبار ما دخلها من نور المكوِّن ولذلك كان الميزان بيده يرفع أقواماً ويخفض آخرين ولذلك أيضاً كان الوزن في الآخرة على عكس وزن الدنيا، فما ثقل في الآخرة طاش إلى أعلى، ما ذاك إلاَّ لأن ما كان بجانبه سبحانه لا يقبل الانسفال والله تعالى أعلم.

8 ـ وقال رضي الله عنه:

اعلم أن كل من يذكر هذا الورد ولم يحصل له به ربح فلم يقله حقيقة وإنما يضيع الزمان لا غير حتى يفتح الله عليه لأنه ظهر لي والله أعلم أن كل من يقول أستغفر الله مائة مرة بعد صلاة الصبح ومثل ذلك بعد صلاة المغرب ولم يحصل له حبُّ طاعة الله وكراهة معصيته حتى لا يحِبّ أن يسمعها فضلاً عن أن يعملها كله لم يقل ذلك بجد وكل من يصلي على النبي ﷺ مائة مرة بعد صلاة الصبح ومثل ذلك بعد صلاة المغرب ولم يتخلق بأخلاقه عليه الصلاة والسلام من اجتلاب كل وصف محمود واجتناب كل وصف مذموم كله لم يصلِّ على النبي ﷺ على الحقيقة وكل من يقول لا إلٰه إلاَّ الله مائة مرة بعد الصبح ومثلها بعد المغرب ولم يَنْسَ الكون بأسره كله لم يقل لا إلٰه إلاَّ الله على الحقيقة فالاستغفار يفيد حصول مقام الإسلام والصلاة على النبي ﷺ تفيد مقام الإيمان، والهيللة تفيد مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، والاسم المفرد والله أعلم يفيد المريد أن يراه لكأنه يراه لأنه نور محض ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النّور: الآية 35] والله تعالى أعلم.

9 ـ وقال رضي الله عنه:

اعلم، وفقني الله وإياك، أن الذاكر إذا كان حاضر القلب في العالم الأسنى وعنه التعبير بذاكر الحضرة إذا ابتدأ الذكر بترتيل وعظم عليه الأمر باعتبار الحضور جعل يسرع في ذكر لسانه حتى ربما لا يطيق لسانه ما يريد قلبه من تكرار اسم الحبيب فيتولى هو الذكر بنفسه فيصمت حينئذ اللسان كما أن الأمير إذا أمر بعض رعيته بعمل وضعف على القيام به تولى ذلك بنفسه.

10 ـ وقال رضي الله عنه:

قول الصّوفية: أن العارف لا تقله أرض ولا تظله سماء. يعْنون بذلك والله أعلم: مَن تحقق العبودية منه لله سبحانه فهو على مجد عظيم، وافتخار فخيم. إذا أصبح عبْداً حقيقيّاً للربِّ الكريم السميع العليم العزيز الحكيم؛ فهو لا يسعه الكون بأجمعه، أي خرج من الكون إلى المكوِّن. والله تعالى أعلم.

11 ـ وقال رضي الله عنه:

من فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين أن أطلعهم على معرفة بعض أسمائه الحسنى، لِيسردوا لوعَةَ المحبة بذكره إذا أثارت في قلوبهم لواعج الاحتراق للملك الخلاق، ولو لم يجدوا السبيل إلى ذكره لوقع في قلوبهم الإحراق. نسأل الله سبحانه أن يمنحنا من حبه ما يشغلنا بذكره إنه على كل شيء قدير.

12 ـ قال رضي الله عنه:

إنما كانت القناعة رأس الغنى، والله أعلم، أن القانع من كل لا تكون أعماله لأجل شيء بل خالصة من الشوائب كلها لأنه يبحث في نفسه لأي شيء يقوم بالعبودية بين يدي الربوبية فلا يجد في نفسه يريد شيئاً غيره سبحانه لرفع همته عن كل شيء وبرودته عن طلب شيء، فلذلك قال ابن عطاء الله رضي الله عنه: «ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب» والله تعالى أعلم.

13 ـ وقال رضي الله عنه:

مما يدلك على قهره أمر النساء بعدما جعل الله فيهن أموراً تزهد العاقل فيهن إذا اعتبرها؛ منها الغائط والبول وترك دخولهن عليه سبحانه في الصلاة بدم الحيض علق بهن الرجال على ما فيهن من المساويء وحملهم على الإتيان في محل البول والدم وقد رمى هو سبحانه بهن في أيام الحيض جزافاً ومنعهن من الصلاة التي هي مناجاته إشارة لتزهيد الرجال ومنع الرجال من غشيانهن ليتذكروا ما كن ولِيُوَالِفُوا مُجَانبَتَهنّ لأن قربهن من أعظم البلايا على العقول إلاَّ من نجاه الله سبحانه، والله تعالى أعلم.

14 ـ وقال رضي الله عنه:

الذَّاتِيُونَ شغلهم الحق بشهود محاسن الذات عن شهود مصادر الصفات ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: الآية 110] فهم غائبون عن عالم المعاني الصادرة عن الذات باستغراقهم في عالم الأصل وعالم الأسماء والصفات التفات لعالم المعاني، مخرج لعالم الحس الذي استشعاره بوجود شهود الذات كمال ورسخ في الحقيقة وتمكين فيها والله تعالى أعلم.

15 ـ وقال رضي الله عنه:

صفة الوجود ظهرت في كل موجود، وصفة القدم ظهرت في نعت الكون بالعدم. إذ الموصوف بالعدم لا وجود له، وصفة الباقي ظهرت في نعت الكون بالفناء إذ الفاني لا بقاء له كما أن الباقي لا فناء له، وصفة المخالفة للحوادث ظهرت في تنويعها وصفة القيام بالنفس ظهرت في افتقار الكل إليه، وصفة الوحدانية ظهرت في انفراده بالأفعال إذ لو كان معه غيره حقيقة لتصرف إذ الموجود لا بد له من تصرف.

16 ـ وقال رضي الله عنه:

الأحدية: الغيبة في الألوهية عن شهود العبودية حتى يضمحل الدليل في المدلول، والوحدانية: الغيبة في العبودية عن شهود الألوهية حتى يقع الاحتياج للدليل على وجودها، والوحدة: شهود الألوهية في عين وجود العبودية وهو الكمال. وافهم هذا من قول مولانا عبد السلام رضي الله عنه: «وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلاَّ بها»، وافهم قوله: ولا أحس، فإنه يشير للإحساس الذي هو شهود الألوهية في عين وجود العبودية.

17 ـ وقال رضي الله عنه:

العارف تلقنه ذاته العلوم فيستفيد منها فتراه منطلق اللسان بما يرويه عن ذاته حتى أنه ليفيض بالعلوم لأصحابه فيستفيد لنفسه ويفيدُهُمْ لأن ذلك يأتيه من عالم الغيب.

18 ـ وقال رضي الله عنه:

من دعاويه المباطنة في نفس الأمر دعاوي قطعاً تكون مَسَاوِئه مساوي لأن من ادعى وجود ذاته وصفاته مع الله سبحانه حتماً تكون جرائمه حقيقة عنده، وسيئاته منسوبة إليه أيضاً، ولو تبرأ من شهود ذاته وصفاته بشهود الحق سبحانه لم ينسب إليه شيء من عوالم الصفات بل ربما كانت سيئاته حسنات من حيث شهود التوحيد فيها والله تعالى أعلم.

19 ـ وقال رضي الله عنه:

قول القائل: اللهمَّ إني أعوذ بك من الشرك والشك وأسألك اليقين

الصرف لأن اليقين الصرف هو مقام الشهود والعيان المؤذن بفَقْد الأعيان في وجودها ووجودها في فقدها وإن شئت قلت: هو مؤذن ببطونها في ظهورها فهي باطنة ظاهرة وظاهرة باطنة. وأما مقام الإسلام فشِرك ظاهر مع اعتقاد التأثير وخفي مع الاستناد للأسباب، وأما مقام الإيمان الذي هو مقام الدليل والبرهان، فشك لا محالة، إذ لا يقام الدليل إلاَّ مع وجود الشك. وأيضاً الدليل يقتضي وجود الغيبة عن الله سبحانه، إذ المشاهد لا يقيم الدليل والله أعلم.

20 ـ وقال رضي الله عنه:

صاحب الحال هو الذي يبرق عليه الجذب الذي يأتيه ويذهب عنه فهو مع ربه تارة وتارة مع قلبه ثم لا يزال كذلك حتى يتمكن فيه ذلك الجذب ولا يذهب أصلاً، وقد يعبر صاحب الحال عن معنى ذلك الجذب قبل أن يصير له مقاماً ولكنه ينسفل عنه في بعض أحيانه فيدل ذلك على أنه صاحب حال في ذلك الجذب وليس من الراسخين فيه، ولذلك قال ابن عطاء الله: «قد يعبر عن المقام المستشرف عليه» يعني به صاحب الحال لأنه وصل البلد الذي عبر عنه ولكنه لم يصر له مقاماً.

21 ـ وقال رضي الله عنه:

من عبر في أنوار مواجهة الحقيقة عن إحسان الله إليه في إحسانه بحسن الأدب مع الله بذلك من غير أن يكون له في ذلك سبب لفنائه عن وجُودِ في شهود مولاه لم تصمته الإساءة لعدم شهود نفسه من نفسه بعموم شهود إحاطة الحق سبحانه بالمكوَّنات وجوداً وانفراده سبحانه بالتصرف. وأما من عبر في بساط الطاعة عن إحسان نفسه لشهودها منها أصمتته الإساءة لشهودها أيضاً من نفسه فهو محصور في خيال نفسه طاعة وإساءة إن نظر بياض يمينه ضحك وإن نظر سواد شماله بكى، وفاته النظر إلى سيده الذي كلتا يديه يمين من جهة شهود الجميع منه لأنه ما شوهد الأمر بارزاً منه إلاَّ كان في نظر الناظر إليه حسناً.

22 ـ وقال رضي الله عنه:

قلب العارف بالله قد سكن بدوام شهوده فلا يصحبه الطيش الذي يظهر

على المريد عند صدمته أو شم رائحة الغلبة عليه.

23 ـ وقال رضي الله عنه:

لا يكمل المريد حتى يأكل من الشجرة التي بالأكل منها تم أمر أبينا آدم عليه السلام فاستخلف في الأرض، وهي شجرة الجلال إذ كل جنة لا بد فيها من شجرة الجلال حتى يكون مع الله جلالاً وجمالاً. نسأل الله سبحانه التأييد من فضله حتى نكون ذاكرين له على كل حال وأن لا يحجبنا عنه في شيءٍ بجاه مولانا رسول الله ﷺ.

24 ـ وقال رضي الله عنه:

العرش يطلق على جملة الكون عن آخره، وهذه الأكوان من سماء وأرض وغير ذلك فروع مندرجة تحته فهي غيب فيه وهو مشتمل عليها، وإن شئت قلت: هذه الفروع هي قوائمه التي قام منها واستوى على ماءِ القدرة فهو غيب في عالم الذَّات. وإن شئت قلت: هذه الفروع من سماءٍ وأرض وما فيهما، إذ عموم ذلك هي قوائمه التي قامت بها حقيقته بجميع الأكوان هي مسمى عرش الظهور فهو قائم باسمه الظاهر ويقابله لوح البطون القائم باسمه الباطن والفروع جميعاً دائرة بينهما من لوح البطون إلى عرش الظهور، ومن عرش الظهور للوح البطون، وقلم القدرة، أعني القلم الذي هو نفس القدرة، كاتب بمَدَادِ العلم المكنون بما كان وما يكون والكل من لوح وعرش وقلم غيب في عالم الرحمانية ممحو بوجود الذات فسبحان من مَحَا الآثار بالآثار ومحا الكل بمحيطات الأنوار، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، نسخ الأفعال بالأفعال، والصفات بالصفات، والأسماء بالأسماء، والهياكيل بالهياكيل، ومَحَا الكل بأحدية الذات فليس إلاَّ هو وإنما كان العرش، أعني عرش التجلي، يوم القيامة أعظم لأنه يزاد في الظهور فالعرش بالنسبة أوسع وأعظم والله تعالى أعلم.

الباب الخامس

في شروحه
رضي الله عنه

الباب الخامس

في شروحه رضي الله عنه

الفصل الأول في شرح الصلاة المشِيشية

قال رضي الله عنه:

اللهمَّ أصله يا ألله، ثم حذفت منه ياء النِّدَاءِ وعُوِّضَ عنها الميم، وهذا الاسم هو اسم للذات؛ الجامِعُ لجميع معاني الأسماء والصفات، وهو الاسم الأعظم على المشهور صَلِّ علي، الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، ومن العباد دعاء بالرحمة، والرحمة رقة وانعطاف في القلب فهي بهذا المعنى محال على الله تعالى فوجب حملها على فائدتها وغايتها وهي الإحسان لمن رحِمَهُ سبحانه وإحسان الحق سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام لا يساويه إحسانه لأحد من خلقه لأنه تعالى جعله عليه السلام نور الوجود وأصل كل كائن وموجود، ووجود الشيء رحمة له، فلذلك كان عليه السلام رحمة للعالمين وهداية للمؤمنين.

ومعنى صل عليه، أي ارحمه بأن تبالغ في الإحسان إليه ولكن خص الدعاء بالرحمة للأنبياء بلفظ الصلاة تشريفاً لهم وإشارة إلى أن نَفْعَ ذلك راجع للمصلي لا للمصلى عليه، إذ هم أئمة الشفعاء وإمامهم مولانا رسول الله ﷺ وبجّل وعظّم من أي الرسول الذي منه الخ، وعبر عنه بالموصول المبهم لأن المقام يقتضي ذلك من حيث انبهام رتبته ﷺ لأنه بلغ من الشرف وعلو الدرجات إلى غاية لا يمكن بلوغها لغيره من المخلوقات أصلاً. منه يتعلق بقوله: انشقت، أي من حقيقته النورية المنجذبة من الحقيقة الذاتية انشقت أي اندفعت الأسرار جمع سر، أي أسرار العارفين وتواجيد الواصلين بنفسها لعالم التكوين أو جمع سر وهو ما بطن من الحقيقة اللطيفة الأزلية المحيطة بجميع الحقائق ذاتاً واسماً وصفة على ما يليق بها فلها الوجود في كل موجود مع

تنزيهها عن الظرفية والحلول وغيرهما مما لا يليق بها. وانفلقت، أي ظهرت من ذاته وحقيقته باعتبار تلوين جمالها الأنوار، أي صفات التكوين التي هي أنوار الدلالة على الذات التي بها يهدي الله تعالى من أراد هدايته إلى معرفة تلك الأسرار المندفعة من السر المحمدي الجامع لأسرار الكون كله من حيث أنه مقتضب من النور الذاتي المحيط كما تقدم. فالصفات الدالة على الذات كلها تجتلي على الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام فهي عروس خلقة الكون جميعاً. وفيه، أي في ذاته الشريفة المطهرة. ارتقت، أي ارتفعت لدلالتها على التنزيه وبطلان التشبيه بسبب تنويعها وتجنيسها وتباين أشكالها ودلالتها على كمال القدرة في عين الحكمة من جهة أنه بين في نفس العين وفرق في ذات الجمع. الحقائق على اختلاف أنواعها وأجناسها في التكوين فلا حقيقة من حقائق المكونات إلاَّ وهي مستمدة من الحقيقة الأحمدية فهو السراج الذي أسرجت منه جميع الأنوار، والمعدن الذي صيغت منه جميع الأسرار، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً. ولذا قال البُوصيري:

أنت مصباح كل فضل فما
تَصْدُرُ إلاَّ عَنْ ضَوئِكَ الأضواء

وتنزلت، معطوف على قوله: ارتقت، أي وفيه تنزلت علوم آدم الخ، أي وفي ذاته وحقيقته تنزلت الخ، علوم آدم، وهي أسماء تلوين الجمال المحمدي وتكويناتها ذاته وحقيقته فما من اسم إلاَّ وهو واقع على نور من أنواره الذاتية ومظهر من مظاهر صفاته المتصفة بها ذاته، ولذلك قال:

لك ذات العلوم من عالم الغيب
ومنها لآدم الأسماء

أي لأنه عليه السلام الحقيقة المسماة بتلك الأسماء، ولذلك كان عليه السلام يعلم أسماء المسميات التي علم آدم عليه السلام، ويزيد عليه بمعرفة منافعها وخصالها وغير ذلك مما لا يمكن علمه لغيره من البشر، فأعجز الخلائق أي أوقعهم في العجز عن إدراك حقيقته المحيطة بالحقائق الكونية كلها لأنه الحقيقة الجامعة والسر المطلسم بظهور التكوين الدَّاعي لعظمة الحجاب

بشهود الفرق فيه، فكان عليه السلام الحجاب الأعظم على الحقيقة. وله، أي لأجله أي ولأجل علو درجته وبعد حقيقته عن مدارك العقول تضاءلت، أي تقاصرت، بأن عجزت عن إدراك معناه الفهوم جمع فهم وهو اللطيفة النورية التي بها يقع الإدراك، ولذلك قال في البردة:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فلم يدركه منا، أي لم يقف أحد على حقيقته. وإذا كان أصحابه الذين هم خير أمة أخرجت للناس على علو مقامهم لم يدركوا من جبريل عليه السلام إلا حسن دحية الكلبي، فكيف يدرك أحد حقيقة أحمد ﷺ وهو سر صون الذات وأصل وجود المكونات من أهل الأرض والسماوات منا، أي معشر المخلوقات قاطبة فلا سابق ولا لاحق على مظهره الشخصي وإلاَّ فهو الإمام السابق عن جميع العوالم كلها ذاتاً وحقيقة لأنه عين وجود الجميع والماهية المحيطة بعالم الظهور كله ولا لاحق أي لمظهره الشخصي أيضاً وإلاَّ فهو النور المتصلة به الأنوار كلها أولها وآخرها، فرياض جمع روض كحياض جمع حوض، الملكوت بزهر جماله وهو عالم النور المندفع من عالم الذات إلى عالم ظهور الأسماء والصفات، واستعيرت الرياض له لأنه محل التلوين بقدرة التكوين مُونقة، أي معجبة لكل من فتح الله بصيرته ونور سريرته لأن عالم النور المقتضب من الذات هو الحقيقة المحمدية، وكل ما طرز به من الصفات فهو مظهر الجمال المصطفوي. فاسْتِعَارُ الرياض لِحَقيقة ذاته، واستعار الزَّهر لمظاهر صفاته فهو الدال على الذات العالية بالذات، والمعلم بكمالها بظهور الصفات، ووضوح الآيات صلّى الله عليه وسلم وعلى من له من آل وصحب وزوجات. وحياض جمع حوض، وهو ما يجتمع فيه الماء لسقي الروض، استعير للحقيقة من حيث أن الوجود جميعاً منها استمداده كما أن حوض الروض منه استمداد حياة جميع ما فيه. الجبروت هو عالم النور الأصلي الفائض منه النور الكوني لعالم التكوين على حسب ما تخصُّه به الإرادة وتتعلق به القدرة ويسبق به العلم بفيض يحتمل أن يكون معناه فائض فيكون من باب

الوصف بالمصدر مبالغة على حد قولهم: زيد عدل، أي عادل. ويحتمل أن يريد بالفيض ما يفيض وهو راجع في المعنى للاحتمال الأول. أنواره أي الذاتية له متدفقة أي جارية بقوة من تدفَّق بالشيء إذا كثر صدوره منه كثرة بالغة، ولا شيء في العالم بأسره والوجود عن آخره إلاَّ وهو منوط أي متعلق تعلق الفرع بأصله، ونور العين بها فهو مادة وجوده وأصل تكوينه. فالأنوار الكونية جميعاً مندرجة في حقيقته ومستودعة في عين ماهيته عليه الصلاة والسلام إذ لولا الواسطة أي في الوجود الذي هو النور المحمدي الذي تكوّنت الأكوان جميعاً منه لذهب، أي اضمحل كما قيل، أي كما هو القول المتفق عليه عند أهل الظاهر والباطن وأهل المعقول والمنقول جميعاً الموسوط أي الصادر عن تلك الواسطة، ولم تبق له بقية لأن الواسطة منها استمداد الموسوط وتكوينه يوجد بوجودها وينعدم بانعدامها لأن الفرض أنه موسوط عن تلك الواسطة، فوجود الموسوط يقتضي وجود الواسطة والعكس بالعكس، صلاة هو اسم مصدرٍ وإلاَّ فمصدر صلّى تصلية تليق بمقامه الرفيع وجنابه المنيع إذ هو الفاتح بك لما أغلق على غيره من معرفتك وهذا استغراق من الشيخ رحمه الله في شهود النور المحمدي في عين بحر النور الأحدي، ولذلك عدل عن الصلاة الواردة إلى صلاة تليق من الجناب الرفيع إلى الجناب المقتضب منه ولم يقنعه الوارد في ذلك لأنه مقام العوام. واعترف على نفسه بالعجز عن تكيف الصلاة عليه لأنها أليق بالكلام القديم ولذلك قال: تليق بك منك إليه، كما هو أهله. وعلى هذا المنوال مبنى هذه التصلية من أولها لآخرها ولذلك قال: واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي بك وجوداً منك شهوداً إليه كرماً وجوداً كما هو أهله في نفس الأمر عندك، اللهمَّ إنه سرك اللطيف الخفي في مظاهر الكائنات الجامع لنور جمالك المنبسط بك من عين ذاتك للدلالة عليك الدال بجميع حقيقته ذاتاً وحالاً وهمة ومقالاً عليك في نفس جبروتك البارز منه ملكوتك المحيط بدوائر الملك جميعاً وحجابك أي وحجاب ذاتك الذي أسدلته عليك لفرط كبريائك وعظمة عزك فلا يصل إلى معرفتك إلاَّ من سبقت له العناية منك لكونك حجبت نفسك بكشف الحجاب عنك فأنت في حال احتجابك أظهر من كل شيء الأعظم الذي ظهرت به قدرتك القاهرة

وحكمتك الباهرة من حيث أبرزت نقطة الوحدة في تعدد الأضداد وأظهرت تجليات القرب في قوالب البعاد، فكنت الظاهر بالستور والباطن بالظهور، وحققت الحقيقة المحمدية في جميع ذلك فكان عليه السلام الحجاب الأعظم منك عليك والدليل السابق بنور هدايتك إليك فليس في إمكان التصوير أبدع مما كان في قدرة السميع البصير لإحاطتها بجميع دوائر الإمكان وزيادة، وذلك كله قد وقع وكان القائم منك لك بك وإليك بين يديك، أي بين يدي شهودك فلا يمكن شهودك إلاَّ لمن تمكن في المظهر المحمدي عليه السلام بأن يتحقق بأوصاف العبودية التي كمنت فيها أنوار الربوبية، فالتمكن في الحرية على قدر التمكن في العبودية لأن العبودية طلسم الحرية والحرية سر العبودية الكامن فيها فكل من تحقق بالعبودية بأن صارت له طبيعة تحقق بالحرية قطعاً والله تعالى أعلم.

اللهمَّ ألحقني به فإنه انتسب إليك نسْبةً لم ينتسبها أحد قبله لأنه أعرف الخليقة بالله بنسبه، أي الحسِّي والمعنوي، حتى أكون مشمولاً بحقيقته النورية شهوداً فلا أنفك عن دائرته حتى لا يغيب عَنِّي طرفة عين كحال القطب معه عليه الصلاة والسلام، وحققني بحسبه، الحسب ما يعد من المفاخر بلا تكلف. والتحقق والاتصاف به حتى يصير خلقه كالغريزة بسبب ذوقه وشربه والري منه، ومعناه حلني بحلية الوصفية وحققني بها تحقيقاً ذوقياً وإن لم أبلغ درجته عليه السلام في ذلك كما هو كذلك في نفس الأمر وجوداً فاسلم بذلك من الجهل به كما سلمتني من الجهل بك كما هو عادتك مع أهل النهاية في التحقيق، فإذا أبقيتهم بك بعد فنائهم فيك أبقيتهم في أشرف المظاهر الذي هو المظهر المحمدي وحَلَّيتهم بحليتهِ ولاحت عليهم أنوار شهوده في وجودك، وعرفني أي بسبب ما تقدم إياه عليه الصلاة والسلام معرفة على سبيل الإجمال وإلاَّ فمعرفته عليه الصلاة والسلام على سبيل التفصيل لا تمكن إلاَّ لله سبحانه وتعالى، ولذلك قال: أسْلَمُ بها أي بتلك المعرفة الإجمالية من موارد جمع مورد وهو موضع الورود. وموارد الجهل به عليه السلام كثيرة، بعضها أدنى من بعض، كما أنّ موارد معرفته عليه الصلاة والسلام كثيرة، بعضها أعلى من بعض، الجهل به عليه الصلاة والسلام والمعرفة التي بها تقع السلامة من موارد الجهل

به هي التي تكون على سبيل الفناء فيه لأن الفناء فيه بقاء بالله في أشرف المظاهر وذلك عند أهل الخصوصية أعلى المقامات وأسنى المراتب لأن الفناء فيه عليه السلام يدل على كمال النهاية ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: «حبب إليَّ من الدنيا ثلاث: الجلوس بين يديك، وإنفاق مالي عليك، وكثرة الصلاة عليك». وقالت زوجته رضي الله عنها لابنتها عائشة أم المؤمنين: «أشْكُرِي رسول الله ﷺ». وقال سيدنا عمر عند موته عليه السلام: «والله لأضربن بهذا السيف من يقول إنَّ رسول الله ﷺ قد مات» أو كما قال. ولذلك لا يغيب عن أهل النهاية أبداً مع شهودهم للحق سبحانه وتعالى.

وأكرع بها، أي اشرب بِفَمِ سِرِّي من عين نور موارد الفضل. وموارد الفضل شهود الحق سبحانه إذ لا يَنال إلاَّ بالفضل المحض العاري عن الأسباب الموصلة إليه بشهادة كل من شاهده سبحانه، والمجاهدة إنما توصل الإنسان لأن يتأهل لحمل سر الشهود لا غير، وإلاَّ فنفس الشهود لا ينال إلاَّ بالفضل الخالص الذي لا يمتري فيه أحد لأنه ليس إلاَّ محض الامتنان ولا ينال بسبب أبداً. ويرحم الله من قال: «قد كنت أحسب أن وصلك يشترى» الخ. من موارد جمع مورد، وهو موضع الورود، الفضل هو سبب الدخول لحضرتك إذ هي لا تنال بالأسباب ولا تدخل بالاكتساب إذ غاية الاكتساب الوقوف بالبابْ، وأما الدخول فليس إلاَّ بكرم العزيز الوهاب، واحملني على سبيله، أي اسلك بي مسلكه الذي سلكته به في الوصول إليك وهو مسلك سبق العناية منك وتقدم السابقة لديك إلى حضرتك أي مقام الحضور معك بلا معية لأنه ليس معك أحد حتى تكون معه، وإنما المعية معه حكمة الصون بحيث يمزج الكل بالكل كما حملته هو مؤيداً منك بما سبق له من الفضل عندك بك فكنت السَّالك به إليك والدليل له عليك، فأغنيته بلا تعب وأعطيته بلا سبب، وأكرمته بما تنبو عنه وجوه الطلاب. حملاً مصدراً نوعي محفوفاً أي مشمولاً بنصرتك لأن المحفوف بنصرتك في السير إليك لا تقطعه عنك خطاطيف العوائق لكمال اقتدارك على دفعها عنه بشهود أنوار عظمتك الماحقة لكل ما تقع عليه مما عسى أن يقف على عين بصيرته إذا أرادت النظر إليك، والوقوف معك لا مع شيء سواك، واقذف أي إرمي بي بسبب تغطية وصفي بوصفك ونعتي بنعتك

حتى أكون نوراً من أنوارك مندرجاً في دائرة الاتحاد على الباطل الذي هو وهم الفرق في عين الجمع عند أهل الفناء في الله وَوَهْمُ الجمع في عين الفرق عند أهل البَقَاءِ بالله إذ لا وهم في مرآة العارف أبداً لأن المرتقي من مقام الفرق لمقام الجمع في بدايته وإن زال فرقه بقي غبش وهمه حتى يرسخ. والمرتقي من الفناء في الله إلى مقام البقاء وإن زال فرقه بقي عبش وهمه حتى يرسخ. والمرتقي من الفناء في الله إلى مقام البقاء وإن زال فناؤه بقي غبشه على مرآة سره حتى يرسخ فيه، فالبقاء إذاً فناء في بقاء، أو نقول: فناء عن فناء، أو نقول: حياة بعد موت أو بعث بعد وفاة، فالبقاء سير في الأثر ولكن مصحوب بأنوار البروز من عين الحقيقة فأدمغه أي أصيب دماغه، أي أَقتله وأزيله عن عين الجمع فلا أرى فرقاً وأزيله عن عين الفرق فلا أرى جمعاً، بل أكون جمعاً وفرقاً جميعاً وزج بي، أي أدخلني. ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

انــحــلــنــي الــحُــبُّ فــلــو زجّ بــي
فــي مــقــلــة نــائــم لــم يــنــتــبــه

في بحار الأحدية مبالغة في الوحدة وهي تقتضي محو السوى ولو على جهة التسمية التي طريقها الاستناد إلى الحقيقة وإضافة بحار إليها من إضافة المشبه به إلى المشبه بعد حذف أداة التشبيه على حد قول الشاعر:

والـريـح تـعـبـث بـالـغـصـون وقـد جَـرَا
ذهــب الأصــيــل عــلــى لــجــيــن الــمــاء

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين، أي الفضة. ومعناه والله أعلم، أي أدخلني في الأحدية التي هي كالبحار في تموجها بأمواج الاقتدار الكامنة في مظاهر الفرق حتى أكون ممزوجاً بنقطة التفريد ناظراً بعين الوحدة لِتَلْوين الجمال الذاتي على بساط التجريد، واقفاً مع الذات، غائباً عن الأسباب والآلات، وهو جذْبٌ محض، وانشلني أي أخرجني بسبب ذلك الزج في بحار الأحدية من أوحال، جمع وحل، وهو ما يعوق الإنسان عن السير مستقيماً إلى غرضه من طين ونحوه، استعير لما يعوق عن التفريد من مظاهر التوحيد، التوحيد الدال على الفرق باقتضاء الموحد والموحد ووجود العبودية المضادة

للربوبية من حيث الحكمة التي أوقفت فيها كثيراً ممَّن يظن القرب من حيث وجود البعد، ويعتقد الاتصال من حيث كمون الطرد وهو سلوك محض، وأغرقني في عين بحر الوحدة، أي بعد أن تزج بي في بحار الأحدية التي هي تجريد عن الأغيار وغيبة عن شهود الآثار وذلك جمع بلا فرق وحياة بلا موت، ولطافة بلا كثافة، وحرية بلا عبودية، وقدرة بلا حكمة، ووترية بلا شفعية، وأولية بلا آخرية، وظهور بلا بطون، ومعنى بلا حس، ودخول لبحر الحقيقة بلا غرق ومحصول ذلك الولاية الناقصة، وبسبب ذلك أكون مخرجاً من أوحال التوحيد التي تقتضي سلب الولاية جملة من حيث أنها فرق بلا جمع وموت بلا حياة، أسألك أن تغرقني في عين بحر الوحدة الجامعة لشهود الربوبية في الضد الذي هو العبودية، ولوجود الشفعية في عين شهود الوترية فأكون برزخ الأمرين ناظراً للعين في البين وأحصل على جمع الجمع الذي هو البقاء في الفناء، وتلك الولاية الكاملة حتى لا أرى بعين البصيرة التي هي محل سمعها لكونها ترى من حيث تسمع كما تسمع من حيث ترى، ولذلك أمكن منها شهود من هو في كل جهة ولا أسمع بسمع البصيرة الذي هو محل رؤيتها لكونها تسمع من حيث ترى كما ترى من حيث تسمع، ولا أجد في ظهور التكوين إلاَّ وجود التلوين بوجود الباطن في الظاهر والأول في الآخر، ولا أحس مبالغة في الشهود بغلَبة الباطن على الظاهر حتى أجد في الحس ما في المعنى بقوة الشهود وغلبة الوجد على الوجود إلاَّ بها.

ومعنى الكلام والله أعلم، أنه طلب من الله الغرق في شهود عين الوحدة حتى تكسو ظاهره وباطنه فلا يرى إلاَّ بها ولا يسمع إلاَّ بها، ولا يجد في وجدان الباطن إلاَّ بها، ولا يحس في الظاهر إلاَّ بها فهو بها ولها في حاليه ظاهراً وباطناً، وقد قال في الحديث: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» أو كما قال: واجعل الحجاب الأعظم أي عالم الكثافة الذي هو عالم الظهور المستمد من عين الصفات الموسوم بالحقيقة المحمدية وذلك لأن بشريته ﷺ روحانية سواه بل هي حياة روحانية سواه من الخلق. وانظر لوقوف جبريل عليه السلام دون مقام وقف فيه الرسول ببشريته. حياة روحي لأن حياة

الروح بالشهود والغيبة عن البعض غيبة عن الكل لأن حياة الروح بتمام شهودها لا يتم شهودها للحقيقة إلا برؤيتها لفرق الأشباح في جمع الأرواح، فهي من غير حجاب محجوبة ميتة ومع موجوده موصولة حية ولذلك كانت أرواح العوام بعد الخروج عن الأجسام في البرزخ ليست ممحضة للدنيا ولا للآخرة لكونها لم تشاهد عالم البطون. وكانت أرواح الخاصة في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش وذلك ليتم تنعمها بحبيبها في عالم الأشباح المقتضي كمال الربوبية بظهور الاتحاد في عجائب الأضداد المستمدة من عالم الصفات التي هي في الآخرة أشد حسناً وأوفر في التنعم بشهودها نصيباً، فالعوام بعد موتهم طوتهم الذات فهم بعد موتهم في بطون وخفاء لظهورهم في هذه الدار بوجودهم، والخاصة بعد موتهم نشرتهم الصفات فهم بعد موتهم في ظهور وسناء لبطونهم في هذه الدار بفنائهم عن وجودهم في شهودهم في الدارين فقد طلب شهود الفرق في الجمع الذي هو حياة الروح وتجليها في عالم الصفات. وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي أي وروح ذاته التي بعدت لشرف أنوارها عن أرواح الكل فلا تجتمع روحه مع روح أحد حتى يرتقي غيره عن مقام الروحانية بكثرة التصفية بالارتقاء في مقام النور الأصلي حتى يصل لمقام السر، وحينئذ يقع الاجتماع معه عليه السلام ولكن يكون بشبه اجتماع الأشعة بالأنوار، لا اجتماع الأنوار بالأنوار، لأنه عليه السلام لا يلحقه أحد أبداً لأنه أول المظاهر الكونية فإليه اندفع النور اللطيف أول مرة ثم جعلت المظاهر تندفع منه: عالم الذر فمن فوقه ومن دونه فليس وراء النور المحمدي إلاَّ النور الأصلي، فهو ناظر لعالم الجبروت بالرسوخ فيه، ولذلك استطاع أن يرى ربه بعين رأسه وكان منه قاب قوسين أو أدنى، ولم تنهدم بنيته لأنه عليه السلام لم يزل في عالمه الأصلي ولم يظهر للوجود إلاَّ خياله فتوهم من لا خبرة له به ظهور ذاته وليس كذلك ولذلك قوى أصحابه على رايته ولم يقو على ذلك سواهم بتحقيق الحق الأول المجرد عن عوارض الأشكال والحجب بما هو في التحقيق محض خيال يا أوَّل في آخريته بلا أولية لتنزيهك عن تقدم شيء عنك تكون بعده لانفرادك بالوجود.

يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبتُ الحدوث مع من له

وصف القِدَمِ، يا ظاهر في بطونه لأنه إنما ظهر بذاته لذاته في بطونه بذاته عن ذاته إذ ليس معه شيء يظهر له أو يبطن عنه، فهو ظاهر لذاته في بطونها عن ذاته. يا باطن في ظهوره لأنه إنما بطن بذاته عن ذاته في ظهوره بذاته لذاته لانفراده بالوجود في ظهوره وبطونه، فهو الظاهر لذاته في بطونها والباطن عن ذاته في ظهورها فهو هو ليس معه إلاَّ هو، تلطف في الظهور بالبطون من شدة الظهور بالحكمة حتى قيل إنه سواه وليس معه سواه من شدة تلطفه في الظهور. وتلطفه في البطون بالظهور من شدة البطون بالقدرة حتى رق معناه عن مدارك الأفهام حتى بقيت متحيرة من وراء سرادق العظمة والكبرياء عاجزة عن الإدراك في الحس والمعنى وفي جميع الأحوال، والعجز عن الإدراك إدراك ولكن حكمة القادر اقتضت الأول والآخر والباطن والظاهر.

اسمع يا سيدي، ندَائِي سماع القبول وأجِبْه إجابة بلوغ المقصد منك والمأمول بما بكرمك الواسع الذي سمعت به سماع إجابة ورضى حيث أبقيته عليه السلام في بقائه من بعد فنائه فكان النداء منك وبك وإليك، نداء عبدك ونبيك وشرفته باسم العبد الذي يقتضي جريانه على مختارك له الذي اخترته لجميع عبادك وهو إقامة العبودية بامتثال الأمر واجتناب النواهي، فكل من جرى عليها فهو جار على مختار الله له لا مختاره لنفسه، زكرياء حين بثَّ بين يدي ربوبيتك شكواه وأظهر فاقته لك ووهن قواه، ولم يكن شقياً بدعائك حيث كان دعاؤه بإذنك، ورضاك، وانصرني بك لك، أي قوِّني على اقتحام دوائر الحِسّ التي هي ظلال شمس الحقيقة حتى نصير شمسها لك لأن محصول الأمور منك ابتداء وبك دواماً وإليك انتهاء.

قال مقيده سيدي محمد بن العربي الدلائي عفا الله عنه:(1) ثم ظهر لي بعد أن استخرت الله تعالى أن أتمم الفائدة بشرح هذه الكلمات الباقيات إذ الشيء الكامل أولى من المبتور، فحديتها بإشارة خفيفة وعبارة لطيفة متطفلاً على أهل الخير وأقْحَمْتُ نفسي خلال هذين الإمامين، أعني المصنف والشارح

(1) في النسخة الأصلية هذا آخر شرح سيدي محمد الحرَّاق على الصلاة المشيشية. ومن هنا إلى آخره لتلميذه ومقيِّده سيدي الحاج محمد بن العربي الرباطي الدِّلائي.

رضي الله عنهما، عسى الله سبحانه وتعالى أن يفيض علينا من مَدَدِهِما أو بركاتهما ما يرقينا به إلى مراتب السعادة ويكرمنا من فضله بالحسنى وزيادة، فأقول وبالله أستعين:

قوله: وأيدني بك لك، طلب من الله سبحانه وتعالى التأييد بالله لله في بقائه ليكون منصوراً محفوظاً في جميع حركاته وسكناته حتى يكون أخذه بالله وتركه كذلك. والتأييد كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: عبارة عن تقوية البصيرة من داخل، وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج. فكأنه جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشيء في حقيقته وللرشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة السعادة وللتسديد الذي مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه، قال: ويقرب من التأييد الجامع لما ذكر، العصمة.

وقال شيخنا رضي الله عنه في حِكمه: «فالمؤيد بالمؤيد لا يغيب بالنعم ولا يفتن بالآلآم، واذكر أيوب وسليمان عليهما الصلاة والسلام» فإذا كان هذا حد التأييد ونتيجته فجدير أن يطلبه العارف الواصل لتكمل به نهايته وتحس به سيرته وسريرته. وقد قال مولانا سبحانه لنبيه عليه السلام وهو أعرف الخلق بالله وأكرمهم عليه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية 62] أيدك بنصره حقيقة وبالمؤمنين شريعة، أيدك بنصره باطنا وبالمؤمنين ظاهراً، أيدك بنصره معنى وبالمؤمنين حساً والله تعالى أعلم.

فطلب هذا الإمام رضي الله عنه أن يصرفه الله في الأكوان تصرف المؤيد المنصور يأخذ من كل شيء ولا يأخذه شيء لأنه لله لا لشيء دونه، وهكذا شأن الراسخين الكاملين وقد حقق الله سبحانه وتعالى رجاءه فيه، فقد أيده بالانقطاع إليه باطناً حتى أنه لم يركن إلى شيء من الدنيا أبداً، وأيده ظاهراً بتلميذه أبي الحسن رضي الله عنه الذي تفرعت عنه هذه الطريقة وصارت تنسب إليه وصار فيها إماماً مشهوراً. كل ذلك ببركة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه.

واجمع بيني وبينك جمع السلامة من شهود السوى والاستقامة إلى السبيل السوي، وهذا منه رضي الله عنه طلب لجمع الجمع، إذ الجمع في مقام البقاء

عبارة عن شهود الله في كل شيء بدليل قوله: بيني وبينك، فهو مثبت لوجود نفسه من حيث إثبات الله لها. وقد قال فيما سلف: وأغرقني في عين بحر الوحدة، إلى آخره، فكل ما ذكر من ثم إلى هنا كله كلام في البقاء بعد الفناء. وأما الكلام على الفناء فقط فهو قوله: وزج بي في بحار الأحدية، فراجعه إن شئت.

وانظر ما قاله شيخنا هناك رضي الله عنه، وإنما طلب جمع الجمع ليكون مجموعاً في فرقه ومفروقاً في جمعه فيعطى كل ذي حق حقه وذلك الكمال. ثم أكَّدَ هذا الجمع بقوله: وحل بيني وبين غيرك، لأن الأشياء كامنة في أضدادها فمن أدخله الله حضرة قدسه فقد طهره من دائرة حسه حتى ينتهي إلى الله صرفاً ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية 94] ولذلك قال رضي الله عنه بعد هذا التحصيل واللاإنتهاء ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: الآية 42] الله الله كرر هذا الاسم الشريف ثلاثاً ليشرب فم سِرِّهِ صفو ماءِ هذا الاسم الشريف وليلوح عليه من معانيه نور السر اللطيف ويتمكن من باطنه تمكناً مستقيماً ليس فيه اعوجاج ولا تحريف.

وقد قال الإمام البخاري، باب من كرر الحديث ثلاثاً ليحفظ ولينبه على أن الفناءات ثلاثاً، فناء في الأفعال، وفناء في الصفات، وفناء في الذات، أو الأولى تحصيل لمقام الإسلام، والثانية تقرير لمقام الإيمان، والثالثة شهود لمقام الإحسان. أو الأولى سير إلى الله، والثانية فناء في الله، والثالثة بقاء بالله والله تعالى أعلم.

ثم لما هاجر بروحانيته من مكة بشريته في هجرة مجاهدته إلى مدينة مشاهدته ناداه منادي الوصول ببشارته ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: الآية 85] فالعارف إذا رسخ في فنائه وشهوده رد إلى دائرة البقاء مبشراً بالفتح واللقاء فرحاً مسروراً مؤيداً منصوراً كما ورد أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة قال: «اللهمَّ إنك أخرجتني من أحب البقاع إليّ فأنزلني في أحب البقاع إليك»، أو كما قال عليه الصلاة السلام. فنزلت عليه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: الآية 85] فكان من نتيجة أمره

ﷺ لما كانت هجرته بالله ومن الله وإلى الله أن رده إلى مكة عام الفتح مؤيداً منصوراً، وقد أكمل الله عليه نعمه وأكمل دينه وأعلا كلمته وأظهر شريعته ولله عاقبة الأمور.

ولما كان العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره، ولا غنى له عن فضل مولاه، قال: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: الآية 10] فطلب من رحمة الله الخاصة التي يفيضها على خاصة خلقه ولذلك أسندها إلى المواهب الصرفة بقوله: «من لدنك» فطلب من الله المدد بدون واسطة ولا اكتساب ولا تفعل ولا أسباب إذ الواصل لم يبق بينه وبين مولاه حجاب.

أو تقول: لما أوى إلى كهف الكون عند الله صرفاً قال مثل مقالة أهل الكهف حين انقطعوا إلى الله صرفاً كما أخبر الحق عنهم بقوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: الآية 10] إلى آخر الآية، فكان من أمرهم أن أراحهم الله من تعب الدنيا وأدخلهم دائرة النوم الذي هو راحة حساً، وكما أراحهم بالنوم حساً من الأكدار كذلك أراح أرواحهم معنى من ملاحظة الأغيار، وقد قال عليه السلام: «راحة المؤمن عند ربه». فالعارف لا يطلب من الله إلاَّ قربه وشدة الأدب معه.

وقال شيخنا في حكمه: واطلب منه التأييد في المراد والتحصن به من موجبات البعاد.

وقال الإمام ابن عطاء الله: مطلب العارفين من ربهم الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية، إذ الأدب بقدر الاقتراب والحق لا نهاية له، فأدب العارف لا نهاية له، ولذلك قال ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه»، كل ذلك لما يلوح عليهم من عظمة الله وجلاله وجماله وعزّته وكماله. ولذلك لما عاين هذا الإمام رضي الله عنه من عظمة الله ما أورثه العجز عن الإدراك. اعترف بتقصيره بين يدي مولاه ولم يسعه إلاَّ التسبيح والتنزيه، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصَّافات: الآية 180].

فاعلم أنه لا يعرف الله إلاَّ الله، ولا يبلغ كنه وصفه الواصفون ولا يقدر

قدره العابدون ولا العارفون ولا يحيطون به علماً ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] ولما حقق الله رجاءه وكمّل مقصوده في هذه الصلاة الشريفة والوسيلة المنيفة ختم بهذه الآية كما ورد من الترغيب في الختم بها في كل كلام عجيب ودعاء مصيب، وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصَّافات: الآيات 180-182].

الفصل الثاني في شرح الحزب الكبير

للإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

قال رحمه الله:

أعوذ بالله من الشيطان، أي من كل شاطن عن الله وحسن الأدب بين يديه. الرجيم، أي المرجوم، أي الطريد الذي لا تطرد صورته ولا تكسر شوكته على الحقيقة بحيث لا يقرب الإنسان إلاَّ باستعاذته بالله وإلاَّ فيرد بأنواع العبادات وضروب الخيرات ولكنها ربما كانت له شبكة يصطاد بها الغافل من حيث أنه يبطلها له بواسطة العجب وضروب الوسوسة.

ثم قال: بسم الله الرحمٰن الرَّحيم ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعَام: الآية 54] إيماناً صادقاً. إنما بدأ الشيخ، رحمه الله، هذا الحزب بهذه الآية بسطاً لرجاء الداعي إذا دعا ربه بالأدعية الكائنة في داخل الحزب وإطماعاً في إعطاء سؤله إذا كان مؤمناً، وإن كان عاصياً فلا تحول المعصية بينه وبين إجابة من أوجب على نفسه الرحمة، الذي هو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين لأن غيره سبحانه لا يقدر على أن يوجب على نفسه الرحمة، لأنه إذا كثر ما يغضبه مع إمكان الانتقام نزفت رحمته ونفدت ولم تبق معه رحمة العَفو لاشتغال غضب النفس الصادر عن ظن احتقاره بما وقعت به مخالفة أمره بخلاف من بيده الأمر والنهي والفعل والترك، والخالق للكل والبارز في الجميع بقدرته فلا يحول بينه وبين إجابة الداعي ذنب وإن عظم لأنه إنما أوجب على نفسه الرحمة إشارة إلى أنه لا يترفها ذنب ولا تنفذ بِزلة. وانظر إجابته لإبليس مع تلبسه بمعصيتِهِ حيث دعاه بقوله: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية 14] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ [الأعرَاف: الآية 15] وأيضاً بإيجاب الرحمة يجد السائل حلاوة الإقبال على المتفضل جزماً لأن من وجد حلاوة الدعاء منع مرارة الحرمان ولا يجد السائل حلاوة السؤال إلاَّ في سؤال المعطي يقيناً وليس ذلك

إلاّ الله سبحانه ولذلك قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: الآية 60] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 186] قرب الإحسان لا قرب المكان إذ لا شيء مع من خلق الزمان والمكان بخلاف غيره فتجد سائله طائر القلب لا يجد للسؤال حلاوة بل يجد للسؤال مرارة ولذلك وقع النهي عن رده بجبر قلبه المنكسر، فقال: ﴿فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعَام: الآية 54] ولا يكتب الرحمة على نفسه ويوجبها إلاّ من وسعت رحمته كل شيء ولا تنقضي له رحمة وإن رحم جميع العالمين وغفر للعالم وإن عصاه كل واحد منه بمعصية العالم كله، ولا يكتب الغضب والانتقام، بل قال: إن عذابه يصيب به من يشاء.

وقال: إن رحمته سبقت غضبه، أي هي أعلا وأوفى منه أو كل غضب يقع من أرحم الراحمين تجد في طيه رحمة بل هي ظاهرة في شره ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا ﴾ [الأنعَام: الآية 54] عملاً سيئاً بالأصالة أو العروض ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الأنعَام: الآية 54] هو مفطور عليها من حيث الشهوة، وإلاّ فلا تدخل في البداية فطرة الإسلام ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ [الأنعَام: الآية 54] توبة إخلاص ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ [الأنعَام: الآية 54] من نفسه ما كان فسد منها ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ﴾ [الأنعَام: الآية 54] أي كثير المغفرة للذنوب وإن عظمت، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الأنعَام: الآية 54] ولا يعجزه ذلك لأنه ﴿بَدِيعُ﴾ [الأنعَام: الآية 101]، أي خالق الكل. وعبَّر بالإبداع عن الخلق إشارة إلى ما في ذلك من العجائب والغرائب وغاية الاتقان والإحكام والرونق، وذلك تقدير العزيز الذي لعزّته لا يُعترض ما يريده من الغرائب، العليم الذي لا يفوته حسن تدبير ولا رونق اختراع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ بواسطة الوالد بشهادة الواقع في الخارج ﴿لَهُۥ وَلَدٞ﴾ والولد لا يكون إلاّ مخلوقاً للغير ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ أي زوجة يمكن منها إنتاج الولد إذ لا كُفْءَ له لأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: الآية 11] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ والخالق لكل شيء لا يمكن أن تكون له الصاحبة ولا الولد إذ لا يماثله شيء مِمَّا خلق حتى يحصل الازدواج الذي عنه نشوء الولد، وأيضاً خلقه سبحانه لكل شيء يقتضي أنه منفرد بالاقتدار ومن كان كذلك فما حاجته إلى الزوجة والولد وكل ما يريد في طوق قدرته وطوع يده، أذليل يفتقر إلى نصرة الولد أمستوحش هو يحتاج إلى الأنس به

وبالزوجة، كما قال آدم عليه السلام، لأن الأوصاف الداعية للزوجة والولد كلها تنافي أوصاف الخالقية وتلزم أوصاف المخلوقية، كيف وهو سبحانه خالق كل شيء، فليس له وصف داع إلى الزوجة والولد ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: الآية 101] فلا يفوته معلوم مما خلق ولا يعجزه شيء مما يريد إبرازه إلاَّ إذا أراد تركه لحكمة منه سبحانه، وغابت علوم الخلق في علمه حتى صارت جهلاً فلا يقع بصرك على شيء من خلقه إلاَّ وجدت العقل لو خلي ونفسه لا يهتدي إلى تلك الصورة ولا إلى تخييلها في مرآته ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: الآية 102]، هذا تفخيم وتعظيم للمخاطبين كأنه قال سبحانه: هذا الموصوف بهذه الصفات المنعوت بهذه النعوت البالغة في الشرف ونباهة الشأن وعلو المرتبة وبُعد الدرجة إلى نهاية لا تدرك وغاية لا تتعقل هو ربكم، ومن كان كذلك فـ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: الآية 102]. ومن انفرد بالألوهية استحق خدمة العبودية ولا بد من الصدق والإخلاص فيها لأنه على كل شيء وكيل. ثمَّ لما أمر بالعبادة سبحانه ذكر ما تعظم به مهابته في قلب العبد من حيث أنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، فيقدره الناظر إليه قدره ﴿وَهُوَ﴾ مع ذلك ﴿يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، فلا يغيب عنه شيء، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ لاستتاره بمظاهر الفرق، ﴿الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية 103] الذي له الخبرة بكل شيء لظهور الأشياء له سبحانه وتعالى. لا تدركه الأبصار لتجليه فيها بالصنعة الحادثة والحادث لا يدرك القديم. أو نقول: لا تدركه الأبصار الكثيفة وهو لطيف. أو نقول: لا تدركه الأبصار الظاهرة وهو باطن وهو يدرك الأبصار لأنه قديم، والقديم يدرك الحادث. أو نقول: لأنه لطيف، أو نقول: لأنه باطن.

ولذلك قال: وهو اللطيف بحيث لا يدركه الكثيف، الخبير، أي العالم، بكل شيء بحيث يعلم الكثيف واللطيف، فاللطيف يفيد عدم إدراك الأبصار له والخبير يفيد إدراكه لها ولغيرها والله تعالى أعلم.

(الر كهيعص حَم عسق).

ثم استظهر الشيخ رحمه الله بألف الأحدية، ولام الألوهية، وراء الرحمانية، وكاف الكرم، وهاء البهاء، وياء الحياة الحقيقية المقتضبة من

وَحَاءِ اسمه الحي، وعين العِلْم وَصَاد الصدق في الوعد، وحاء الحَليم والحميد وميم المهيمن والملك، وعَيْن العليم، وسين السميع، وقاف القيومية، والقهار والقدير والقوي على نفي الخواطر المقتضية لوجود شيء معه سبحانه الحاكمة بسبب ذلك بالباطل المحض الذي لا شبهة من نسبة الحق فيه لأن الموجود الحقيقي لا بد أن يكون موصوفاً بهذه الصفات منعوتاً بهذه النعوت، مسمى بالأسماء التي تقتضيها هذه النعوت، ولم يكن بهذه الحالة إلاَّ الله سبحانه ولذلك أعقب ما ذكر من فواتح السور الدالة على ذلك الكامن فيها سر الربوبية المذكور الذي به تأتَّى تكوين الموجودات كلها، الداعي إلى بطلان ادعاء وجود شيء معه لانفراده بذلك بشهادة ما في نفس الأمر بقوله: ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: الآية 112] بيني وبين الخواطر التي تناجيني بما هو باطل من وجود السِّوَا ولا يمكنني إبطال ما تدعيه إلاَّ أن تنجيني أنت من ذلك بظهور نورك لعين البصيرة التي يضمحل بين يديها كل شيء سواه ولا يوصل لذلك إلاَّ بطلب العون منك وحصول إجابة الفضل المحض الذي ليس موقوفاً على العلل والأسباب، ولذلك أتى بهذه الآية بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: الآية 112] فقال رداً على الخواطر المتباطلة: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 112] من الباطل المحض والشبه الخيالية التي لا حقيقة لها ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه: الآيات 1-3] ثم لما لجأ إلى الله سبحانه في مَحْوِ السوى الذي ليس له باب إلاَّ الفضل المحض والكرم الخالص الذي لا سبب له إلاَّ حسن السابقة لعله خطر بباله رضي الله عنه خاطر ابتعاد ذلك منه فرد عليه بوجود هذا الفرد الذي خاطبه الحق سبحانه بطاء الطهارة من وجود سواه التي هي محو محض وهاء البهاء الذي هو سلوك في عين الجذب وهو نفس الكمال ولا كمال في ذلك ككماله فيه عليه الصلاة والسلام وأنه وهبه ذلك القرآن المنزل عليه الذي لا يتلقاه إلاَّ من كان في أعلى طبقات الشهود لا بقصد أن يتعبه ولا أن يشقى بشده هواجس الكفار وأباطيلهم وإنما قال ذلك بقصد التذكرة لا غير، وعلى الخصوص لمن تأهَّل لذلك بوجود خاصية الخشية فيه التي هي بحكم سابقة الخير وتقدم العناية ولذلك أتى بأوائل سورة طٰه الدالة على أن الله سبحانه لا يمنعه مانع من أن

يؤتيه الولاية بسابق العناية وتقدم السابقة من غير أن يتوقف ذلك على أمر من الأمور لأنه يؤتي فضله من يشاء، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: الآية 8]، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآيتان 4،5]، لما ذكر الشيخ رحمه الله منة الله سبحانه على رسوله عليه السلام لاح له ما في القرآن من بدائع الحكمة وغرائب الأنوار فاستشعر قوله تنزيلاً ممن خلق الأرض واتسع في نظره شمول النور للأرض والسماوات ثم ترَقَّى في الشمول إلى استوائه سبحانه على العرش الأعظم المحيط بجميع الموجودات كلها الذي منه مادتها وأصلها بدون مماسة ولا حلول إذ العرش غير قائم بنفسه بل قائم بربه، فكيف يقال بالحلول وعموم القيومية أوجب افتقار كل شيء إليه، فكيف يفتقر هو إلى شيء بل الرحمانية العامة التي هي وجود كل شيء أوجبت استواءه سبحانه عليه بالوجود ولولاها لم يكن له وجود، ولذلك قال تعالى خطاباً للنور العام عليه السلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية 107] وانظر آخر كلام الحكم العطائية. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه: الآية 6] أي الأرض جميعها ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ [طه: الآية 7] تأتي به جهراً فإنه يعلمه ولا يقتصر في علمه على ما كان جهراً ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ [طه: الآية 7]، أي ما يؤتى به سراً ضد الجهر ﴿وَأَخْفَى﴾ [طه: الآية 7] من ذلك كخطرات القلوب وهواجس الضمائر ﴿اللَّهُ﴾ [طه: الآية 8] أي الذات العلية الجامعة لأنواع المحامد الغنية عن كل ما سواها بنفسها المفتقر إليها كل من عداها افتقاراً ذاتياً بحيث لا يندفع عنها أبداً ﴿لَا إِلَٰهَ﴾ [طه: الآية 8] معبود بالحق، أي يستحق العبادة لذاته ﴿إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: الآية 8] المقتضبة من الصفات الحسنى المتصفة بها الذات، أي الحقيقة الحسنى، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: الآية 8] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: الآية 8] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: الآية 8] (3مرات). وحيث كمل في نفسه ذهاب الخيالات الباطلة وتيقّن مَحْو السوى أتى بهذه الآية الدالة على انفراده سبحانه بالألوهية وتسميته بالأسماء الحسنى المقتضبة من الصفات المقتضية لافتقار كل شيء له سبحانه وغناه عن كل شيء، وكرر ذلك استلذاذاً ليشرب قلبه بترجيع ما يؤذن

بكماله سبحانه في أسمائه وصفاته إذ ليس له اسم يطابق اسم سواه لأن أسماءه تعالى مقتضبة من الصفات القديمة التي باينت صفات الغير فتعيَّن أن تكون أسماؤه مغايرة لأسماء سواه لاضمحلالها في أسمائه كما اضمحلت الصفات جميعاً في صفاته، كما اضمحلت الحقائق والذوات في حقيقته وذاته، فتعين انفراده بالذات والصفات والأسماء سبحانه وتعالى لأن الحادث ذاتاً كان أو صفة أو اسماً يضمحل بشهود القديم ذاتاً وصفة واسماً.

وقد قال في الحكم: يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحدوث مع من له وصف القدم، اللهمَّ يا الله الذي أناديه نداء البعيد منه بالياء لبعدي منه بوجود الغفلة عنه لا لأنه هو البعيد بل هو أقرب إليّ من حبل الوريد، إنك أكد الخبر زجراً لنفسه وإيقاظاً لجَأْشه تعلم استمراراً ودواماً لإفادة المضارع ذلك والتجرد في حقه سبحانه محال، والمقام محرز ودال على المعنى المراد، أنِّي بالجهالة التي تؤدي صاحبها الموصوف بها لسوء الأدب بين يديك ظاهراً بمخالفة الشرائع وباطناً بوجود الغفلة في نفس الطاعة فضلاً عن المعصية التي هي محلها معروف على الحقيقة لأن ذلك مركوز في فطرة البشر إلاَّ أن يعصمه الله سبحانه وذلك على سبيل الإجمال والتفصيل، وأنت بالعلم الذي يحيط بجميع المعلومات ــ ما بطن منها وما ظهر وما علم الإنسان من نفسه وما لم يعلم ــ موصوف لأن أحداً أنما يبلغ من كونك عالماً أن يصفك بالعلم لا أنه يبلغ إلى معرفة حقيقة علمك المتعلق بذاتك ﴿تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾ [المَائدة: الآية 116]، ومع ذلك أنت علام الغيوب انفراداً دون من سواك ولا يعلم القديم إلاَّ القديم، وقد وسعت، أي أحطت إحاطة من يعلم الأشياء على الحقيقة ودخلت في فسيح علمه المحيط بكل شيء كل شيء من جهالتي التي تفضي لسوء الأدب الواقع مني صدوراً ناجزاً وما أنت مطلع على وقوعه مني وقد عدمني مما هو باطن في علمك ولم يبرز لعالم الشهادة لعدم وجود زمانه المقدر له بعلمك المحيط بالواقع الآن وما يقع لأنه علم واحد نسبة الأشياء إليه سواه لأنه قديم والقديم لا يتغير ولا يتنوع بتنوع المعلومات لعدم تفاوتها في نقله بها فسواء الظاهر والباطن، والواقع من الكائنات وما سيكون والتنويع انتقال من معلوم لآخر فلا تنويع في علمه سبحانه لأنه متعلق بالأشياء

تعلقاً واحداً فهي منكشفات له انكشافاً واحداً على السواء من غير تفاوت فسع ذلك المذكور من الجهالة وما ترتب عليها برحمتك التي وسعت كل شيء فلا نفاد لها لأنك كتبت وأوجبت على نفسك الرحمة في كل شيء فما من شيء إلاَّ وفيه رحمتك ولو بوجوده بعد أن كان عدماً، ورحمتك العامة للبر والفاجر بعد ذلك أظهر من أن تخفى. أما في ما يلائم الطباع فالأمر ظاهر، وأما ما لا يلائم الطباع فكذلك لمن تأمل لأنه إما أن يكون زجراً وإما أن يكون ترقياً.

ويظهر من كلامه رحمه الله أنه طلب الرحمة التي تلائم الطباع لقوله: واغفر لي الخ. وإنما قدم قوله: إنك تعلم الخ، على سؤال المغفرة تمهيداً لقبول الدعاء وسرعة الإجابة من حيث معرفته بذلك تلويحاً لعذره من جهة القدر بسطوة الربوبية الحاملة على المصادر كلها. ثم عقَّب ذلك بما هو أبلغ في العزة والسلطان وكمال الاقتدار ونباهة الشأن، وذلك قوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26] كما وسعته بعلمك، واغفر لي إنك على كل شيء من الكائنات أياً كان، قدير فلا يتعاظم على قدرتك شيء ولا يتعاصى على إرادتك أمر لأن القادر على كل شيء لا حجر عليه في شيء، ولو حجر عليه شيء لكان قادراً على البعض دون البعض كيف وهو القادر على كل شيء. وإذا كان الحق سبحانه بهذه المثابة وهذه الرتبة من القدرة وسبيل المغفرة للذنب فلا يثقل عليه الأمر ولا يؤوُدُهُ وإن عظم في عين صاحبه فلا يعظم عنده سبحانه شيء وتصغر في عين العظيم العظائم.

يا الله أي يا من هو ذات موصوفة بجميع المحامد، يا مالك على الحقيقة بحيث يعطي بلا ضجرٍ ولا توقف على إذن، يا وهاب يا كثير الهبة والعطاء للمطيع وسواه لعموم رحمانيته، هب بدون شيء أتوسط إليك به لأنه فقير إليك وكيف أتوسل بما هو محال عليك لنا من نعماك الظاهرة والباطنة، ما علمت بعلمك القديم لنا فيه رضاك عني وإن سألتك شيئاً وأنا جاهل بكمون سَخْطكَ فيه فلا تهبه لي ونجني منه فإنك العالم على الحقيقة بما فيه الرضى والسخط، واكسنا، أي اكسُ عقولنا بأنوار القرب منك الموجب للافْتتانِ بك حتى تكون كسوة جامعة لأدب الظاهر والباطن، وهي كسوة تقنا بها من الفتن عنك لرسوخ

القلب في الاستغراق الحاصل له في شهودك مع القيام بما يقتضيه المقام من الأدب الظاهر في جميع عطاياك الدنيوية والأخروية والظاهرة والباطنة. وقدسنا، أي نزّهنا وارفعنا عن كل وصف يوجب نقصاً في نفس الأمر وإن كان بحسب الظاهر كمالاً في عين الموصوف به كالطاعة في عين المعجب بها والتوحيد في عين من لا يثبت بالدليل الضد، وهو، أي الدليل، عين الضد لأن من ليس برب ضد للرب ولا تجتمع الربوبية والضد في قلب مخلص أبداً، نعم المخلص يثبت الضد قالباً لا قلباً، صوناً لسر الحكمة لا غير، وإلاَّ فقد كان الله ولا شيء معه والقديم لا يتغير فهو الآن على ما كان عليه لأن كان بالنسبة لله سبحانه لا تكون لإثبات النسبة بين المسند والمسند إليه في الماضي فقط دون الحال والمستقبل، كما يقال: كان زيد قائماً، بل كان بالنسبة لله تعالى إنما تدل على تأكيد ثبوت النسبة كقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النّساء: الآية 134] أي ولم يزل كذلك مما استأثرت، أي خصصت به نفسك في علمك الذي هو صفة قديمة ينكشف بها المعلوم على ما هو به من غير غلط ولا وهم ولا شك ولا جهل بقلب الحقائق عَمَّن سواك، يا الله الجامع للأوصاف المحمودة جميعاً على وجه التحقيق والأسماء العُلَى. يا علي الرتبة، يا عظيم المنزلة، يا علي يا كبير القدر والدرجة، الحقيق بأن تسأل منه المطالب العظام والمسائل التي لا يسمح بها جواد ولا كريم سواه، نسألك الفقر، أي الغيبة عما سواك مما سواك ذاتاً وصفة وفعلاً، وهو من أجل ما يسأل المحب الحقيقي الذي فنى في محبوبه عمن سواه حتى لم ير إلاَّ هو، والغِنَى بك وجوداً حتَّى لا نشهد في الحقيقة إلاَّ إياك لأن كل ما سواك باطل محض لا وجود له في التحقيق لأن الموجود حقيقة لا ينعدم. وأيضاً الموجود بغيره لا وجود له فنحصل على الغنى الأكبر الذي يرفع همتنا عن النظر لشيء سواك مع دوام ذكرك والانحياز إليك والابتهاج بشهودك. والطف، أي إرأف، إلاَّ أن اللطف أدق من الرأفة باعتبار الإدراك، لأن لطف الله بالعبد كم مرة يدق عن فهمه فلا يدركه حتى يظن أنه غير ملطوف به وهو ملطوف به لو فهم بنا فيهما أي في الفقر مما سواك والغنى بك لطفاً مخصوصاً وهو الذي علمته يصلح، أي يليق لمن والاك، اختص بك وهو الذي له سطوة الاجتهاد في القيام بحقوق الشرع حتى رسخت الخدمة فيه فلا ينفك

عنها وإن صادمته أنوار الحقيقة، وهو الذي يصلح للإمامة والاقتداء به ولا يوجد ذلك غالباً إلاَّ في أئمة علم الظاهر الذين اختارهم الله لحضرته، وأما من سواهم فربما صادمهم شهود الحقيقة فغابوا عن أدب الشريعة. واكسنا، أي غطنا جلابيب، جمع جلباب، وهو ما يقع به التستر، وعلى الخصوص الذي يستر الإنسان من الوقوع في المهالك ولذلك قال: جلابيب العصمة من سوء الأدب في ذلك لأن لشهود الحقيقة اصطلام بسط لا يقف معه على حدود الأدب الذي جاء به الرسول إلاَّ قليل، ولذلك فسدت حقائق كثير ممن لم يصل إلى التحقيق ببلوغ مقام البقاء الذي تظهر فيه معالم الشريعة من عين الحقيقة إذ الشريعة صنعَة الصانع وحكمة الحكيم في الأنفاس، جمع نفس، وعبر به عن الزمن اليسير جداً أو الأحوال واللحظات لأن مرور الزمان في نفس أو لحظة من العارف في الغفلة عن الحضرة لا يهون عليه بملك الملوك قاطبة ولا بِعُمُر الدنيا والآخرة، إلاَّ إنْ قهرَ على ذلك فهو يسلم المقدور ويتمسك بحبل العزيز الغفور، ولكن الدية على القاتل فيرجع إلى مولاه بالتوبة والإنابة إظهاراً لحق الربوبية على العبودية وقياماً بالحكمة الإلٰهية وإلاَّ فحضوره مع ربه في عين المقدور لا يمكن منه شهوة ولا ينقض طهارته من السوى. واجعلنا مع ذلك عبيداً حتى نكون قائمين بوظائف الشريعة التي وسمْت بها مظهر العبودية لأن من كان سيره في دنياه بقانون الشرع هو باختيار ربه لا باختيار نفسه، فهو في ظاهره عبد مسَخْر باختيار سيده فهو عبد في جميع الحالات.

ومن أدب الشريعة الرسوخ في الحقيقة، ومن أدب الحقيقة إظهار الشريعة التي بها كمال الحقيقة وإظهار عزة الربوبية. ولا يكون عبداً في جميع الحالات إلاَّ من جمع بينهما. لك، أي متعلقين بك لا بغيرك في جميع الحالات ولا نتعلق بغيرك في حال من الأحوال لأن المتعلق بشيء بسبب محبته له فهو له خَديم وعبد وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً.

وعلمنا من لدنك، أي من عندك، بواسطة أو بدونها، علماً نافعاً لنا نصير به كاملين كمال المقربين إليك الراسخين في معرفتك بالجمع بين الحقيقة والشريعة في المحيا بمعرفتك والقيام بوظائف العبودية بين يديك والممات

بالثبات على تفريدك وسطوع أنوار شهودك الجالب لكل خير والمانع من كل شر إنك على كل شيء قدير.

اللهمَّ أنت الحميد، أي المحمود، وهذا كالتوطئة لقوله: تعلم فرحنا الخ، فهو يشير إلى الحمد الواقع على فرح العبد بربه بِالله الرب المجيد البالغ من الشرف وبُعد الدرجة في الكمال نهاية لا يمكن الوصول إلى قربها فكيف بها في خاصة نفسها وهو يشير إلى أن من بلغ الغاية في الشرف وهو المعبر عنه بالمجيد، يعطي الأشياء التي لا يتصور العقل إعطاءها كالمعرفة بالله وإشراق أنواره ورفع الحدوث بالقدم، ثم إثبات الحدوث في عين القدم الفعال لما تريد لأن الذي يفعل ما يريد لا يمكن أن يكون إلاَّ موصوفاً بكمال الاقتدار، وأن الكل تحت ولاية نظره وأمره ونهيه، وأنه انفرد بالحمد استغراقاً وبالمجد كذلك فهو وصف كاشف له وشارح لما قبله ومنطبق عليه تعلم فرحنا بماذا أي بأي سبب ولماذا أي ولأي علة، وعلى ماذا وقع من منازل أسرارنا يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى أن فرح العارف بالله إنما هو من أجل شهوده والنظر إليه وليس له فرح غير ذلك، وقبضه وحزنه إنما هو من جهة غيبته عنه ووجود الحجاب بينه وبينه، والجميع سر مكتوم بين العبد وربه ولا يظهر للعبيد ولذلك أسند علم ذلك من العبد إليه سبحانه وتعالى، فقال: تعلم فرحنا، الخ، وتعلم حزننا كذلك أي بماذا ولماذا وعلى ماذا وقد أوجبت وقضيت قضاء حتماً بحيث صار كالواجب، فلذلك عبر بقوله: أوجبت كون أي وقوع ما أردته وشئته فينا واقعاً من خير وشر على حسب ما اقتضته المشيئة ومِنَّا من عمل صالح أو طالح. ولا نسألك أي نطلب منك على وجه الضراعة والخضوع دفع أي عدم وقوع ما تريد من ذلك لكونه قضاء محتماً. فسؤالُ دفعه سوء الأدب معك ووجود الاعتراض بين يديك ومع ذلك فهو شيء لا يجدي ولا ينفع لسبق القضاء به ولكن نسألك أي نطلب منك التأييد والنصر عند الامتحان بنزول ما يخالف ملائمة النفوس وسورة الشهوات بروح وسكينة في القلب من عندك بنفسك دون واسطة مُقتضية لوجود الغيبة عنك فيما تريد في حالة الضيق بالصبر، والسعة بالشكر، وفي حالة الإساءة بالتوبة والإنابة، وفي حالة الإحسان بشهود المنة منك، ولكن ذلك كله مع شهود الواقع منك وإليك لأن

الفرح مقرون بشهودك والحزن مقرون بعدم ذلك. وأما وجود المقضي مع شهود وقوعه منك فلا أثر له في فرح ولا حزن لأن ذلك عند العارف أمر أوجبته وقضيته فيه فهو بنظرك في أحواله كلها لرضاك عنه فيها بتأييدك له ولعدم سوء الأدب معك في شيء من ذلك فإذا قضيت له بالإحسان وفقّته لشكرك، وإذا قضيت عليه بالإساءة بجهالته المركوزة في فطرته أيدته بالإنابة الماحقة لذلك، فهو بخير على كل حال ظاهراً بأحكام الشرائع وباطناً بشهود الحقائق فلا يتألم لقضاء بسطك له في أحواله كلها بفضلك وكرمك ومن ثم ظهرت فيه خصوصية الفضل الذي لا يتوقف على عمل عاملٍ، ولا يدرك بوجود خدمة لأنه لا ينال بذلك بشهادة فريقي أهل الظاهر والباطن كما أيدت، أي نصرت، أنبياءك، جمع نبيءٍ، من الإنباء الذي هو الإخبار أو النبوءة التي هي الرفعة. والنَّبيءُ: ذكر بالغ أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه بخلاف الرسول فمأمور بالتبليغ ورسلك المطلوب وجود المشاركة في مطلق التأييد اللدني بسابق العناية من غير كلفة وإلاَّ فتأييد الأنبياء والرسل بالعصمة بخلاف الأولياء فبالحفظ فقط وخاصة الصِّديقين، أي المبالغين في الصدق معك من خلقك وهم الذين أيدوا بلا كلفة كتأييد الأنبياء والرسل وإن كانت رتبتهم في ذلك عندك دون رتبتهم ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26] لا يعجزك شيء ولا يتمنع عليك مطلب.

﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ﴾، أي خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، أي الأرضين السبع، ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ﴾، أي ما غاب عن العقول والحواس من أمور الدنيا والآخرة ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، أي ما يشاهد من ذلك بالحواس والعقول المستنيرة بقوة الإيمان أو وجود الإيقان، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ حكم العزيز المقتدر العدل في جميع ما يحكم به لتحقيق علمه بجميع الأشياء واقتداره عليها فلا يفوته شيء مما يريد ﴿بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ [الزُّمَر: الآية 46] بالإعطاء والمنع والذل والعز والفقر والغنى والقرب والطرد والسعادة والشقاوة وغير ذلك من الأضداد، فهنيئاً لمن عرفك معرفة الشهود والعيان لأنه إذا أضاءت بصيرته بأنوار ذاتك وغاب عن حسه في معناك صار غنياً بك عن كل شيء لأن نورك إذا ظهر لعقل لم يبق له جهة ينظر منها إلى سواك فيسر به أو ينقبض منه فقداً ووجوداً لإحاطة نورك بالوجود في الوجود فهو غائب عن مضرَّة الأعداء ومنفعة الأحباء بسطاً وقبضاً فلا يصل إلى

عقله شيء من ذلك كله، فتجده إذا قضيت عليه بين عبادك رضي بقضائك وابتهج بفضلك أياً كان لعدم ميله إلى قضاء دون قضاء وعدم ترجيحه لفضل دون آخر. وقيل للذين اتقوا شهود غير الله: ماذا أنزل ربكم، قالوا: خيراً. وذلك لأن الحق أسند الإنزال إليه وأفعاله سبحانه اقتضتها حكمته دون علة ولا سبب حتى تُكَدّر العارف وحيث يرى العارف التصرف منه وحده مع أنسه به ومؤالفته له فلا يستوحش عند شهود تصرف من شيء يراه لأن الشاهد إنما هو الحبيب الذي طاشت نفسه إليه وفنيت في محبته فلم يكن لها ظهور معه وكل تصرف يشاهد من الحق سبحانه لا يكون معه جَزِعَ بخلاف ما إذا شوهد التصرف من العبد كما عليه أهل الغفلة عن الله فإنه يحصل معه الجزع والخوف وذلك لأن المشاهد للتصرف من العبد هو متوغل في الحس الداعي إلى اللائح بخلاف المشاهد للحق فهو غائب عن حسه مستأنس بالله وإن ظهر عليهم خلاف الفرح والبسط بقضاء ظاهراً فذلك من رد الله لهم إلى حدود البشرية ليرقيهم في مدارج كمال العبودية بظهور إشراق أوصافها المحمودة عليهم من الصبر واحتمال الأذى وكظم الغيظ وشدة الحلم وسعة الرحمة وقوة الثبات وعدم الطيش إلى غير ذلك من أوصاف العبودية المحمودة وإلا فهم جلساء الرحمٰن حيث لا زمان ولا مكان، والويل الكثير لمن لم يعرفك بوجه من الوجوه فهو بك جاهل محض لم يبتهج بشهودك ويتلذذ بإشراق بصيرته بأنوار معرفتك وإن تكلف الصبر على قضائك لأن الغافل إذا رام أن يغسل عقله من ألم الكدر بشهود أصل القضاء منك أظلم عقله واشتد كدره من حيث بروزه ممن هو عبد من جنسه لأنه بسببه وهو مع ذلك قاهر له والعبد لا يرضى بوطئة العبد مثله فيؤديه ذلك إلى عدم الرضى قبله إذ ذاك الويل، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ذاتاً وصفة وأفعالاً واعترف بأنك الفاعل وحدك لقيام الدليل عنده على ذلك إما بواسطة التقليد، وإما بمباشرة إقامة الدليل والبرهان، فهو على كل حال مقر بالوحدانية بوجه من الوجوه ومع ذلك لم يرض بأحكامك بل يتسخطها بالود، إنك لو فعلت غيرها مما هو ضد لها فيكون في هيئة المعترض على الفاعل المختار أو يتسخط القضاء من حيث شهوده من الأسباب فيتعرض وهو في التحقيق من الله.

اللهمَّ إن القوم قد حكمت عليهم بالذل وحصول التواضع من ظهور هيبة النور البارز من عين الذات حتى عزوا في أعين الناس بما كمن فيهم من النور وإن ظهر عليهم أثر الذل ظاهراً فليس في الحقيقة ذلاً لأن ذلّ العبودية في عين شهود الربوبية عزّ وافتخار من غير مبالاة بملبس ولا بمأكل لسقوط الكل من أعينهم بدلال العزة وتيه الرتبة العالية، أو نقول: حتى عزوا بك في أنفسهم وحصل لهم من علو الرتبة ما حصل بهم في الحقيقة وعين التوفيق محجوبون عنك بقربهم وحكمت عليهم بالفقد أي فَقْد الوجود كله حيث رقيتهم عن اتباع الهوى وشهود السوى حتى وجدوا وغابوا في لذة السكر بخمر الشهود فهم وإن أفضى بهم الأمر إلى فضاء الشهود لكنهم غابوا في لذّة ذلك فلهم استلذاذ في الجملة هم به محجوبون عما فوق ذلك من الصحو في حين السكر الذي يقتضي حسن الأدب بالقيام بأعباء ما يقتضيه المقام فهم مع ربهم لا مع الالتذاذ بربهم، فأهل الشهود فريقان، بعضهم هو مع لذة الوجد وبعضهم هو مع موجده غائب فيه عن الالتذاذ به، فكل عز يظهر علينا بين الخلق الذي لا بد منه لكل من وضع له القبول في الأرض لمن أحبه الله سبحانه كما في الحديث الكريم يمنع شهُودنا لكَ دونك، أي قبل وصولنا لشهود أنوارك فنسألك بدله ذلاً وتواضعاً ومنعة تصحبه لطائف رحمتك من حيث عدم الحجاب به.

وإنما قال الشيخ رحمه الله ذلك لأن الحجاب كما يكون بالعز كذلك أيضاً يكون بالذل، وإن لم يكن للنفس فيه حظ بخلاف العز فالنفس لها فيه حظ فقد يستلذ ذل كمن فيه العز فيصير حجاباً ولذلك قال: تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد وطرب بشهود أنوارك يحجب عنك أي عن الغيبة في الذات المبطل بجميع الملذات بالوجد أي بالالتذاذ به والفرح بحصول المرتبة عندك، فنسألك عوضه فقداً لهُ أي لذلك الوجد الذي يحصل بالالتذاذ به وجود الحجاب عنك فنفقده بالغيبة في شهود ذاتك فقداً تصحبه أنوار محبتك لنا حتى نكون مؤيدين بتأييد محبتك لنا لأن من أحببته منعته بحكم القاهرية من أن يحجب بشيءٍ عنك، وإن كان في طوقه ذلك، لكن تمدُّ عليه سرادق الفضل والمحبة فلا يجد إلى تعاطي ما يحجبه عنك سبيلاً، فإنه أي الأمر والشأن، الذي لا تبديل فيه لكونه حكم حكيم قاهر لا رادَّ له ولا دافع له قد

ظهرت السعادة ظهوراً بيناً لا خفاء فيه على أحد ولا غبار عليه عند أحد لأن تسخيره بين رتبته عندك للناس قاطبة فضلاً عما عنده في نفسه بحيث لو أراد إخفاء ذلك عن الخلق لم يمكنه لتوجه أنوار باطنه في قلب كل من يراه على من أحببته حباً غيّبته به عن وجوده في وجودك وعن وصفه في وصفك، وعن ذاته في ذاتك، فكان بك بذاتك ولك بصفاتك، فلم تدعه في عالم البطون والظهور مملوكاً لغيرك لكونه مغلوباً على شهودك في الحالتين، فهو إذاً مملوك لك وحدك ولذلك كان عبداً لك لا غير وظهرت ظهوراً بيّناً أيضاً لأهل الحق، الشقاوة أي الشقاء الذي هو ضد السعادة على من غيرك ملكه فصار محبا له ومقبلاً عليه حتى غاب عن شهود أنوار ذاتك بشهود شيء سواك لأن العقل إذا توجه لشيء لم يكن له نظر لغيره فيصير إذاً مملوكاً لذلك الشيء المنظور إليه خصوصاً لأنه لا يدعه ينظر لغيره.

فإذا كان نظره لله كان مملوكاً لله وحده، فهو عبد الله، وإذا كان نظره لغير الله كان مملوكاً لغيره فهو إذاً عبد له. والملك لله من موارد السُّعداء عنده لأنهم لله لا لشيء، والملك لغيره سبحانه من موارد الأشقياء، ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: «فهب لنا من مواهب السعداء التي وهبتها لهم».

لأن المواهب التي يهبها سبحانه للسعداء هي من مقتضيات المحبة الصادرة عنها بخلاف موارد الأشقياء، واعصمنا أي احفظنا، من موارد الأشقياء جمع شقي، وهو من تقدمت له سابقة السوء، نسأل الله السلامة والعافية، أي واحفظنا من كل مقام أوردت الأشقياء بالموارد منه. ويحتمل أن يكون عبر عن الورود الذي هو كالإقدام على الشيء أو عن الورد الذي هو أبلغ بطريق اللزوم لأنه دال على تعاطيه بالفعل والكل صحيح، ويحتمل أن يكون جمع مورد ويبقى بمعناه، ويحتمل أن يكون بمعنى الورود فيكون المعنى على الأول أي: اعصمنا من المواضع التي وردت الأشقياء منها، وتلك موارد الطرد والبعد من حيث كونهم ملكاً لغيرك إذ جعلوا نظرهم إليه وعلى الثاني أي اعصمنا من أن نرد من مورد الأشقياء ونشرب شربهم من شراب الشقاء والعياذ بالله.

اللهمَّ إنَّا قد عجزنا، أي وقفنا، عن دفع درء الضر ولا ضرر عند أرباب الفن أعظم من الفتنة عن الله فهو الذي عناه الشيخ، ويحتمل أن يريد ما هو أعم منه ومن الحاصل للجسم في الشاهد لأن الكل معجُوز عن دفعه إلاَّ أن يشاء الله دفعه عن أنفسنا، أي عن ذاتنا وحقيقتنا من حيث نعلم أنه يندفع فإن نرد دفعه فلا نجد إلى ذلك سبيلاً بما نعلم من ضروب الطاعات وأنواع العبادات بالنسبة إلى ضرر الحجاب الذي عنه تنشأ الفتنة عنك حتى لا نشاهد أنوارك وبالنسبة لغير ذلك من أنواع المعالجات فكيف لا نعجز عن ذلك، أي عن دفع الضر المذكور من حيث لا نعلم أنه يندفع به لجهالتنا بما لا نعلم ونتحقق دفعه به لأن كشفه موكول إليك. وكيف لا وقد قلت وقولك الحق وكلامك المصدّق: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعَام: الآية 17] فيبطل بذلك ما نعلم وما لا نعلم وتمكن العجز عن الدَّفع بكل وجه وعلى كل حال وقد أمرتنا بالطاعة وما يقربنا إلى العلم بك المعبر به عن الوصول إليك ونهيتنا عن المعصية وكل ما يوجب البعد عنك، أو يقال: وقد أمرتنا بما يوجب المدح طاعة، وذلك فضل، ونهيتنا عن ما يوجب الذم معصية، وذلك عدل. والمدح على الخصال المحمودة الموجبة لرضاك والذم على الخصال المذمومة الموجبة لسخطك، ألزمتنا إلزام فاعل مختار لا يسأل عما يفعل لأن الكل منك وإليك، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية 96] ولكن الشرع أوجب الدية على القاتل، وإذا كنا عاجزين عن دفع ضرر الفعل من حيث نعلم وما لا نعلم ولزمنا العجز على كل حال فالأمر إذاً جميعاً إليك فأخو الصلاح وصاحبه باعتبار ما يصدر عنه في الشاهد التابع ذلك بسابقة العلم من أصلحته في نفس الأمر فسابقة الخير له وإن عصاك وأدبر عنك، وأخو الفساد باعتبار الناشيء عنه من حال ظاهراً أو باعتبار ما هو راجع إليه في الدار الآخرة وإن أطاعك وأقبل عليك من أضللته في باطن العلم لأنه إذا حكمت عليه بالشقاء فلا ينفعه شيء من طاعة أو غيرها، والسعيد حقاً، أي يقيناً، من أغْنَيْته بشهودك ودوام ذكرك مع تقدم سابقة السعادة التي هي حاصل الواقع من العبد المكرم عليك وبذلك غني عن السؤال لغِناه منك لأن من رآك غاب عن السؤال عنه بك فظهرت عليه أحوال العناية بك فحف بتأييدك له في أحواله كلها كما وقع لسيدنا إبراهيم عليه

السلام، والشقي أي صاحب الشقاء حقاً في التحقيق وما في نفس الأمر من حرمته من فضلك مع كثرة السؤال لك وتردده لديك بالطلب المرة بعد المرة ومع ذلك منعته من الإجابة لوجود غفلته في سؤاله الذي ترتب عليها في باطن العلم منع الإجابة. أو لعدم اضطراره الذي هو شرط الإجابة لما سأله بواسطة سابقة السوء، والعياذ بالله، أو لكون ما سأل لم يسبق به القضاء والقدر لكونه من أهل الشقاء في باطن العلم إن سأل السعادة أو لكون مسؤوله سبق في علم الله أن لا يوجد. ولذلك قال ابن عطاء الله: «ربما حملهم الأدب على ترك الطلب» والله أعلم.

فأغننا، أي اجعلنا من فريق من تقدمت له سابقة الخير لديك الذين أغنيتهم عن السؤال منك اكتفاء بالغيبة في شهودك عن سؤال شيء واستشعاره حتى يسأله العبد، أو اكتفاء بما سبق في علمك، والأول أليق بحَالِ الشيخ رضي الله عنه:

بفضلك الخالص الذي لا علة له عن سؤالنا منك بدوام شهودك والابتهاج بذكرك وقد قلت وقولك الحق على لسان نبيك: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين».

ولا تحرمنا، أي تمنعنا من رحمتك الموجبة للغنى بك عن كل شيء سواك حتى يغيب العبد عن الأغيار وشهود الآثار مع كثرة سؤالنا لك وترددنا بالطلب منك كما حرمت من سبقت له سابقة السوء والعياذ بالله، إنك على كل شيء تريد إمضاءه والحكم به قدير به شديد، أي يا قوي البطش على حسب ما تقتضيه المشيئة وتحرره الإرادة، يا جبار، أي يا عظيم الجبر، ولعل الجبر أعم من القهر، يا قهار فوق كل شيء فلا يفوته شيء إلاَّ وهو مقهور ومجبور على ما هو فيه وإنما له الاختيار بطريق الحكمة التي هي من كمال عزّة الربوبية حتى يظهر نفوذ إرادتها في الشاهد دون إرادة شيء سواها من المصادر التي تقتضيها هذه الأسماء المقتضبة من الصفات، فكانت حكمة جعل الإرادة للعبيد ظهور قهره سبحانه، فجعل الإرادة للعبد والقدرة له ليظهر جبره له وقهره إياه وشدة بطشه به إن أراده. يا حكيم في أفعاله وكون كل شيء موضوعاً في مركزه اللائق

به من فعل حكيم على حسب ما تقتضيه حكمته وإلاً فيتعالى أن يناله ما ينال العبيد، وإنما مبارز العبودية حكمت على حسب ما أراد وإلاً فلو شاء لم يكن شيء من ذلك أصلاً لأن الأمر جميعاً بيده.

نعوذ بك لا بغيرك، والحصر في ذلك يؤذن بالمقام من حيث أن غيره سبحانه لا يفيد التحصُّن به النجاة من شر الخلق: من شر قبيح قول أو فعل، ما خلقت وأبرزت لعالم الظهور أو جعلته مستكيناً في عالم البطون فهو في قوة المخلوق باعتبار المَآل، ونعوذ بك، كرر العامل لأن المقام مقام دعاء مطلوب فيه تكثير الجمل والتكرار الدَّالَّانِ على سبب الإجابة من ظهور الاضطرار من ظلمة وهي ظلمة المعصية ما أبدعت، عبر بالإبداع في إيجاد المعصية ووقوع الحجاب بالسوى مطلقاً لأن الإبداع في ذلك وظهور الأمْرِ البديع أمر لا يخفى على ذي فكرة صادقة من حيث الصفاء لأن الحق سبحانه خالق كل شيء ونسبة الأشياء إلى نوره المحيط بوجود كل شيء على حد السوى فليس هذا بأولى به من سواه ومع ذلك جعل بعض الأشياء بعيدة مع أنها في القرب مع مطابقها في النورية سواء وليس ذلك إلاً من ناحية الإبداع والإتيان بالأمر العجيب الخارج عن ما لا يمكن إلاً لمن باينت قدرته جميع القدر وكمل أمره في الاقتدار والعزّة إلى غاية لا يمكن الوصول إلى شيء مما يقربها.

ونعوذ بك، أي نَتَحصَّن بك من كيد النفوس وحيلها حتى تغيبنا بكيدها وحيلها عن كون التصرف منك فتجعل نسبته لغيرك وتوقعنا بذلك في إشراك الإشراك، ونحيد عن دائرة التفريد التي هي قطب مدار قلوب أهل المعرفة بك فيما قدرت في سابق العلم وأردت إبرازه لعالم الظهور.

ونعوذ بك من شَرِّ ما يقتضيه حسد الحساد، جمع حاسد، على ما به أنعمت لأن شر الحاسد يؤدي إلى الفتنة عنك بل شرُّه أشد الفتنة من شر غيره. وأيضاً الحاسد يحمله الحسد من الشر على ما لم يحمل غيره عليه فهو أعظم من شر غيره ولذلك أفرده بالاستعاذة منه.

ونسألك عز الدنيا والآخرة حتى تجمع لنا بين العزين كما سألكه، أي عز الدارين، نبيك سيِّدنا محمد ﷺ لأن أحق الأنبياء بالاتباع والاقتداء به رسول

الله ﷺ لأنه عليه الصلاة السلام لا يسأل إلاَّ ما هو أبلغ في القرب من الله، لأن ذلك عزّه عليه السلام. عِزّ الدنيا بالإيمان والمعرفة الذيْنِ هما دونَ عِزِّ الآخرة لأن الإيمان والمعرفة في الدنيا من وراء حجاب كثيف بخِلافِ الآخرة فليس فيها إلاَّ اللقاء والمشاهدة، وهما من وراء حجاب خفيف لطيف لقوة الكشف هنالك بلطافة البشرية حتى كأنها بالنسبة للدنيا روحانية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: الآية 51]، وعِزّ الآخرة باللقاء والمشاهدة. سمي شهود أنوار الذات في الآخرة لقاء ومشاهدة، لأنه في الآخرة أعظم والشهود في هذه الدار أضعف منه في الآخرة لأنه في هذه الدار من وراء حجاب كثيف، وفي الدار الآخرة من وراء حجاب خفيف، فكان الشهود في الآخرة وإن كان من وراء حجاب كأنه لخفة الحجاب بمنزلة اللقاء كفاحاً، إنك سميع سماع القبول، وضده، قريب من كل شيء قرب العلم بالذات لا قرب المسافة الذي هو من شأن المخلوقات، إذ القرب منه سبحانه مجرد العلم به والانتباه له بقطع علائق الغفلة وإلاَّ فليس هو ببعيد بل هو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، مُجيب في الوقت التي تريد، والأمر الذي تريد، فطلب الإجابة منك في الحقيقة من سلب الإرادة إليك لا من الاختيار المؤدي لسوء الأدب بين يديك والله أعلم.

اللهمَّ إني أقدم إليك بين يدي كل نفس يتنفس به من له تنفس أو حال يتلبس به ذو حال، ولمحة يلمح بها ذو تلمح بعين عقله أو جسمه، وطرفة يحتمل تفسير اللمحة أو يكون مغايراً لأن التلمح يقتضي متلمحاً بخلاف الطرفة فهي لا تقتضي متعلقاً يطرف بها أهل السماوات من الملائكة وغيرهم وأهل الأرض من الأنس والجن وغيرهم وكل معطوف على كل السابق شيء هو في علمك المحيط بكل شيء من الذوات والأفعال والصفات وغير ذلك كائن في الحال أو المستقبل، أو قد كان في الزمن الماضي أقدم إليك بين يدي ذلك كله، أي جميعاً، هذه الآية الدالة على أحسن ما وصفت به نفسك من حصر وصف الألوهية في ذاتك وقصرها عليك الذي يوجب افتقار كل شيء إليك وغناك عن الكل بقولك: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقصر ما هو لائق بالألوهية

عليك كل ذلك اعتقاداً وشهوداً. وانظر إلى أي مقام وصل هذا الشيخ رضي الله عنه حيث وسعه أن ينظر الربوبية في كل مقام من التكوينات التي سبق القضاء بها بحال شرفها لهذه الأوصاف التي وصفت بها نفسها ﴿ٱلْحَىُّ﴾ ووصفك بالحياة الحقيقية الدائمة التي بها حياة من أحببته بقولك: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، ووصفك بالقيومية بكل شيء الذي نفى أن يوجد معك غيرك بقولك: القيوم، وأن قيوميتك مستمرة ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] لا تعطل قيومتك سنة ولا غفلة ولا يبطلها نوم كما تبطل السنة والنوم تدبير المخلوقين. ومن كان بهذا الوصف ﴿لَّهُۥ﴾ ملك واختراع ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المخلوقين، وكذلك السماوات والأرض ومن كان بهذه المنزلة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] في أمر من الأمور ﴿إلاّ بإذنه﴾ لأن العبد لا يشفع بدون إذن سيده فضلاً عن أن يبرم حكماً أو يفعل أمراً ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] أي ما يصيرون إليه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] أي ما أسلفوه وخلفوه وراء ظهورهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] أي لا يطلعون اطلاع إحاطة على بعض من معلوماته. فالمراد بالعلم الذي هو المصدر اسم المفعول وامتناع الإحاطة ببعض المعلومات أظهر من أن يخفى لأن الإنسان إذا كان لا يحيط علماً بجسمه فأحرى روحه فأحْرى غيره من المعلومات وأما علم الحق سبحانه، فالإحاطة بشيء منه كما هو صفته تعالى، فمن الأمر الممتنع عقلاً كيف والاطلاع على بعض المعلومات قال فيه الخضر لسيدنا موسى عليه السلام: «ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلاّ مثل ما نقصت نقرة هذا العصفور من البحر».

والمراد: ما أحطنا به علماً وعرفناه من المعلومات نسبته مما يعلمه الله من ذلك المعلوم نفسه فضلاً عما جهلناه واستأثر هو سبحانه بعلمه كنسبة هذا الماء الذي أخذ هذا العصفور بنقره من جميع هذا البحر، لا أن علم الله سبحانه ينقص منه أحد بما يعلمه بحيث يصير عالماً بما لم يعلمه الله، سبحانه وتعالى عن ذلك لأن علمه قديم والقديم لا محالة محيط بالحوادث كلها ﴿بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، أي معلومه ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ سبحانه أن يهب علمه لأحدٍ من الخلق، ولذلك أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً زائداً على طلب ما

تقوم به البنية ثم يهب له علوماً على حسب ما تقتضيه المشيئة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]، هذا والله أعلم من إضافة المخلوق إلى الخالق على جهة ملك الإيجاد والاختراع، لا أنه مضاف إليه من حيث صُعُوده سبحانه منه إلى العرش كما يفعل الملوك يجعلون الأسرة يجلسون عليها وهي العروش، ثم يجعلون بين يديها الكراسي التي منها يصعدون لتلك الأسرة والعروش، لأنه سبحانه منزّه عن الحلول في شيء والانتقال من موضع لآخر.

نعم المخلوق الذي سماه الله كرسياً هو بالنسبة للأنبياء وأهل الشهود والعيان لأن الكرسي بطريق الذوق هو أوائل النور الذي منه يصعد المشاهد للحقيقة إلى عرش ظهور الرحمٰن وعرش ظهوره يتيسر للمشاهد بعد الوصول أنه يستمدّ منه كل شيء وذلك نور مندفع من نور الحقيقة الأصلية إلى عالم المعاني وهو عالم الملكوت، ثم منه لعالم الملك وقد وسع هذا الكرسي السماوات والأرض لأن المريد لا يشاهد أوائل نور الظهور حتى يخرج بفكره من عالم السماوات والأرض حتى عن شهود نفسه فإذا لاح عليه عاينه محيطاً بالسماوات والأرض، فإذا انتقل إلى نور الإحاطة وهو العرش وجده محيطاً بكل شيء، وهنالك نور لم يندفع بصنع القدرة وراء ذلك لا يبلغ مداه ولا تدركه الأفكار ولا تعلمه البصائر وإن جُلّتْ فإذا بلغ المريد لمحل العجز عن الإدراك كان ذلك في حقه بالنسبة لغيره عين الإدراك، وتيقن معنى قول المولى سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البُرُوج: الآية 20]. ثم بعد هذا كله لا يشاهد العارف تلك الأنوار بالغاً إلى الإحاطة بها بحيث يدرك حقائقها على الحقيقة لسطوع مهابة الحق سبحانه عليها، فهو ذائب من سبحات وجهه ومن ثم نشأ فيه التواضع لكل شيء والتصاغر لِمَدَا كل شيء لشهود الإحاطة بكل شيء فهو غريق الأنوار مصحوب بنور الحقيقة في شهود آثار ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية 255] أي يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ [البَقَرَة: الآية 255] باستمرار الوجود إلى أمَدٍ يريده الحق سبحانه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ في عزّه وقيام قدرته بكل ما يريده، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ في سلطانه وكمال سطوته فيحكم ما يشاء ويفعل ما يريد. أقسمت عليك، وإقسام العبد على سيده بما يدل على حسن الثناء عليه ووجود المحبة له والرضى بالعبودية

بين يديه ليس من سوء الأدب عليه وحصول الافتئات وظهور العزة بل هو من المبالغة في الرضى بالعبودية والافتخارِ بالسيادة التي لها هذه الأوصاف الجميلة. فالإقسام بهذه الأوصاف من نوع الافتخار بالعبودية لمن له هذه الأوصاف، ببسط يدك على كل شيء لا يكون من الوجود شيء إلاَّ وهو تحت ولاية نظرك وعزّة قهرك وإن أريد ببسط اليد كثرة العطاء فيكون معناه ببسط يدك للوجود بما لا يحاط به من الكرم والجود.

وهذا الوجه هو المناسب لاستجلاب مواهب العطاء الذي هو مراد الشيخ رضي الله عنه وكرّم وجهَهُ من غير أن يكون جارحة بل نور ملأ أركان الوجود بأسره بقبضة منه فوجهه سبحانه وجوده وظهوره ونور عينك التي نظرت بها إلى قلوب المحبوبين عندك من الأنبياء والأولياء فنظروك من حيث نظرت إليهم فنالوا بذلك مقام إحسانك لهم بالخصوصية فعبَّر نبيُّك عن مقامهم بمقام الإحسان، أي منك لهم، وكمال أعينك المخالفة لأعين السوى، لأن أعين السوى ناقصة بل مضمحلة من حيث الحدوث أن تعطيني وتمنحني خير، أي أفضل ما أي مخلوق أو موجود نفذت به مشيئتك وإرادتك بإبرازه للوجود وتعلقت به قدرتك على وفق مشيئتك وأحاط به علمك مما هو كائن أو يكون.

وهذا من الشيخ رضي الله عنه سؤال للمعرفة بالله، وذلك لأن خير ما نفذت به المشيئة وتعلقت به القدرة وأحاط به علمه سبحانه كشف الستور ودوام الشهود والحضور في عين كل عارف طالب يصدق الطلب أفضل مطلوب وأجلّ مرغوب. فالمريد الصادق هذا محط رحله ومطمح عينه فلا يتعداه لسواه من كل ما تعلقت به القدرة ونفذَتْ به المشيئة وأحاط به العلم أن يعطي لطالب نعم يطلب من ذلك الغاية اللائقة بأمثاله ولا يعدوا طوره وقدره فيقع سوء الأدب.

من كلام الحكمة قولهم: عَاشَ من عرف قدره. واكفنا، أي ادفع عنا شر ما هو ضد لذلك وهو شر الحجاب عن الأنوار بشهود الأغيار، وأكمل ديننا ظاهراً بإقامة الشرائع وباطناً بكشف الحقائق، ومن لم يكن كذلك فليس على دين كامل. وافهم ما رواه البخاري من قوله عليه السلام: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم» فأدخل في الدين مقام الإحسان فمن لم يكن له فدينه

ناقص، وأتمم، أي أكمل علينا نعمتك بالامتثال لأمرك ونهيك مع الاستسلام لقهرك والابتهاج بشهودك لأن الإنسان ما لم يشاهد الحق لم تتم عليه النعمة وإن أنعم عليه بجميع النعم لأن أقصى غاية النعيم النظر إلى وجه الله الكريم.

وقد قال ابن عطاء الله: متى رزقك الطاعة والغنى به أي بشهود أنواره عنها. فقد أتم عليك نعمه ظاهرة وباطنة. وهب لنا حكمة الحكمة البالغة وهي التفقه في الدين مع الرسوخ في مقامات اليقين على بساط أدب سيد المرسلين مع الحياة الطيبة التي سبب كونها طيبة شدة الفرح بك حيث سطعت في القلوب شموس أنوارك.

وتقدم قوله رضي الله عنه: «تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا» الخ، والمَوْتة الحسنة التي سبب حسنها زيادة الانغماس في أنوار الشهود حتى عبر عنه باللقاء في قوله عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» فعين الصادر من العبد ظهور السابق من الحق سبحانه. ومعنى ذلك، والله أعلم، أن الإنسان يعلم حب لقاء الله له حيث يجد في نفسه من حب لقاء الله. وتَوَلَّ قبض أرواحنا بيدك حيث لا ثبوت للوسائط بيننا وبينك وذلك مجرد تنوع التجليات فيسهل الأمر إذ شهود العبد جزع وشهود الرب الكاتب على نفسه الرحمة فرح موجب للغيبة عن الحس الذي هو محل الألم.

ثم طلب الشيخ رحمه الله دوام الشهود في الدارين، فقال: وحُلْ، أي اجعل بيننا وبينه حائلاً من نور ذاتك بيننا وبين غيرك من حيث أنه غير، وهو محل انقطاع الحجاب وإلاَّ فلا غير معه لوجوب الإحاطة بالتصديق بقوله: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠﴾ [البُرُوج: الآية 20] ولأن الحق سبحانه منفرد بالذات، أي الحقيقة، فغيره لا حقيقة له لقيام الحق سبحانه به، ومن كان قيامه بشيء فلا حقيقة له بل الحقيقة لمن قام هو به، والله أعلم في البرزخ، وهو عالم ليس متمحضاً للدنيا ولا للآخرة، فهو عالم التوسط بينهما وما قبله فهو الحياة الدنيا وما بعده وذلك عالم الآخرة، بنور ذاتك فلا نشاهد إلاَّ أنت فالظاهر وإن ظهرت في زي السوى فقد كمن فيها نورك. فأحجبنا بنور ذاتك عن شهود مظهر السوى حتى لا نرى غيرك في مظهر مما خلقت في الدارين إنك على كل شيء

قدير، وعظيم قدرتك الماحِقة للحجب التي بها انحجب العبد عن شهود نور ذاتك وجميل فضلك المحض الذي هو سبب الكشف إذ لا سبيل له إلاَّ به، ولا تجد أحد من أهل المعرفة بالله إلاَّ وهو معترف على نفسه إنما نال ذلك بالفضل المجرد والكرم المحض إنك على كل شيء مما تريده قدير فلا يصدك عنه أحد ولا يثنيك عنه شيء.

ولما طلب الشيخ شهود انفراد الحق سبحانه، في كل مشهد جعل ينادي الحق سبحانه بما عاينه منه من انفراده سبحانه بالذات المدلول عليها: بسم الله، ومن علو القدر الذي لا يدرك المدلول عليه باسمه العلي، ومن عظمة السطوة ونباهة الشأن التي غاب بها من استنشق منها رائحة عن حسه بل عن وجوده جملة المدلول عليها باسمه العظيم.

ومن حِلْمه ما استغرق فيه الوجود بأسره إذ لولاه ما ترك عليها من دابة المدلول عليه باسمه الحكيم، ومن حكمة ما ظهر به في مظاهر الأضداد ذلك مدلول عليه باسمه الحكيم، وهو الواضع لكل شيء في مركزه اللائق به فقال: يا الله يا علي في عِزّهِ يا عظيم في رتبة سلطانه يا حليم عن كل شيء، ولولا حلمك ما كان للوجود وجود، يا حكيم في كل شيء خلقته فما خَلقته كله موضوع في أحسن مراكزه على سبيل الاتقان والإحكام، يا كريم مُذ خالف كرمه القديم كل كرم لأنه لا علة له ولا سبب بل هو بذل بتقدم السابقة لمن شاء من خلقه، يا سميع بلا صماخ فلا يفوته شيء من السماوات اطلاعاً عليها، يا قريب من كل شيء فلا مسافة بينه وبينه بل هو أقرب إليه من نفسه، يا مجيب الداعي إذا دعاه فيما يليق به مما سبق في علمه إعطاؤه له وفي الوقت الذي يريد هو إرشاداً لخلقه لسلب الإرادة إليه في حال الطلب، يا ودود الذي ود كل شيء وتفضل عليه بنعمة الإيجاد والإمداد ولم يزل يوده بالخيرات وضروب النعم في جميع الحالات، حل بيننا وبين فتنة الدنيا بأجمعها لأن جميع ما اشتملت عليه جميعاً فتنة ولكن فتنتها متفاوتة بعضها أشَد بعداً عن الله من بعض ثم خصَّ من بعد العموم هذا الشديد الفتنة بقوله: والنساء.

وقال عليه الصلاة السلام: «ما رأيت أذهب للب الرجل الحازم من

إحداكن»، والغفلة التي تكون في الطاعة والمعصية جميعاً، وطاعة مع الغفلة عن الله فيها لا عبرة بها والشهوة فإنها تداخل المعصية والطاعة أيضاً، وهي غير الغفلة، وظلم العباد، وهو من أشد الفتن لأن الإنسان لا تسمح نفسه بالظلم المُحرق للعبد حتى يكون في أعلى طبقات الغيبة عن الله وسوء الخلق المضاد لمكارم الأخلاق المأمور بها شرعاً، لأن سوء الخلق مع الخلق من الغيبة عن البارز فيهم وذلك دليل على عدم تخلقه بأخلاق الرحمانية التي لأولياء الله.

واغفر لنا، أي استر علينا أو حل بيننا وبين المعصية جملة ذنوبنا كبيرها وصغيرها، مما علمنا منها وما لم نعلم، واقض عنا تبعاتنا التي تتعلق بنا من قبل الخلق أو من حقوقك المتعلقة بنا لأنك في أعلا درجات الكرم والغنى. وهذه من خصوصية الفضل وأعظم أحوال المتفضل لأنه لا يغفرها ما له ويقضي عن العبد التبعات إلاَّ البالغ في الكرم والحلم، إلى نهاية تقتضي أن الكل في قبضته وأنه غني عن الإطلاق ومستحق لجميع المحامد بالاستحقاق والاستغراق واكشف، أي أزل عنا السوء: ما يسيء جملة، ولا سوء أعظم من ظلمة الحجاب، نسأل الله السلامة والعافية، ونجنا أي بعدنا من الغم لأنه يحجب العبد عن ربه وأفرده وإن كان من السوء لأنه من أشده، واجعل لنا منه إن سبق به القدر ووقع مخرجاً بشهود الواقع منك، وأن الخير فيما قدّرت ودبّرت إنك حكيم في كل ما صنعت. وإن من توليته لو أطلعته على المراد به في ذلك لوجد في ذلك خيراً كثيراً لأنك لا تفعل بخاصتك إلاَّ خيراً لتفضلك عليهم بدون شيء إنك على كل شيء تريد فعله قدير، ليس في الوجود من يعترض حكمك بالرد أصلاً.

يا الله يا الله يا الله، كرَّر هذا الاسم الشريف بل الدال على الذات الجامع للأسماء والصفات، لأن همة القطب مجموعة في الذات فالدَّال عليها في ذكره عنده ألَذّ وإنْ كان غيره من الأسماء عظيماً، جليل القدر، من حيث أنه مقتضب من وصف قدير لا يصلح إلاَّ لمن كان إلاهاً لأن أسماءه سبحانه المقتضبة من الصفات قديمة وأسماء غيره وصفاته كذاته كل ذلك حادث لا الوجود له على الحقيقة. يا لطيف بخلقه في جميع ما قضاه وقدّره لطفاً عاماً

على سوء فعلهم وقبيح عملهم لغناه عنهم جميعاً، يا رزاق، أي يا كثير الأرزاق وبسط النعم لأن ما عندك لا ينفد إنه لا يبسط أحد كما تبسط أنت لعدم نفاد ما عندك ولذلك كانت يداك مبسوطتين.

وقد تقدم للشيخ الإقسام ببسط اليد لأنه من أجّل الأوصاف وأفضل النعوت، ولذلك كان السخي قريباً منَ الله قريباً من الحق قريباً من الجنة، بعيداً من النار. والبخيل بضده.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أقيلوا ذوي السخاء عثراتهم فإن الله أخذ بيدهم كلما عثروا»، إلى غير ذلك من الآثار، ولكن لا أحد أكرم من الله بل كرمه مباين لكرم الخلق لأن كرمه قديم يقتضي الإحسان على كل حال للخلق، فلا فرق بين طائع وعاص، ومؤمن وكافر، والله سبحانه يؤتي فضله من يشاء بطريق العموم.

يا قوي، انفراداً، فلا قوة لأحد بين يديك أصلاً لأن الكل بين يديك ضعيف بل متلاش لا وُجود له، وقد خلقت الجميع من ضعف، يا عزيز في سلطانه فيقضي على الكل بحسب ما يريد ولا يعترض قضاءه معترض فضلاً عن كونه يقضي عليه أحد. يا علي في قدره الشريف علواً يباين سواه بل لا علو لأحد بين يدي علو قدره. يا عظيم عظمة تصاغر بين يديها كل ذي عظمة وذل لها كل متكبر فهو مرغوم الأنف بأدنى بارز من عظمتك جلّ قدرك جلالاً وعظم عزك وسلطانك كمالاً، فالحمد لله على العبودية لك والشكر لك على هذه الأسماء الشريفة التي سميت بها نفسك، فنسألك بها وبالذات المسماة بها أن تجعلنا فيمن غيبتهم في أنوار ذاتك وقطعتهم عن كل شيء سواك وأن لا تتوفنا إلاَّ وأنت عنا راضٍ ونحن عنك غير مفتونين يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين بجاه نبيك سيّدنا محمد ﷺ وعلى آلِهِ وأصحابه وأزواجه وذريته وأمته وإخوانه من النبيين والمرسلين والملائكة والمقربين وعلى جميع عبادك الصالحين من أهل السماوات وأهل الأرضين آمين يا رب العالمين، يا عليم بكل شيء فالمعلومات خفيها وظاهرها بالنسبة لعلمه على حد السواء ما كان وما يكون وما هو كائن فلا تفاوت لها

بالنسبة لعلمه لأنه لا تنوع فيه لكونه قديماً فهو محيط بها دفعة واحدة والذي يتنوع بحسب متعلقه إنما هو العلم الحادث لكونه صنعة لا دوام لها فهو قاصر على ما يُمَدّ به من عند الله سبحانه، يا حليم بالعفو عن الجرائم العظام لغناه عن المجرمين والمطيعين، يا كريم كرماً ذاتياً لا يغيره ذنب مذنب إذ الذاتي لا يتغير بعارض يا سميع لكل شيء فعلاً كان أو قولاً أو ذاتاً لأنه بدون جارحة إذ الجوارح خلقه وإيجاده فلا يفوته شيء، يا قريب فلا أقرب منه للعبيد ولو أنفسهم لأنه لا حجاب بينه وبينهم ولا مسافة أصلاً بل هو أقرب إليهم من حبل الوريد وهو عرق في صفحة العنق، يا مجيب لكل من دعاه لكرمه وعموم رحمانيته المحيطة بالوجود في كل شيء والمنع من الله إحسان لحكمة داخَلَتْه هي من الله إحسان والعبد يظُنّ أن ذلك حرمان وإلاّ فحاشاه أن يسأل فلا يعطي وهو أكرم الأكرمين.

يا ودود، فلا أحد من خلقه إلاّ وده وله عليه نعم لا تحصى، وود الخواص وداً خاصاً بهم لك ملكاً وإيجاداً مقاليد أي مفاتيح السماوات والأرض وهي مخازن الإعطاء في الشاهد فما من شيء يعطى للعبد في الشاهد إلاّ منهما أو من أحدهما وبيدك مفاتيح ذلك فأنت تُعطي إن شئت الكثير تارة أو القليل أخرى وإن كان القليل منك كثيراً ولا يعطي غيرك من ذلك شيئاً لأن المفاتيح ليست بيده فلا سبيل له لإعطاء ولا لمنع لاختصاص الإعطاء ممن في يده المفاتيح. تبسط: توسع الرزق ظاهراً تارة وباطناً أخرى لمن تشاء من خلفك توسعة رضى تارة وتوسعة انتقام أخرى مؤدية إلى استدراج وتقدر أي تضيّق تضييق رحمة وتضييق غضب فابسط أي وسع لنا من الرزق، أي رزق الأشباح القائمة بوظائف الشريعة، ورزق الأرواح القائمة بالتخلي عما يمسها من الارتباط بالجسم من خيالات السوى فضلاً عن اتباع الهوى ما توصلنا أي تبلغنا به إلى رحمتك بنا، ولا تبسط لنا من الرزق ما يؤدينا إلى سخطك إذ لا حاجة في غير رضاك عنا ولو بترك البسط في الرزق جملة لأنك تغني عن كل شيء ولا يغني عنك شيء، ومن رحمتك، أي وابسط لنا من رحمتك ورأفتك بنا لأن الرحمة أنواع وأعظمها وأجملها رحمة رحم الله بها رجلاً أخرجه بها من سجْنِ وجوده إلى فضاء شهوده فكان نور الحق شاملاً له شهوداً، كما هو

شامل له وجوداً، وأراحه به من معانات شهود الخلق وحال بينه وبينهم بنوره ولا يشاهد إلاَّ هو، ولذلك قال: ما أي نوراً تحول تحجز به بيننا وبين نِقَمك حتى لا نشاهد إلاَّ نورك أبداً أينما توجهنا وحيث ما كنا. واجعل لنا نوراً نمشي به في الناس كما طلب ذلك عليه الصلاة والسلام، ومن حلمك وإغضائك عن جرائم المجرمين ما يسعنا: يشملنا به بذلك القدر من الحلم لأن حلمك لا نهاية له لكونه يسع العفو عن الكون جميعاً لو عصاك بأنواع المعاصي جميعاً لأن أحداً ليس بقاهر لك على فعل بل أنت القاهر فوق عبادك والكل تحت عزّة سلطانك تفعل به ما تشاء وتحكم فيه ما تريد عفوك، أي صفحك عن ذنوبنا واختم، أي اجعل خاتمتنا لنا بالسعادة عندك التي ختمت: جعلتها خاتمة أعمارهم وبقائهم في هذه الدار لأن أعمال المرء دليل خاتمته لأن الأعمال بالخواتم بها لأوليائك، أي الذين توليتهم وكنت لهم ولياً ونصيراً فكانوا سعداء بك لا بأنفسهم إذ الأمر جميعاً إليك، فهم سعداء بالأمر القديم فلا زوال لسعادتهم ولا نسخ لها.

واجعل خير أي أفضل أيامنا أي أزماننا وأسعدها أي أتمها سعادة يوم لقائك بالموت، ومن سعادة ذلك اليوم أن تتولى قبض أرواحنا بيدك كما تقدم له رضي الله عنه حتى نرى الملائكة نوراً من أنوارك فنُقبض في حال شهودك من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أو تتولانا بنفسك فنقبض بكلمة كن منك من غير جزع ولا غم فارحين بلقائك وما ذلك على الله بعزيز، وزحزحنا أي أخرجنا، وعبَّر بالتزحزح الذي هو الإخراج من الشيء المتمكن التعلق بالمخرج لأن الإنسان مفطور على الشهوات فلا يخرج عنها إلاَّ بالكرم المحض والقدرة القاهرة في الدنيا أي هذه الدار التي هي أدنى إلينا من الآخرة عن نار الشهوة المشتعلة في النفوس المؤدية إلى نار الآخرة، وأدخلنا بفضلك لا بشيء سواه لأنه لا موجب للدخول في رحمتك إلاَّ الفضل الذي هو مجرد عن العلل والأسباب وذلك فضل الألوهية فقط الذي هو فضلك الذي يمكن أن تؤتيه من تشاء كما قلت: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: الآية 54].

في ميادين، جمع ميدان، وهو موضع جري الخيل. وعبّر بها عن مواضع

نزول الرحمة. واكسنا، أي ألبسنا، من أجل شهود نورك جلابيب، جمع جلباب، وهو ما يقع به الستر. وعبّر به عن إحاطة النور بذاته، العصمة اللائقة بأوليائك وهي الحفظ من شهود السوى في أي مقام أقمتهم لأن العصمة درجات، فعصمة الأنبياء عدم مقاربة الذنب جملة مع ملازمة الحضرة بخلاف عصمة الأولياء فهي ملازمة الحضرة وإن وقع الذنب فلم يكونوا فيه غافلين فارحين كأهل الغفلة بل هم باكون ويرون أن ذلك قضاء سبق من الله سبحانه فلا راد له ولكن الدية على القاتل من حيث الحكمة فيفعلون ما أمروا به من التوبة والإنابة وعدم الإصرار بنية العود. ونسأله سبحانه لنا وللأخوان وللمسلمين أن يتولانا بالحفظ والرعاية من كل شاغل عنه أو موجب لسوء الأدب معه إنه على كل شيء قدير.

واجعل لنا ظهيراً، أي ناصراً من عقولنا عند ثوارن الشهوات وسورة النفوس، فيكون العقل ناهياً عن ما تأمر به النفس وتظهر من كيدها وحيلها أن إتيان ما أمرت به خير للإنسان، ومهيمناً أي مطلعاً شاهداً يشهد بأن الذي أمر به العقل هو الحق الذي لا شك فيه، مقوياً كلمة الملك من أرواحنا المطهرة من أدران السوى واتباع الهوى. ومسخراً، أي مطيعاً، لما أمر به العقل، وأبطل كيد أنفسنا وسخرها للعقل ولا تجعلها خارجة عن أمره أبداً لأنه إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ولذلك كان التكليف مرتبطاً به ولم يجعل الله غير العاقل مكلفاً لكونه لا يفهم عن الله والله أعلم. من أنفسنا كي أي لأجل أن نسبحك كثيراً ونقدسك بما قدست به نفسك من قولك: لا إلٰه إلاَّ أنت، وتقديسك لنفسك إنما هو بيان للواقع وإيضاح وشرح لما في نفس الأمر وإلاَّ فلم يثبت لك وصف قبيح يتنزَّه عنه بل أنت المقدس المنزّه عن ما لا يليق بمنصبك الشريف ورتبتك العالية فيكون تقديساً لك كتقديسك لنفسك من غير اعتقاد شبهة تنفي عنك ولو بطريق التخييل كما لأهل المعرفة بك، ونَذكرَك بأنواع ما يذكر به العبد سيده دلالة على شرف الربوبية وصفة العبودية ولكن ذاكرك تشرف بذكرك فهو في الحقيقة بذكرك رفيع وإن كان من ظاهر العبودية وضيعاً كثيراً إذ لا يتأتى التسبيح كثيراً والذكر كثيراً إلاَّ بالأوصاف المذكورة وهو لا يفيد إلاَّ كثيراً كما قال الحق: ﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:

الآية 35] إنك كنت في الأزل وفيما لا يزال أي لم تزل بنا ذاتاً وأوصافاً بصيراً أي مطلعاً علينا فنحب فيما لا يزال أن تطلع علينا ونحن لك مسبِّحون ولك ذاكرون.

وهب لنا مشاهدة لنورك تصحبها: تكون مصاحبة لنا مكالمة هي أقوى من المشاهدة لكونهما جمعاً في المتكلم وأقوى في الاتحاد، وافتح أسماعنا الباطنة وأبصارنا لأن المعتبر هو سمع البصيرة وأبصارها وإن لم يكن شيء من ذلك كان الإنسان ذا أذنين وعينين وهو غير سميع ولا بصير، وقد قال الحق سبحانه: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198] وإبصارنا ظاهراً وباطناً ولكن بحيث يكون الظاهر متحرقاً إلى الباطن والباطن متحرقاً إلى الظاهر حتى تكون شرائعنا ممزوجة بحقائقنا، فلا الظاهر يَحْجُبُ عن الباطن ولا الباطن يصد عن الظاهر، فأكون متلبساً بمعنى اسمك الظاهر واسمك الباطن فإنك ظاهر بالأثر باطن بشوارق الأنوار، واذكرنا ذكر اجتباء واصطفاء بلا سبب لأن فضلك ليس معلولاً بعلة إذ غفلنا عنك، أي عن ذكرك والحضور معك بأحسن وأجل مما تذكرنا به إذا ذكرناك لأن إعطاءك للعبيد ليس مرتباً على أعمالهم لأنها صادرة عن قدرتك وأحسن أحوال العبد ما وصفته به من الفقر إليك، وأجل عطاياك ما كان عن فقر إليك، وحيث علمنا أن رحمتك تسع الوجود وفضلك غير متوقف على شيء، حملنا شهود ذلك أن نطلب منك فضلاً بلا سبب أوسع مما له سبب في الظاهر لأن الفقير أحوج إلى رحمتك ممن سواه وإن كان الكل منك وإليك فالحمد لله على غناك وفقرنا إليك والعبودية لك يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وارحمنا إذا عصيناك بالتوفيق للتوبة والإنابة إليك وإمحاء حلاوة المعصية بوجود طاعة عقبها تذهب ظلمتها من القلب حتى يبقى القلب مستنيراً بالإيمان كما كان أول مرة أو أكثر من ذلك لأن فضلك لا سبب له بأتم وأكمل مما ترحمنا به إذا أطعناك لأن الإنسان في حال المعصية أحوج إلى رحمة الله من حال الطاعة لأنه في حال المعصية في ظلمة البعد وظلمة استحقاق العقوبة فهو من خوف العقوبة المنضم إلى حجب المعصية بوجود الغفلة أسوأ حالاً ممن يخاف في الطاعة من عدم القبول لخلل وقع فيها وإن كان الكل محتاجاً إلى رحمة الله سبحانه لكن لما كنت حاكماً على العوائد

وليست العوائد حاكمة عليك وهدمت أسوار الأعمال وأطمعت العاصين فيك لكونك لا تسأل عما تفعل وبكونك تؤتي فضلك من تشاء حملنا ذلك على أن نطلب في حال الوقوف ببابك متلبسين بذل المعصية من الرحمة أوسع وأفضل مما ترحمنا به في حال الطاعة لأنك أرحم الراحمين للمذنبين وربما وهبت للمنكسرة قلوبهم من عبيدك ما لا تَهبه لسواهم لأنك أكرم الكرماء وأرحم الرحماء وعند المنكسرة قلوبهم بالبر والإحسان والتفضل والامتنان، واغفر لنا أي لا تؤاخذنا بذنوبنا أي سيئاتنا ما تقدم منها عن هذا الزمان الحاضر وما تأخر منها عن زمن الحال مما علمت وقوعه وإن لم يقع الآن ولعل طلب المغفرة هنا من التحصن بالله من وقوعه من حيث هو، والطف أي ارأف بنا لطفاً، أي رأفة يحجبنا عن غيرك بحكم القهر لنا عن ذلك ولا يحجبنا عنك لأن اللطف والإحسان الذي يحجب عنك ليسا عند العارف بإحسان ولا لطف لأن مدار النعيم عنده هو النظر إلى وجه الله الكريم وما سوى ذلك كله عنده نقمة وعذاب، فإنك بكل شيء عليم مما تقدم أو تأخر وما كان حاجب عن غيرك من شيء وما كان حاجب عنك ومن كان هكذا علمه فهو على كل شيء قدير.

اللهمَّ إنّا نسألك أي نطلب منك بضراعة وخضوع لساناً رطباً طائعاً طوعاً حاصلاً عن شهودك حتى لا تحصل منه سآمة ولا ملل لكونه لاهجاً بذكرك عن حكم محبتك الماحقة لذكر كل شيء سواك أو نور شهودك المعطل لشهود غيرك والالتفات إليه فضلاً عن ذكره وقلباً، أي عقلاً مُنَعَّماً مبسوطاً فرحاً جذلاناً بشكرك على ما به أنعمت حتى يكون ذلك سبباً لرؤية المنعم دون وقوف مع شهود النعم ولكل مقام من مقامات الإحسان ما يناسبه وبدناً هيناً مسخراً تسخيراً طوعياً ليناً يحمله على المبادرة والابتهاج بطاعتك في فعل ما أمرت بفعله وترك ما أمرت بتركه. واعطنا، أي امنحنا مع ذلك أي ما تقدم من اللسان الرطب بذكرك والقلب المنعم بشكرك والبدن الهين اللين بطاعتك ما لا عين باصرة رأت ولا أذن سمعت ووعت ما سمعته ولا خطر أي لاح على قلب بشر، أي باطن بشر في هذه الدار وتلك معرفة بالله خاصة يعطيها الحق سبحانه لأوليائه في الدار الآخرة وتجل هو أكمل في قلوبهم مما هم فيه الآن في هذه الدار كما أخبر به رسولك ﷺ في قوله إخباراً عنك: «أعددت لعبادي

الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». حَسبَما عَلمتَه بعلمك ولم يعلم ذلك أحد سواك لأنك ذكرت أن هذا الأمر لا يدرك عن طريق الحِسِّ ولا من طريق العقول من حيث أنه لا يخطر على قلب بشر، أي يتصوره العقل في هذه الدار فأنت مُنفرِد بعلمه. واغننا بذاتك عن ذاتنا وصفاتك عن صفاتنا وبأفعالك عن أفعالنا حتى نكون بك لا بأنفسنا ولك بشهودك في حال إقامة الشرائع لا لأحد سواك بمحو السوى من الباطن فنكون بك باطناً ولك ظاهراً من جهة انفراد الذات ويكون ذلك من طريق الحمل عليه بحكمة السابقة لا بالأمر الحادث بلا سبب، وهذه هي الولاية الكبرى التي هي موهبة من الله لا بسبب الأسباب التي هي ولاية صغرى وهي تنعدم بانعدام أسبابها بخلاف ما كان بلا سبب فهي بتقدم الفضل وسبق العناية من الله سبحانه، وهذا يضاهي قول مولانا عبد السلام: «واحملني على سبيله حملاً محفوفاً بنصرتك» لأن الولاية التي بلا سبب هي بالأمر القديم فلا سلب يصيبها واجعلنا سبب الغنى بك عن كل شيء سواك لأوليائك أي الذين توليتهم بالحفظ والرعاية، وهذا من الشيخ رحمه الله طلب لأن يجعل الله تعالى ولاية الأولياء على يده وتلك رتبة التعليم للخير والسعي فيما كان عليه السلف الصالح والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وقد أجاب الحق سبحانه دعاءه رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وبركة هذا الحزب فقد كثرت طريقته في الشرق والغرب حتى كادت أن تتعطل بها جميع الطرق التي لغيره، وقد جعلنا الله، والحمد لله، مِمَّن دخل فيها. وبرزخاً أي حاجزاً بينهم أي بين أوليائك وبين أعدائك من كل داع إلى الفتنة عنك وحصول الغفلة عن الحضور معك لأن كل شيء يؤدي إلى الغفلة عنك فهو عدو لك ولأوليائك إلاَّ ما غلبها عليه من عزّة السلطان منك إنك على كل شيء مما طلبته منك وسألتك إياه بل على كل شيء تتوجه إليه إرادتك قدير لعدم الرادِّ لحكمك والدافع لقضائك.

اللهم إنّا نسألك إيماناً دائماً أي حاصلاً عن شهود وعيان لأن الإيمان بوجود الحق سبحانه موصوفاً بصفاته العُليا ومسمى بأسمائه الحسنى، إنما يدوم من غير شبهة تخالجه وشك يعتريه إذا كان حاصلاً عن الشهود والعيان لا عن الدليل والبرهان، لأن كل ما لم يكن ناشئاً عن المعاينة كله لا يخلو عن شبهة

تعتريه وخيال يأتيه، ومن ثم ينشأ عدم دوامه صافياً من أجل غبش الخيال الحاصل من مُدْرِكاتِ الحس المخالفة لعين الحقيقة ولو عمل صاحبه ما عمل ومن هنا ظهر فضل الخاصة على من سواهم لأن ما هم فيه أمر خارق للعادة، ومن هنا خرقوا العوائد على أنفسهم.

قال الشيخ ابن عطاء الله: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد. بمعنى كيف تدعي أن الله خرق لك العوائد بحصول الكشف، والحالة أنه لم يظهر عليك شيء من خرق العوائد على نفسك، فعلامة خرق الله لك العوائد بكشف نوره لك خرقك العوائد على نفسك وهذا خلاف ما فهمه كثير شراحه رحمهم الله، والله تعالى الملهم.

ونسألك، أي نطلب منك، قلباً أي عقلاً خاشعاً في حال الشهود من هيبة المشهود وهو الخشوع الدائم للقلب. وخشوع الخاصة وهو الذي لا ينكشف أبداً، لأن خشوع الخاصة حاصل عن هيبة نور الحق سبحانه. فقلوبهم أبداً بذلك خاضعة خاشعة من هيبته وهم المعنيون بقوله سبحانه في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». واحترز من خشوع العوام الذي يحصل عن موعظة من تحذيرٍ أو تبشيرٍ فإنه يحصل بحصول ذلك ويذهب بذهابه. وخشوع الخاصة يؤذن به الإيمان الدائم.

ونسألك علماً نافعاً وهو الذي يؤدي صاحبه إلى المحافظة على شرائع الدين واتباع سيد المرسلين والغيبة عن كل شيء في وجود رب العالمين لأن العمل بالعلم يورث الحال قطعاً إن صدق صاحبه بالإخلاص لله لا لحظ من الحظوظ ونسألك يقيناً اعتقاداً بنور البصيرة صادقاً بمطابقته لما يقوله اللسان من كون الأمور جميعها بيد الله وقدرته انفراداً وينشأ عن مصادر الأركان حتى لا نخاف غيرك ولا نرجو غيرك ولا نَخْدم شيئاً سواك وخدمة الأولياء من خدمة الحق لا من خدمة الخلق واليقين الصادق هو الذي لا تكذبه مصادر الأعمال وظواهر الأحوال بوقوع شهود غير الحق في أي عمل وأي حال وهذا إنما يعلمه المرء من نفسه ولا يعلمه غيره منه ولهذا لا يقدح في العارف ببعض الظواهر الموافقة للتهمة.

ونسألك ديناً قيماً لجميع مكارم الأخلاق التي جاء بها القرآن الحكيم وسنة النبي الكريم الجامع ذلك لِأعلَى مقامات العارفين الراسخين حتى لا يضيع السائل حالاً من أحوال النبوّة الممكنة له التي توجب دوام النعيم بالنظر لوجه السميع العليم. ومقام الشهود هو مقام الإحسان مع ما انضاف إليه من المذكور هو حقيقة الدين بدليل قوله عليه السلام: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

ونسألك العافية، أي النجاة التامة التي تعلم أنها عافية لأوليائك من كل بلية ابتليت بها أحداً في ظاهره أو باطنه من كل ما يفتن عنك أو يؤول إلى ذلك ونسألك تمام العافية بحصول معرفتك والنظر إليك لأن تمام النعيم النظر إلى وجه الله الكريم.

ونسألك دوام العافية، أي استمرارها لأن قطع العافية المذكورة بعد إعطائها أشد من حرمانها من أول الأمر. ونسألك الشكر على العافية لأن الشكر على النعم داع إلى بقائها ودوامها ومن لم يكمله الشكر كان ذلك علامة على عدم الزيادة. ونسألك الغنى أي النزاهة عن الناس قاطبة لأن الاحتياج إليهم داع إلى الفتنة عند المنع وشهود المنة عند الإعطاء. وذلك كله مدهش عن كشف الستور ودوام الحضور، لأن كل ما خطر ببالك فالله مخالف لذلك أي لا يجتمع في بال أحد فهو مخالف له في الخُطورِ مهما دخل خاطر خرج هو.

اللهمَّ إنَّا نسألك التوبة الكاملة التي هي توبة من الذات والأفعال والصفات، فنتوب من شهود ذواتنا وصفاتنا وأفعالنا، إلى شهود ذاتك وصفاتك وأفعالك، وهذه توبة الخاصة، وأما توبة العامة التي هي مع شهود أنفسهم فتفتقر عند الخاصة إلى توبة منها. والمغفرة الشاملة حتى نشاهدك في كل شيء من تقلبات الأقدار وتنقلات الأطوار. والمحبة الجامعة أي المؤدية للفناء فيك عن كل شيء سواك. والبقاء بك حتى يقع الجمع بك في كل وجه وعلى كل حال والخلة الصافية حتى أكون الراضي بكل بارز منك بحكم التنزه إليه والمحبة له والشكر لك عليه والمعرفة الواسعة التي لا تستميل جهلاً بك عند اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار. والأنوار الساطعة في القلب التي تكون من

أعالي أنواع معرفتك والشفاعة القائمة، أي التي لا ترد لما علمت من كونك أشرت إلينا فإنّا منسوبون إليك فيقع التعلق بنا في الشفاعة عندك. والحجة، أي البرهان البالغة الدافعة للشكوك والأوهام الداعية لوجود السوى معك وذلك بأن تشهدنا نورك المحيط بالوجود في الوجود حتى لا نجد سواك بأبلغ حجة وهي التي لا تمكن معارضتها إذ ما بعد العيان من بيان. والدرجة العالية وهي أن نكون في عالم أنوار الذات في الظهور بما ظهرت به وفي البطون بما بطنت به، وهي حالة كمال العارفين، ومع ذلك أعطنا أبلغ ما أعطيته لأوليائك. وفكّ وثاقنا من المعصية لأن الإنسان في وثاق المعصية إلاَّ أن يفكه الله من ذلك فضلاً ورحمة، وإلاَّ فالمخلوق من منّي الشهوة، كيف لا يشتهي شهوة شاملة للمباح والحرام وهو في عين الشهوة إلاَّ أن يرحمه الحق سبحانه بالفكاك منها. ورهاننا جمع رهن أي فك رهاننا فإنا رهان النعم منك من النعمة بالطاعة الظاهرة والباطنة وغير ذلك مما عسى أن نحجب بالفرح به عنك فأكون رهناً محبوساً عن الكون في حضرتك بمواهب، أي عطايا المنة منك إذ لا سبيل للعبد عن الفكاك من وثاق المعصية ورهنية الفرح بالنعمة حتى يكون غير مصون عن شهودك إلاَّ أن تهب له منتك وفضلك وإلاَّ فالأمر متعذر إذا خلى ونفسه ويحتمل أن يكون معناه فك وثاقنا من المعصية بالتوبة النصوح منها. وفك رهاننا من النعمة أي لشهودها واقعة منا بمواهب شهود المنة منك بها علينا حتى لا يحصل منا عجب بما هو واقع منك حقيقة ومنا شريعة والله تعالى أعلم، والأول أنسب بمقام الشيخ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين.

اللهمَّ إنَّا نسألك التوبة من كل شيء سواك ودوامها حتى لا نسلب منها أبداً، ونعوذ بك من المعصية أياً كانت من كل ما علمت إنه معصية سواء في ذلك الظاهر والباطن وأسبابها، وذكرنا أي عظنا بالخوف المزعج الحامل على الترك لذلك منك أي من عقوبتك بالحجب عنك بسببها قبل هجوم خطراتها في القلوب وذلك مما يغيب عنها، واحملنا أي سخرنا لذلك قهراً علينا كما يقال: الأمير حمل فلاناً على كذا بمعنى أنه سخره في ذلك قهراً أحب أم كره، على النجاة منها أي من المعصية ومن التفكر أي خوض الفكرة النفسانية في طرائقها الموصلة إليها وأسبابها الموجبة لارتكابها لأن فعلها والتفكر في طرائقها جميعاً

يحجبان عن الله سبحانه، وامْحِ أي أزل من قلوبنا أي عن عقولنا ما سرى إليها من شهوة الجسم التي يجد عند حصولها حلاوة لا يصل إليها إلاَّ بوجود الروح فيه وذلك بسبب مجاورة الروح للجسم وإلاَّ فهي لا شهوة لها والله أعلم.

حلاوة ما اجتنيناه أي تناولناه منها لأن تذكر حلاوة الشيء يحمل على العود إليه غالباً ويؤثر في القلب الغفلة عن الله، واستبدلها أي الحلاوة بالكراهة والبغض لها والطعم، أي ذوق العقل لها لحلاوة الطاعة التي هي ضد المعصية هو بضدها وهي الطاعة لأن من ذاق حلاوة الطاعة كره قطعاً حلاوة المعصية وافْضِ علينا أي اغمرنا من بحر أي سعة كرمك بالتوفيق للطاعة والغيبة عنها بشهودك وعفوك عن المعصية ويكون ما ذكر دواماً حتى نخرج من الدنيا أي هذه الدار الفانية على السلامة من وبالها وهلاكها لأنها المهلكة الحقيقية. وما دام الإنسان فيها فهو على عدم أمان منها حتى يخرج منها سالماً سلمنا الله بفضله وكرمه من وبالها نحن والإخوان وجميع المسلمين بجاه النبي والآل واجعلنا عند الموت ناطقين أي مصرحين بالشهادة اعترافاً باللسان لله سبحانه بالألوهية انفراداً ولرسوله عليه السلام بالرسالة العامة وتبليغ ما أمر بتبليغه على الوجه الأكمل، وأن كل ما جاء به حق وصدق. عالمين بها شهوداً بالجنان واحترز الشيخ رحمه الله من شهادة باللسان مع غفلة بالقلب وذلك مما لا يفيدُ. وارْأَفْ بنا أي الطف بنا لطفاً بليغاً وهو رأفة الحبيب أي المحب إذ لولا محبتك لخاصة خلقك ما أحبوك ولولا إقبالك عليهم بالفضل المجرد عن العلل والأسباب ما أقبلوا عليك ففعل العبد لاحق وفضلك سابق فللَّه ما أكرمك. والحمد لله على العبودية لك. فنعم الرب أنت يا بر يا رحيم بحبيبه عند الشدائد كلها أياً كانت وأعظمها شدة الموت التي هي مقام وحشة الخروج من الدنيا ودهش الدخول لعالم الآخرة مع كون الموت يصيب النفس منه نكاد عظيم من جهة مفارقتها به لجميع شهواتها ولا بأس على من أنساه الله جميع شهواته بشهود أنواره فلم يبق له في هذه الدار ما يشتهي حتى تعظم مصيبته بفراقه، جعلنا الله ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ونزولها. والنزول: شدة أكبر من دوام الشدة، ولذلك زاد قوله ونزولها. وأرحنا أي أخرجنا من هموم الدنيا أي ما يهتم به الإنسان من أمورها المتعلقة بها التي هي موجبة الغفلة عن الله

سبحانه، وغمومها جمع غم وهو ما يغم عقل الإنسان من شدة الحزن بالروح أي الراحة أو الرحمة. قاله ابن عطية عند قول مولانا: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: الآية 87] والريحان ما يرتاح إليه إلى الجنة، سميت بذلك لاجتنانها وتغطية أرضها بأشجارها الملتفة الذي بعضها متصل بالبعض ونعيمها أي ما يتنعم به فيها وأقصا غاية النعيم النظر إلى وجه الله الكريم.

اللهمَّ إنّا نسألك توبة، أي إنابة سابقة، أي متقدمة لأن الصادر من العبد هو السابق من الرب منك إلينا لتكون دائمة مؤيدة بالأمر القديم الذي لا زوال له لتكون تَوْبتنا الواقعة منا بحسب الظاهر، وإلاً فالكل منك وإليك لا شريك لك تابعة من حيث القدرة الحادثة التي هي عجز محض من حيث أنها قامت بها قدرة الله إليك وهي التي تكون بالحال بحيث لا يجد الإنسان عنها معدلاً ولا عن التخلّف عنها سبيلاً فهو مكره عليها بحكم السابقة محمول على التخلق بالرجوع إلى الله والإنابة إليه أبداً، وإن سبق في علمه سبحانه القضاء بالمعصية جَرّده منها بسرعة التوبة وحصول التلقي منه أدباً يمحوها بأن يتلقى من الله ما يناسب المقام من الأدب الذي يعود على سيئَتِهِ بالإبطال ولكل مقام مقال. فهو في فسحة الطاعة مقبول وفي ضيق المعصية محمول، وسيف العناية بيده أبداً بأنامل الإنابة مسلول.

ولذلك قال الشيخ: وهب لنا التلقي الخ. وقالوا: إن العارف هو من لا يكتب عليه القلم عشرين سنة.

قال في «لطائف المنن»: وذلك لسرعة إنابته إن وقع منه شيء منّا وهب أي امنحنا هبة بلا سبب لنا، التلقي منك والتلقين لما يعود على جرائمنا بالمحو من فضلك وكرمك من حسن الاعتذار وطلب العفو وحصول التوبة.

وكلام الشيخ رضي الله عنه يفيد أن الاعتراف بالذنب وطلب العفو عين التوبة منه ولا بد للتائب من أعمال صالحة تزيل من قلبه ظلمة الذنب منك كتلقي آدم منك الكلمات التي وهبتها له بمحض الفضل والكرم وذلك اعترافه على نفسه بالظلم وأنه لا دواء لموجب الخسران إلاً مغفرة الحق سبحانه وذلك كله بين يدي كريم غني لا يعظم على عفوه ذنب ولا يرد لما هو به من الحياء يد

السائل صفراً، ليكون قدوة أي إماماً يقتدى به فيما عسى أن يقع من ذريته. وهذا يدل على أن الواقع منه عليه السلام لم يكن لقصد هوانِه على الله وإنما كان لما علم الحق سبحانه من الواقع من بعض ذريته فيتعلمون كيفية التفضي من الذنوب بالرجوع إليه سبحانه والإنابة والاعتذار بين يديه بالاعتراف بالذنب وإن كان به عليماً وظهور ذلّ العبد وعزّة الرب سبحانه والإرشاد إلى الوقوف على باب كريم لا يرد سائلاً لسعة فضله وعموم رحمته سبحانه.

وأن المقصود من العبد عبوديته لولده في التوبة والأعمال الصالحات، وباعد أي اجعلنا في مرتبة البعد فيما بيننا وبين العناد بأن لا نعرف الحق ونترك العمل به كفاحاً حتى نورد الدليل الفاسد في مقام الأمر والنهي بحسب الظاهر دون الباطن. ونشير إلى شرف النشأة دون التخلق بأخلاق العبودية والتواضع وامتثال الأمر في المنشط والمكره وتسليم الأمر لله في حكمه كيف ما كان، والإصرار الذي هو نية العود إلى المعصية بعد إيقاعها، لأن من كان مستغرقاً في شهوته حين المعصية قل ما يزول خيال حلاوتها من عقله وهو في الغالب يحمل على نية العود بخلاف من كان مستشعراً هيبة الربوبية في ذلك فهو في معصيته غير متمكن من تمام اللذة بها، بل هو فيها منقبض العقل حزين البال يود أن ذلك لم يقع منه جملة، فبمجرد الوقوع يتوب ولا ينوي لذلك عوداً لما في باطنه من نور الحضرة التي لا تأمر بالفحشاء، وإن كان كل شيء بقضاء وقدر ولا مفعول إلاّ بإرادة الله سبحانه وتعالى.

والشبه في إقامة الدليل الفاسد بين يدي من لا يسأل عما يفعل وعدم الإنابة إليه بالتوبة والاعتذار عن الواقع وطلب المغفرة والعفو وإلقاء الاعتماد على شرف أصل النشأة، فالوضيع بحسن الأدب شريف والشريف بسوء الأدب وضيع ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية 13] بإبليس رأس الغواة، أي أكبرهم ومتبوعهم، واجعل سيئاتنا أي جرائمنا سيئات من أحببت حتى مكنتهم من الإنابة والرجوع وطلب المغفرة والعفو ووقوع التوبة والوقوف في إظهار الفاقة والفقر من غيرك والغنى بك والاجتهاد في المستقبل في طاعتك فانقلبت سيئاتهم حسنات لأن شهود الفقر من الأعمال والغنى بالله من أعظم وأجّل

الطاعات. ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت حتى تعززوا بذلك ورأوا أنهم بها أغنياء مع وقوعها منك، فهم غائبون عنك بوجودها مستغنون بها عن فضلك المجرد عن العلل والأسباب، ولا يشاهده ويستغني بك إلاَّ أهل المعرفة بك من أهل المحبة والاقتراب، فالإحسان الذي يغيب عن شهود فضلك الداعي إلى وقوع التجاوز عما فيه من الخلل مع وجود منتك به ووقوعه منك لا ينفع مع البغض منك الذي هو سبب ذلك مع ما هو الكامن فيه من الغنى به والتعزز، وأنت لا تحب أن يستغني أحد عن بركتك وفضلك بل لا تحب أن يشاهد أحد وقوع الطاعة منه مع اعترافه بأنك الفاعل على الانفراد، والإساءة أي فعل السوء من المنْهَى أو ترك المأمور به لا تضر مع الحب منك لأنك تؤيد المحبوب بشهود ذلك بسابق القضاء والقدر مع توفيقك إياه لما يمحق ذلك من وقوع التوبة سريعاً والرجوع إليك حتماً والتَّحَصُّن بك يقيناً، وقد أبهمت أي عميت الأمر، أي أمر ذلك علينا من حيث حصول القبول واحتمال توقفه على شرط لم تقض في باطن العلم بوجوده لنرجوا القبول في الطاعات والعفو عن الزلات ونخاف من عدم القبول في الموافقة وعدم العفو في المخالفة، فأمن خوفنا بالكرم المحض الذي لا يتوقف على عمل ولا وجود شرط لأنّا قد عايناك تعطي بلا سبب وتغني بلا تعب وتمنح مجاناً بما تنبو عنه وجوه الطلب، وذلك بأن تظهر فينا علامة من جعلت سيئاته سيئات من أحببت وذلك من حيث التوفيق لسرعة التوبة والإنابة وعدم الإصرار الذي هو نية العود ظاهراً ووجود الغيبة عن ذلك كله باطناً بشهود أنوار ذاتك الذي هو أبلغ علامة المحبة منك ووقوع السعادة لديك إذ يتحاشى بسبب فضلك من يشاهد أنوارك عن أن يكون من أهل الشقاء.

وقد قلت بكلام حق ووعد صدق «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». ولا تخيب رجاءنا فيك لأنا نشاهد توفيقك للخير محمولاً على القبول لأنك أهل كل خير وكرم. وأعطنا سؤلنا، أي مسؤولنا بالكرم المجرد عن العلل والأسباب فقد أعطيتنا الإيمان الذي هو أشرف معطًى وأجّل حلية يتحلى بها البشر من قبل أن نسألك فأحرى مع وجود السؤال إياه، فليس العطاء منك بغير سؤال أمراً غريباً ولا شيئاً

عجيباً، بل ذلك دأب الكرماء وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. بل فعلت بنا أموراً أخر بمحض الكرم ومجرد الفضل لأنّا علمنا يقيناً أنها بلا سبب ولا حصول أعمال ولا وجود أحوال لأنك أوجبت على العبيد إقامة العبودية لا شهود الربوبية فغيبتهم بالواجب عن الموجب إلاَّ إذا تفضلت على من تشاء بإزالة الحجاب وكشف النقاب، وذلك مما لا يكون بعمل. وكيف يكون العمل الذي هو حجاب سبباً لرفع الحجاب بل الله يؤتي فضله من يشاء. وكتبت في أم الكتاب الذي هو باطن العلم إعطاء الإيمان بك لنا بدون عمل وأين كان المعطى له حيث كتبت وحبَّبْتَهُ إلينا حباً شديداً اقتضى كشف القناع وارتفاع النزاع وزينت ذلك لنا حتى اطمأنت به القلوب وصار مركوزاً في الفطرة وشهرتنا به حتى صرنا ندعو به وكرهت لنا الكفر وما يلائمه ويناسبه وأطلقت بل من عطائك أيضاً بغير سؤال وقوع السؤال وحسن الأدب معك في المقال بل اعترفنا على أنفسنا بانفرادك بالربوبية وكونك إلٰهاً واحداً، وتلك عبودية ظاهرة بل أطلقت الألسن بحسن الأدب معك في الطلب والتنزيه والتمجيد الألسن بما به ترجمت عن التنزلات الواردات على القبول بحسن الثناء عليك، وإشهار ذلك بين عبادك حتى انضموا وانحازوا إليك من طريق المحبة، فنعم الرب أنت يا من أنعم ذلك بين عبادك حتى انضموا وانحازوا إليك من طريق المحبة فنعم الرب أنت يا من أنعم علينا بهذه النعم العظيمة الشأن التي ليس وراءها نعم، فلك الحمد أي الثناء الجميل الذي حمدت به نفسك لأنه المناسب لقدرك العظيم على ما أنعمت به أو على حصول الإنعام مطلقاً، فاغفر لنا، أي استر علينا بعدم المؤاخذة بالجزاء الحاصل بالعقوبة.

ولذلك قال رضي الله عنه: ولا تعاقبنا بالسلبِ، أي سلب نعمك بوجود المعصية منا وعدم مغفرتك لنا لأن المؤاخذة بالمعصية مرتبة على عدم مغفرتك لا على وجودها إذ وجودها ليس مقتضياً للعقوبة ولا بد لأنه لا قاهر لك يحملك على عدم المغفرة للمذنبين بل ذلك هو دأب أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين بعد العطاء ولا بكفران، أي جحد النعم، أي جحدها بعدم العمل بالشكر عليها بأدب العبودية بين يدي الربوبية.

وحرمان الرضى منك عنا لأنك إذا رضيت على عبد لم تضره الجِناية.

اللهمَّ رضنا بقضائك بأن تشهدنا وقوعه منك بلا واسطة لأن شهود القضاء منك داع إلى الرضى به بخلاف شهوده من غيرك فهو داع إلى تَسَخُّطِهِ وصبرنا على طاعتك حتى نُداوم عليها بوقوع الصبر منك الذي يسهل به الصعب ويحلو به المر، وعن معصيتك التي جعلت حلاوتها تحول بين العبد وبين ربه بحكمة ما أودعت فيها من فتنة الجسم السارية عنك للعقل حتى يحصل الذهول عن الشهوات التي تكون من قبيل ما أبحته للعبيد إلاَّ أنها لموافقتها لأغراض النفس تكون الموجبات للنقص في المحبة لك وهذا راجع للشهوات المباحة أو البعد عنك، وهذا راجع للمعصية بحسب الظاهر أو الجميع راجِعٌ للمعصية ومطلق الشهوات والله أعلم.

وهب لنا حقيقة الإيمان أي ماهيته الحقيقية التي تؤدي صاحبها المتصف بها إلى التعلق بالله في جميع الأحوال فلا يكون عبداً لسواه في حال من الأحوال أبداً، وقد قال: واجعلنا عبيداً لك في جميع الحالات بك، وجوداً وشهوداً، ذاتاً وصفة، وأفعالاً، فلا نرى في الكون سواك موجوداً ذاتاً وصفة وأفعالاً، لأنك إذا رفعت الحجاب عن قلب المؤمن آمن بك حقيقة لشهوده إياك وأنت إذا ظهرت بطن كل شيء فلم يظهر معك غيرك فلا نخاف غيرك لعدم وجوده، ولا نرجوا حتى لا نخاف غيرك، أي يضرنا ولا نرجوا غيرك لأجل حصول النفع منه، ولا نحب غيرك لأجل ظهور محاسنه لغلبة نورك في شهود البصيرة على كل شيء، فلا يظهر لنا. ولا نعبد أي نخدم شيئاً سواك لوجود موجبات الخدمة والعبادة فيك، ذاتاً في نهاية العظمة والعزة، وصفة من أجل محاسن المظهر والانفراد بالظهور وأفعالاً من جهة شمول الرحمانية في كل فعل ووقوعه في مركزه اللائق به بحيث يقال ليس في إمكانات التقادير أبدع مما كان، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية 8] ولا يمكن تقديره في عقل.

ولذلك قال الشيخ أبو حامد الغزالي: «ليس في الإمكان أبداع مما كان».

وأوزعنا، أي ألزمنا وإن كرهنا شكر نعمائك بالاعتراف بأنها منك مع الشغل عنها بشهود أنوار ذاتك لأن أقل أحوال شكر الإحسان الاعتراف بأن

النعمة من المنعم كسراً، وغَطِّنَا، أي استرنا برداء عافيتك هذا من إضافة المشبه به إلى المشبه بعد حذف أداة التشبيه، أي بعافيتك التي هي كالرداء في الستر من العيوب والوقوع في المساوِيء شرعاً هو رداء العافية الحقيقي، وانصرنا أي أيدنا باليقين أي التعميم على أن ما هو في باطن العلم لا بد من وقوعه خيراً كان أو شراً ولا ينفع في ذلك اجتهاد في الهروب إن كان شراً ولا تقاعد ولا تكاسل إن كان خيراً، والتوكل عليك وحدك دون سواك لأن من استقل بالاعتماد عليك كَفَيته جميع الأمور فصار غنياً بك غير محتاج لسواك وأسفر وجوهنا أي نوِّرْها بنور صفاتك الظاهرة في كل شيء، وأضحكنا أي أبسطنا وبشرنا بشارة الرضى منك عنا كبياض الوجه وأخذ الكتاب باليمين وحصول المعرفة لك عند تجليك في المحشر بظهور الساق الذي عرفناك به في الدنيا يوم القيامة بين أوليائك الذين توليتهم فكنت لهم ولياً ونصيراً ومن كنت له كذلك فهو من الفائزين، جعلنا الله منهم بجاه النبي والآل.

واجعل يدك: حرمة سطوتك مبسوطة، أي شاملة لنا مسدولة علينا وعلى أهلينا وأزواجنا ومن انضاف إلينا وأولادنا أي نسلنا حساً أو معنى كالسالكين طريقه رضي الله عنه ومن معنا من الإخوان والمؤمنين برحمتك لنا جميعاً وحصول اللطف والرأفة منك، ولا تكلنا، أي تتركنا إلى أنفسنا الحادثة العاجزة طرفة عين بقدر حط الطرف على الطرف ولا أقل من ذلك، أي أدنى من ذلك، لأن من علامة الهلاك أن يترك أحداً موكولاً لقدرته وهو من حينه عاجز، يا نعم المجيب إذا أجاب أحداً من الداعين أعطاه فوق السُّؤْلِ واستعلى به فوق المأمول، يا نعم المجيب يا نعم المجيب، يا نِعْمَ المُجيبُ، إنما كرره ليشرب القلب من حسن الثناء عليه سبحانه بما هو لائق به. وعبَّر بنعم لأنها جامعة لجميع أنواع الثناء على عكس بيس يا من هو هو، أشار بهو إلى انفراده سبحانه بالهوية والحقيقة فلا هوية لغيره ولا حقيقة له لأن الغير كله مستمدٌّ منه وما كان مستمداً منه فليس بموجود معه هو في علوه أي علو رتبته وعزّة سلطانه وكمال اقتداره حتى رق معناه فقيل إنه سواه، لبطون نوره في مظاهر الصفات، قريب من كل شيء لوجود الأشياء به واستمدادها من صفاته، يا ذا الجلال والعظمة والكبرياء والعزة والقهر الذي لا يبلغ مداه والإكرام الكثير الذي غمر الوجود

بالعطاء والجود فلم يخص المؤمن دون الكافر ولا المطيع دون العاصي، يا محيطاً أي عالماً علم إحاطة وإيجاد لها بالليالي عدداً وأجزاء، والأيام أي الأيام كذلك، مع العلم بالواقع فيها قبل الوقوع وبعده، أشكو إليك أي أعلمك إظهار التضرُّر وإلاَّ فأنت بالحال عليم، من غم الحجاب، الغم: ما يغم العقل من جميع جهاته من الهموم البالغة، ولا غم يوازي غم الحجاب عن الله لأن الخاصة لا تطيق الصبر عليه فلذلك رفع شكواه به إليه سبحانه وسوء الحساب المؤدِّي إلى إهلاك المحاسب فتحاً فهذا النوع من الحساب، وهو الحساب السيىء الذي يناقش صاحبه فيه هو عين الهلاك وشدة العذاب الواقعة لمن كان مسيئاً مثلي وإن ذلك، أي غم الحجاب وسوء الحساب وشدة العذاب، لواقع لكثير من الناس، أو واقع منك لي لما نشاهده من سوء عملي وقبيح صنيعي ووجود تقصيري بصادق ذكرك لأحوال أهل الجرائم والذنوب ومن كان مسيئاً مثلي. وهذا منه كله رضي الله عنه حال عبودية صرْفة وشهود فضل محض من ربوبية عزيزة قاهرة فلذلك أسرع إلى الاسم العظيم الأعظم الذي به يستجاب لأهل الغم، وهو قولك لا إله إلاَّ أنت، ما له دافع إن لم ترحمني بمغفرة ذلك والتجاوز عنه، وأما إذا رحمتني فلا بأس عليّ لأن عقابك معلق بعدم وجود رحمتك للمذنب لا بوقوع الذنب. ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾ أي في الوجود أتعلق به ﴿إِلَّآ أَنتَ﴾ وحدك ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي تنزيهاً لك عن أن يكون معك ما ينفى بأداة نفي لظهور انفرادك بالوجودِ للخاصة بالذات، وللأواسط بعموم الصفات، ولأهل البداية بالاستقلال بأنواع التصرفات، إذ الموجود بنفسه مستبد والموجود بغيره مستمدٌّ فلا تصرف إلاَّ للموجود بذاته، وأما الموجود بغيره فلا تصرف له. ومن ذلك ظهر عموم الصفات ثم من عموم الصفات يظهر للواصل في نهاية سيره انفراد الذات جعلنا الله ممن عرفه ذاتاً وصفة وتصرفاً وأفعالاً بجاه رسوله عليه الصلاة والسلام. ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 87] وهذه توبة مفروغة في أحسن قالب لكونها جمعت بين تفريد وتنزيه واعتراف بالذنب على وجه يستدعي بسرعة نزول رحمة أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين حيث عبر عليه السلام عن الواقع منه بالظلم مستصغراً رتبة نبوءته ومتواضعاً بين يدي كريم ما عرف منه إمساك عن سائل فكونه في جملة الظالمين غير منفرد عنهم بمزية أصلاً

لأنه لو قال إني ظالم ربما أوهم أنه منفرد عن الظالمين بمزية فليس مثلهم. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: الآية 87] كرر هذا الاسم ليشرب قلبه رضي الله عنه من الرحمة الواردة على المذنب المعترف بظلمه وجرمه المتصل منه بين يدي الفاعل المختار الذي لا قاهر فوقه يحمله على مؤاخذة الذنب حتماً بل هو سبحانه فاعل ما يشاء وحاكم ما يريد وترديد الاعتراف بالذنب بين يدي الكرام من الأمور الجالبة لرحمتهم لمن استرحمهم ألا يرى إلى الرجل الذي قال: يا أرحم الراحمين ثلاث مرات قال له عليه السلام: «امسك فقد استجيب لك» أو كما قال عليه السلام. ولقد شكا إليك، جعل الشيخ رحمه الله يستعطف الحق سبحانه ويستجلب رضاه وإجابته بذكر كرمه على كل من شكا إليه أمراً أضرَّ به وذلك من حسن ظنه بالله في تحقيق إجابته، لأن من هؤلاء الكرام من شكا، ومنهم من نادى، ومنهم من لم يسئل جملة وتغمد سبحانه الكل برحمته وغمر الجميع بكرمه لوجود صدقهم في محبته ووجود سابقة الاصطفاء لهم يعقوب لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: الآية 86] وحزنه عليه السلام حزن الرحمة لا حزن الغمة فخلصته من حزنه ورددت عليه ما ذهب من بصره زيادة على مسؤوله وذلك شأن الكرماء وأنت أكرمهم لكون كرمهم من كرمك مأخوذ ولو لم يكن كرمك ما حصل في أحد خيال الكرم ولا وصفه أصلاً، وجمعت بينه وبين ولده على أكمل حال زيادة في بسطه عليه السلام ورحمة لولده حيث صبر على ما أصابه أولاً من ذلّ البيع وحسرة السجن وغمته وذلك حال الكريم الذي تقاصر الكرماء جميعاً عن قرب إحسانه فضلاً عن المساوات. ولقد ناداك نداء اضطرار وافتقار إليك بدليل الإجابة ولولا الاضطرار ما حصلت الإجابة، قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ﴾ [النَّمل: الآية 62] ثم قال: ولقد ناداك نوح عليه السلام من قبل فنجيته أي خلصته وأهله إلاَّ امرأته وفيه دليل على أن الإيمان سبب للنجاة من كربه الذي أصابه من أجل كفر قومه وتسلطهم عليه حيث كان الداعي إليك والمتعصب لدينك الذي أمرت به وهذه عادتك مع كل من يتعصب لك ويغضب لأجل التلبس بما يغضبك من الناس، ولقد ناداك أيوب نداء عبد ضعيف أضر

به البكاء وطال به المرض ولم يعلم مخلصاً له من ذلك إلاَّ أنت، والعبد عبد والرب رب، وإن حصل له تأييد الصبر فربما رجع إلى فقره وضعفه الأصلي من بعد فكشفت، أي أزلت ما به، أي أصابه من ضره الذي أنزلته به وظهر عليه من الرضى بالقضاء والصبر على البلاء ما أكرمته به حتى استحق أن تقول: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [ص: الآية 30]. ولقد ناداك يونس نداء عبد لم تعلمه من باطن العلم إلاَّ ما جزم به أن العذاب نازل بقومه وأخفيت عنه شرط عدم إسلامهم فإن أسلموا لم ينزل بهم عذاب وقضيت بإسلامهم فكان ظاهر الوعد لا يقضي على باطن العلم فبقي الكل تحت هيبة الجلال وبسط الجمال فنجيته من غمه الذي أصابه من جهة عتابك له المؤذن بوقوع سوء الأدب بين يديك حيث خرج مغاضباً قومه حالفاً ألا يرجع إليهم وكانت عاقبة أمره خيراً حيث كان غضبه تعصباً لله لا انتصاراً لنفسه لأن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لا يغضبون إلاَّ لانتهاك محارم الله لا انتصاراً لأنفسهم، وقتل النبي ﷺ اليهودية التي سمته من باب الانتصار لله لأن من يؤذي النبي أو يسيىء الأدب عليه يقتل بدون استنابة لأن إساءة الأدب عليه من باب التجاسر على الله، وكذلك المنسوبون إلى الله إن انتصفوا ممن تجاسر عليهم فهم غير منتصرين لأنفسهم بل هم لا يحبون التجاسر على نسبة الله إذ هم أنصار الله الذَّابُّون عليه سبحانه وتعالى.

ولقد ناداك زكريا عليه السلام نداء اضطرار حيث خاف أن يضمحل دينه بعد موته فوهبت له ولداً صالحاً من صلبه يرث نبوءته ويقوم من بعده بدينه بعد يأس أهله من الولادة وكبر سنه بحيث عجز عن تعاطي الولادة من حيث أن ماء الشيخ الهرم لا ينعقد. ولقد علمت واطلعت على ما نزل بإبراهيم عليه السلام من إرادة قومه لإهلاكه وحرقه بالنار وهو مع ذلك ناظر إليك مكتفياً بما في علمك عن الطلب وراض بحكمك وقضائك فأنقذته أي أنجيته وخلصته من نار عدوه الموقدة حيث أرادوا إلقاءه فيها وأنجيت لوطاً عليه السلام حيث قام بالدعاء إليك والعكوف بالصبر على تنفيذ أوامرك ونواهيك، وأهله من العذاب النازل بقومه فها أنا ذَا عبدك إن تعذبني عقوبة لي بجميع ما علمت أنت بالخصوص الذي علمك أوسع من علم العالمين جميعاً من عذابك: أنواع عذابك التي لا نهاية لها لأنه ما من عذاب إلاَّ وفي طوق القدرة ما هو أشد

منه، فأنا حقيقٌ به غير مظلوم في الواقع لأن جسارة العبد في الأوامر داع إلى تغليظ العقوبة عليه على قدر حرمة السيد وخسة العاصي وحرمتك لا نهاية لها، فالعبد إذا عوقب بجميع أنواع العذاب فهو حقيق به وإن ترحمني بالعفو عن سوء فعلي كما رحمتهم بدون ذنب صَدَرَ منهم لوجوب عِصمتهم عليهم الصلاة والسَّلام من الذنوب إطلاقاً كما لابن عربي ونقله أبو علي وذكر اللائق بمنصبِهم الشريف مع عظيم إجرامي فلا يكبر عليك ذلك ولا يعظم في جنب رحمتك التي وسعت كل شيء، فأنت أولى بذلك المفعول من وقوع الرحمة مع عظيم الجرم وأحق من أكرم به. لأنك غني على الإطلاق والغنى المطلق في المجرم أظهر منه في سواه، وأنت عزيز على الإطلاق والعزّة في العفو عن المسيء الكثير الخطايا من غير معارض ولا راد للحكم بذلك أنْصع منها في رحمة المطيع فأنت إذاً أولى وأحق من يكرم بالرحمة للعاصي والمغفرة له لعدم المعارض لِك في كل قضاء تقضيه بخلاف غيرك فإن أوقع العفو في موقع العقوبة أثم وعوقب لوجود من هو قاهر فوقه، حاكم عليه، أن لا يتعدى ما حد له فإذا خالف شيئاً مما حدَّ له هلك فلا يستطيع نفعاً ولا ضراً، بل هو للقاهر تابع فيما أمر به والحق سبحانه أولى بأن يرحم لأنه لا حجر عليه في شيء بل هو القاهر فوق عباده. فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعك في أوامرك ونواهيك وأقبل عليك لأن كرمه سبحانه ظاهر العموم في الدنيا والآخرة لأن كثيراً في الدنيا قد استوجب الحرمان وهو غريق في بحار الإحسان، وكثيراً في الآخرة قد استوجب دخول النيران فعدل به إلى سكنى الجنان، كل ذلك بيان لسعة الفضل وعموم الكرم ودليل الانفراد بالعز والفعل بالاختيار، وأنه غير مكره على أمر وحال، فضله ليس موقوفاً على شيء ولكن حكمته اقتضت التحذير والتبشير، بل هو مبذول، أي معطى بالسبق لمن شئت من خلقك لقولك: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجُمُعَة: الآية 4] فإيتاء فضلك معلق بمشيئتك لا بوجود الأعمال ولا بظهور أحوال وكذلك كونك لا تسأل عما تفعل وإن عصاك ظاهراً وأعرض عنك باطناً فجمع بين الخستين خسة المعصية ووجود الغفلة، لأن المعصية مع استشعار هيبة الربوبية لا تتمكن من القلب كل التمكن، بخلاف المعصية مع وجود الغفلة، فهي غيبة تامة عن الحق سبحانه

ومع ذلك الله يؤتي فضله من يشاء ومن سبقت له العناية لن تضره الجناية، وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو سبحانه أرحم الراحمين وأجود الأجودين وليس من حقيقة الكرم ألا تحسن إلاَّ لمن أحسن إليك الذي أنت موصوف به ومخصوص به وذلك الكرم القديم اللازم له صُدُور الإحسان من الموصوف به للعبيد على كل حال، فلا يقتضي ألا تحسن إلاَّ لمن أحسن إليك، والكرم القديم الذي لا يتبدل ولا يتأثر بسوء الأفعال وقبيح الأعمال هو كرم الغنى في جميع صفاته التي لا نهاية لها لأنك تنفق على العباد من جملة الأوصاف ولا ينفذ لك وصف، فتعطي الحلم ولا ينفذ، ولو حلمت على العالمين، وتعطي المغفرة ولا تنفذ مغفرتك ولو أجرم كل من في الوجود بجرائم الوجود، وتعطي الرحمة ولا تنفذ رحمتك ولو استرحمك الوجود وكل واحد منهم في ضعف جميع الوجود، وتعطي الإحسان ولا ينفذ إحسانك ولو سألك كل من جميع الوجود بسؤل جميع الوجود فكل ذلك لا نهاية له بخلاف غيرك. وحاصل الأمر أنك موصوف بكرم لا يقتضي ألا تحسن إلاَّ لمن أحسن إليك. والحالة إنك المفضال البالغ النهاية في الفضل، الغني عن إحسان المحسنين، فليس كرمك موقوفاً على إحسان محسن لأنَّا شاهدناك في هذه الدار تحسن عموماً بكرم قديم موجود قبل ظهور الأفعال ووجود الأحوال، وأنت المفضال الغني فلا يحسن إليك أحد ولا يسيء إليك أحد لغناك عن الفريقين فلا يتخطى كرمك المسيء لكونك مفضالاً ولا يتسبب أي كرمك عن طاعة مطيع لوجود غناك عن العالمين، بل من الكرم الذي أنت موصوف به أن تحسن لمن أساء إليك على الفرض والتقدير أن لو كان يسيء إليك أحد بالعفو عن زلاته والصفح عن هفواته لأن ما كان قديماً لا يتغير بكثرة سوء الأعمال وتقلبات الأحوال بل يبقى بحاله الذي هو به من عمومه للمحسن والمسيء والقوي في الطاعة والضعيف، لأنه كرم مجرد عن العلل والأسباب، مبذول بحكم السابقة لمن أسعده الملك الوهاب، من غير توقف على أعمال، ولا تحسين أحوال، أفاض الله علينا منه ما يَغُمُّ الذنوب ويزيل العيوب ويحمينا برعايته من اتباع الهوى ورؤية السوى بجاه مولانا رسول الله ﷺ أن تحسن لمن أساء إليك على سبيل فرض المحال أن لو كان يسيء إليك مسيء وإلاَّ فالطاعة صادرة عنك، وكل شيء بقدرتك

وإرادتك، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية 96]، وأنت الرحيم العلي ومن كان رحيماً على علو قدره وعزة سلطانه وعدم المعترض لحكمه وقضائه بالراحمية يرحم ولا يبالي، بخلاف من كان رحيماً وهو غير عزيز في ملكه ولا عال في قدره فإنه وإن رحم ربما اعترض رحيميته من هو أعزّ منه وأرفع قدراً وأعلى منصباً فهو يرحم على تَخوف ممَّن هو فوقه أن يعترض حكمه، والعزيز الذي ليس فوقه أحد يرحم العالمين جميعاً ولا يبالي، والحمد لله على العبودية له، كيف لا يكون الأمر كما ذكرنا من كونك تحسن لمن أساء، وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا. ولا يبلغ رتبة الأمر بالإحسان للمسيء إلاَّ من تلبس بنهاية ذلك الوصف الجميل، وكيف لا يكون الحق كذلك والجمال جميعاً وصفه ذاتاً وصفة وأفعالاً، فأنت أولى بذلك لظهور سطوتك وبلوغك من الاقتدار إلى نهاية بحيث لا يعجزك شيء ولا يعترض حكمك رد، والأشياء جميعاً منك بدأها وإليك عودها، فلا يكيدك ما خلقت ولا يغضبك ما صنعت إلاَّ أنك تسند المشيئات للأسباب حكمة إلٰهية وإلاَّ فالسعيد من أسعدته والشقي من أضللته والكل تحت سرادق الإحسان، أو مجيب لداعي العزة والسلطان منا لأن من المسيئين إلينا من لا نستطيع الإحسان إليه بل لا نستطيع العفو عنه، فضلاً عن الإحسان إليه، وذلك لضيق أخلاقنا ووصول الإذاية إلينا، وأنت مولانا تتعالى أن ينالك ما ينال العبيد فتحسن لمن أساء إليك فضلاً عن العفو عنه لسهولة الأمر لديك بتمكنك مما تريد، وعدم القاهر لك والرَّادّ لمرادك مع غناك بذاتك عن كل شيء لظهور الكل منك، ولو شئت لم تقع معصية من عاص ولكن أردت ظهور كمال الربوبية لإسناد النقص للعبيد:

ونديمهم وبهم عرفنا فضله
وبضدها تتميز الأشياء

فسبحان من له ظهور الكمال الذي لا يختلف فيه اثنان بظهور نقص العبيد الذي نال كل حيوان، ولذلك قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريَم: الآية 93].

ربنا ظلمنا أنفسنا بالواقع منا ظلماً لا عذر لنا فيه تقع النجاة به إلاَّ أن

تغفره، وإن لم تغفر لنا وتتجاوز عنا وترحمنا برحمتك التي لا تضيق بذنب لنكونن من الخاسرين الذين استوجبوا العقوبة منك فهلكوا، يا ألله يا ألله يا ألله، يا رحمٰن يا قيوم يا من هو هو هو من الأمر العظيم الذي لا تدرك له غاية في العلو والعزّة بحيث يكنى عنه بالضمائر دون التصريح به، كما يقال: فلان هو من هو هذا بحسب ما يظهر لأهل الظاهر وإلاَّ فهو يشار به للحقيقة المفردة بحيث ليس له دلالة أصلاً إلاَّ عليها بخلاف اسم الجلالة الذي هو الله، فإنه بكماله يدل على الذات وإن نزعت منه الألف بقي لله، فله دلالة على الملك، وإذا نزع الألف واللام الأولى بقي له، فله أيضاً دلالة على غير الذات، وإذا نزع الألف واللامان بقي هو، وليس له دلالة إلاَّ على الذات. فهو أخص من لفظ الله، يا هو إن لم نكن لرحمتك أهلاً أن ننالها لما حال بيني وبينها من أنواع المعاصي وضروب السيئات التي تحمل الإنسان على استبعاد وصول الرحمة له ووقوع الصفح عنه والعفو لولا أنها رحمة من لا يعبأ بذنب ولا يكترث بطاعة لغناه عن العالمين، فيجزم لأن رحمتك أهل أن تنالنا لأنها رحمة من غيب الجميع في سرادق رحمته لأن من رحمته وجود الكونين وظهور سيد الثقلين الذي هو أصل أحدي ونور محمد، وقلت وقولك الحق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية 107]، وكيف لا تكون رحمتك عامة للمطيع والعاصي ونحن بِمَرْأى من ذلك ومسمع، بل نشاهد العارف بك الذي منحته نور شهودك ومزجته بنقطة الوحدة يرحم بطريق الذوق عموماً من حيث غلبة رحمتك المثبتة فيه من دخول حضرتك، فكيف بك وأنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، يا رباه يا مولاه يا مغيث من عصاه، فضلاً عمن أطاعه، لسعة فضله ووفور حلمه وعفوه، أغثنا أغثنا أغثنا يا رب أي يا من شأنه الرحمة لكونه قريباً بجميع الكائنات بجلائل الإحسان، يا كريم بالكرم القديم الذي لا يتغير بمعصية ولا يجلب بطاعة لتنزيهه عن العلل والأسباب، وارحمنا رحمة شاملة في جميع الأحوال يا بر من البرور، يا رحيم، أي يا من له أعلى أوصاف الرحمة، يا من وسع، أي أحاط كرسيه أي أوائل نوره الذي يَصْعد منها لعرش ظهوره الأولياء والعارفون السماوات السبع والأرض، ولا يؤده أي يثقله حفظهما فأنت لا تثقلك ذنوب ولا ينقص عفوك بالتجاوز عنها كما لا يؤودك

حفظ السماوات والأرض الذين هما من أعظم مخلوقاتك وهو العلي في قدره، العظيم في سلطانه، أسألك أي أطلب منك حقيقة الإيمان بِكَ، بحفظك أي من اتباع الهوى وشهود السوى، إيماناً وهو إيمان الكُمَّل من الأولياء والعارفين، وهو الذي يكون يسكن به قلبي إليك ويستريح من هم الاهتمام بالرزق وخوف الخلق، وأقرب مني بقدرتك لا بسبب من الأسباب لأن القرب منك الماحق للحجاب لا سبب له إلاَّ أن تتفضل به لأنه ليس مَعْلُولاً بالأعمال وإنما هو محض فضل، وإلاَّ فالأعمال في نفسها إن وقع الوقوف معها عين الحجاب وكيف يكون الحجاب سبباً في زوال الحجاب، ولذلك ترى كل عارف أزال الله عنه الحجاب شاهداً على نفسه بالله إنما زال بمحض الكرم لا بسبب لأنه يرى أنه لا يعلل بشيء ولا يوصل إليه بأمر غير القدرة الإلٰهية، قُرْباً تَمْحَقُ أي تزيله وألا يأتي على جميعه به عني كل حجاب بيني وبينك من الأوهام وإلاَّ فليس معك أحد حتى يحجب عنك مَحَقْتَهُ عن إبراهيم خليلك حتى أفضى إلى الغنى بك والكون منك بمرأى ومسمع، ولكن لكل مقام مقال، فمَحْق الحجب عن الأولياء ليس كمحق الحجب عن الأنبياء، لأن عبش البشرية لا ينقطع عن الأولياء وإن جل أمرهم وعظم شأنهم لأن للأولياء الحفظ وللأنبياء العصمة وفرق بين المقامين، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لأفضل أمة وهم الصحابة: «وأيكم يملك أرْبَه» كما كان رسول الله ﷺ يملك أربه»، فلم يحتج لجبريل عليه السلام بمحق الحجاب أزال الوسائط والأسباب، رسولك الذي أرسلته إليه امتحاناً وإعلاماً له بشدة شهودك في مظان الغيبة عنك بل لم يحتج لجبريل عليه السلام ولا لسؤاله منك لوجود غناه عن السؤال بشهودك فهو قد رآكَ من حيث تراه فقد رآك بك إعارته طرفاً رآها به فهو لك من حيث تراه لأن رؤيتك له تثبته موجوداً في فقد، وبك من حيث يراك لأن رؤيته لك تمحوه فيكون فقداً في وجد، وهو جمع بين جذب وسلوك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» يعني، والله أعلم، فانظر لنفسك هل تراه من حيث يراك وهو مقام اتحاد من غير تعدُّدٍ لأنه لا يراك إلاَّ منه وإليه، فإذا رأيته من حيث يراك كنت في حقيقة ولا شريعة، فأنت به باطناً من حيث ظهوره وأنت به ظاهراً من حيث بطونه، وحجبته بذلك أي بشدة القرب معنى حتى صار

معناه حساً وامتزج الأمر بالأمر ظاهراً وباطناً، فصارت النار لبرد أصل من الماء فلم يكن لها تأثير في مثلها لاستحالة أن يناله سبحانه ما ينال العبيد، ولذلك تظهر على يد الأنبياء والأولياء الخوارق التي هي عن قدرة الرب من نار عَدُوّه نَمْرُود.. وكيف لا يحجب عن مَضَرَّةِ الأعداء مطلقاً لا خصوصية لعدو دون آخر من غيبته بشهودك والغنى بك وإظهارك له أن الأمر جميعاً منك، وأنت الظاهر في كل شيء والباطن في كل شيء، فلا نفع من حبيب ولا ضرر من عدو مريب، وبذلك غاب عن منفعة الأحباء فهو لا يشاهد منهم نفعاً إذ من المحال أن يشاهد غيرك من يشاهدك لأنك إذا ظهرت ظهرت منفرداً، وإذا بطنت بطنت منفرداً، وليس لمن يشاهدك من حبيب سواك ولكن حكمة القادر اقتضت أن يكون المحجوب بظلمة الكفر عدواً للمؤمنين فهم بحكمه وحكمته تبع والمَرْءُ على دين خليله، وقد قال عليه السلام: «الحب في الله والبغض في الله من الإيمان». وإنما قال عليه السلام: من الإيمان، إشارة إلى مقام الشهود والعيان، فهم لا يبغضون إلاّ من باب الكتمان للسرِّ وإبقاء لقانون الحكمة بحاله، وإلاّ فلهم رضي الله عنهم الرحمة العامة للخلق جميعاً تخلقوا بأخلاق الرحمانية للكل أبداً.

ولم يسأل الشيخ مقام إبراهيم بعينه لاستحالة ذلك، وإنما سأل ما ظهر على لسانه من أن يبلغ مبلغاً يغيب به عن مضرّة الأعداء في الجملة كما غُيِّب عن منفعة الأحبَّاء بشهود النفع والضر من الحق سبحانه، وأن يجد في التعصب لله حتى يلقى نفسه دون رضاه طلباً له، كلا أي لا يمكن أن لا يحجب عن مضرَّة الأعداء من غُيِّب عن منفعة الأحباء لأن من خرقت له العوائد في شيء خرقتْ له العوائد في ضده، وسيدنا إبراهيم عليه السلام حيث خرقت له العوائد بالاستغناء عن جبريل عليه السلام وعن كل شيء ينتفع به حتى عن السؤال التي ركبه الأكابر في مقامات الضيق خرقت له العوائد في إحراق النار، وكيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق على نفسك العوائد مع الله، فبقدر إزالة الحجاب يظهر لك العلم.

فمن علامة أن الله خرق لك العوائد بالكشف خرقك للعوائد في الشاهد

والظاهر، وإذا سمعت مقالة سيدنا إبراهيم عليه السلام في حال ضيقه الظاهر وسمعت قول مولانا رسول الله ﷺ الذي سبَّح الحصى في كفه حيث كان في الغار وذلك قوله لصاحبه: «لا تحزن إن الله معنا» علمت أنها شنشنة إبراهيمية قطعاً إلاَّ أنَّ صاحب الغار عليه أفضل الصلاة والسلام قريب بالذات، ولذلك أسند المعية لها وصاحب النار قريب بالصفات فعبّر عنها بعلمها، ولذلك قال: «علمه بحالي يغني عن سؤالي» فهو عليه السلام خرقت له العوائد برجوع الحر للبرد. وسيدنا محمَّد عليه الصلاة السلام خرقت له العوائد بمصير الإظهار كالإضمار وعدم رؤية العدو له جملة لغيبته في نور الذات اللطيفة التي لا تدركها الأبصار. وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه لما سَرَى فيه حال الرسول عليه الصلاة والسلام لتعلق همته به حتى أثبت له الحق سبحانه وصف الصحبة له في موضع ووقت ينكر الإنسان فيه ابنه وأباه اختفى رضي الله عنه كاختفائه سواء، لأن محبة الشيخ لتلميذه تلبسه حاله لا محالة، والله تعالى أعلم. إني أسألك أن تغيبني عن عوالم الحدوث إلاَّ من طريق قيامها بك وإثباتك لها بقربك وشهودك مني حتى لا أرى بعين البصيرة سواك، ولا أحس بالحواس الخمس التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس بقرب شيء أياً كان حبيباً أو عدواً أو غيرهما من سائر السوى ولا ببعده عني كذلك، فأكون مستغرقاً في شهود أنوارك غائباً عن القرب والبعد جميعاً في حضرة انفردت عن العوارض وإنما هي نور منفرد وذات، أي حقيقة مستقلة، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 26]، فلا دافع لك عما تريد، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ وظننتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، بطريق الإشارة، ﴿عَبَثًا﴾ لا تمتزج أسراركم بأسرارنا ولا أنواركم بأنوارنا، وإن الأعمال الظاهرة هي المقصودة بالذات منكم، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية 115] لشهود الذات في مظاهر الصفات، كلا ليس الأمر كما تحسبون وتظنون، بل إنما خلقناكم لتكونوا بصفاء السرائر وخلوص الضمائر منا وإلينا، وإلى هذا الإشارة بقوله عليه السلام في الحديث القدسي: «كنت كنزاً لم أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف». ﴿فَتَعَٰلَى﴾ [المؤمنون: الآية 116] أي تنزّه ﴿ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ﴾ للأشياء حقاً لأنها له خلقاً وإيجاداً من حيث تجليه فيها ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا ظهور لشيء معه ولا وجود له أصلاً وإنما السوى باطل محض لأن عموم

قيوميته بكل شيء أبطل أن يكون وجود شيء معه، ولذلك أعقب هذا الكلام بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ﴾ أي خالق ومُبْدع ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾، العرش الكريم الذي اندفع منه وجود كل شيء لاستواء الرحمٰن عليه من جهة وجوده به ﴿وَمَن يَدْعُ﴾ ينادي ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ سِوَى الحق سبحانه ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾، أي لا دليل ﴿بِهِۦ﴾، أي عليه أو بسببه، ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ على ذلك ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ لا عند غيره، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: الآية 117] الجاحدون له ولما جاءت به رسله عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَقُل رَّبِّ﴾، أي يا رب، حذفت ياء المتكلم اجتزاء عنها بالكسرة الدالة عليها ووقع في هذه نداء الرب استعطافاً له سبحانه لأن الربَّ ابتدأ بالإحسان في حال الضعف وعدم القيام بالمصالح، فلا جرم أن يرحم ويغفر وهو أحق بأن ينادى لما ألف منه من الإحسان وعظيم الامتنان. ﴿ٱغْفِرْ﴾، أي لا تؤاخذنا بالجرائم لأنك غفور، ﴿وَٱرْحَمْ﴾ [المؤمنون: الآية 118] لأنك رحيم أي كثير الراحمية، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي أفضلهم لأن الوجود جميعاً إن جمعت رحمتهم فلا يصلون إلى أقل القليل من رحمتك، وهل في رحمتك قليل، كلا، والله ما نعلم من رحمتك قليلاً بل جميعها كثير، فللّه الحمد على العبودية لك يا أرحم الراحمين، ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ﴾ [البقرة: الآية 255] حقيقة يسمع دعاء الداعي ويستجيب إن أراد بخلاف غيره فهو في حياته ميت. وقد قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: الآية 14] فادعوه لأنه الأحق بأن يُدعى وتطلب منه الحوائج، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: الآية 29] أي جاعلين التلبس بهذا الدين لوجهه الكريم لا لشيء سواه، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: الآية 2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية 56] ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: الآيات 180-182].

شـرح توضأ بماء الغيب

لا شك أن هذه الأبيات تنسب لأبي القاسم الجنيد رحمه الله، وهو الجاري على الألسنة. وقال شيخنا رضي الله عنه عند إرادة شرحها هذا: إنها للعارف الأكبر، سيدي ابن العربي الحاتمي كما في الطبقات للإمام سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عن الجميع، والله تعالى أعلم.

تـوضـأ بـمـاء الـغـيـب إن كـنـت ذا سـرٍّ
وإلاَّ تـيـمـم بـالـصـعـيـد أو الـصـخـر
وقـدِّم إمـامـاً كـنـت أنـت إمـامـه
وصـلِّ صـلاة الـفـجـر فـي أول الـعـصـر
فـهـذي صـلاة الـعـارفـيـن بـربِّـهـم
فـإن كـنـت مـنـهـم فـانـضـح الـبر بـالـبـحـر

ومعنى توضأ بماء الغيب، والله أعلم، تطهر من جنبات الهوى وحدث وجود السوى بماء شهود الذات الناسخ للأسباب والآلات وهو ماء اللطافة الأزلية الباطن في ظهوره، الظاهر في بطونه، الأول في آخريته، والآخر في أوليته، الموجب لفناء الأكوان في وجودها ووجودها في فنائها حتى لا يكون لك عن نفسك إخبارٌ ولا مع غيرها قرار، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه.

وأهل الأسرار هم الذين بالغوا في تطهير بواطنهم من شهود الآثار وملاحظة الأغيار حتى غابوا عن عالم الكثافة بدخولهم في عالم اللطافة.

وقوله: وإلاَّ تيمم بالصعيد أو الصخر، معناه والله أعلم، وإلاَّ تكن من المقربين المشاهدين لأنوار رب العالمين بأن كنت مريض الجنان بعلة شهود الأكوان ولم تقدر على استعمال ماء الغيب الجاري من العالم اللطيف الذي هو عالم البطون، ولا يقدر على استعماله إلاَّ من تلطف حتى ذاب وحضر حتى

غاب فاستعمل طهارة المرض التي هي التيمم بصعيد عالم الكثافة الذي هو عالم الظهور الجاري من عالم الصفات، حتى تصح من مرضك وتدخل منه إن شاء الله لعالم الذات لأن عالم الظهور في السير باب لعالم البطون، وإمام مقدم عليه حتى إذا حصل الفناء تبين أن الظاهر باطن وأن البطون في الظهور كامن، وصار الباب بيتاً والصفات ذاتاً والإمام مأموماً، والمتقدم تأخره واضحاً معلوماً. وإلى هذا المقام أشار بقوله:

وقــدِّم إمــامــاً كــنــت أنــت إمــامــه

وصــلِّ صــلاة الــفــجــر فــي أول الــعــصــر

أي تحقق بفنائك وتمكَّن فيه وارسخ حتى يصير عندك ما كان إماماً ظاهراً من آثار الصفات مأموماً باطناً ممحوق الكون في وجود الذات، وتعلم أن فجرك الأول هو عين عصرك الآخر من غير أول ولا آخر، لأن قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحَديد: الآية 3] قد نفى الأول والآخر، وأن الذي تجلى لك باسم الباطن هو الذي تجلى لك الآن باسمه الظاهر، وتقف من دائرة التوحيد على نقطة التفريد متحققاً بمعنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ﴾ [الحَديد: الآية 3].

فهذه الأمور المذكورة هي صلاة العارفين بربهم، أي الصلاة المعتبرة عندهم. وأما ما يفعلونه في العبادة الظاهرة فإنما هي صون للسِّرِّ وقيام بأدب الحكمة الذي هو كمال ليقع الجمع بين الحقيقة والشريعة وبين القدرة والحكمة وبين الجذب والسلوك، ولذلك قال: فإن كنت منهم فانْضَح شريعتك ببحر حقيقتك لتكون عارفاً بربك مجموعاً في فرقك ومفروقاً في جمعك، مشاهداً للكثرة في الوحدة، والوحدة في الكثرة، والظاهر في الباطن، والباطن في الظاهر، والآخر في الأول والأول في الآخر، قائلاً في الأكوان الماء واحد والزهر ألوان. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

وهذا نص توشيحُ الإمام الششتري رضي الله عنه:

ألــــف قــــبــــل لامــــيــــن

وهَــــاءٌ قــــرّة الــــعــــيــــن

أِلــــــــــفٌ أوّلُ الاســــــــــمِ

وَلَامَـــيْـــنِ بِـــلَا جِـــسْـــمِ
وَهَـــاءٌ آيَـــةُ الـــرَّسْـــمِ
تَـهَـجَّـى سِـرَّ حَـرْفَـيْـنِ
تَـــجِـــدْ اسْـــمـــاً بِـــلَا أيْـــنِ
حُـــرُوفٌ كُـــلُّـــهَـــا تُـــتْـــلَـــى
تَـــرَى الْـــقَـــلْـــبَ بِـــهَـــا يُـــجْـــلَـــى
ويُـــســـلـــى بـــعـــدمـــا يَـــبْـلَـــى
ويَـــدْرَج بـــيـــن كَـــفْـــنَـــيْـــنِ
بِـــرَمْـــزَيْـــنِ رَقِـــيـــقَـــيْـــنِ
غَـــرَامِـــي فِـــي الْـــهَـــوَى قَـــدْ بَـــاح
وفَـــجْـــرِي بَـــعْـــدَ لَـــيْـــلِـــي لَاح
وصِـــرْتُ لِـــلْـــوُجُـــودِ مِـــصْـــبَاح
وشَـــمْـــسٍ بَـــيْـــنَ قَـــمَـــرَيْـــنِ
ولا أدْرِي أنَـــا أيْـــنِـــي
فَـــمَـــعْـــنَـــى حِـــبِّي الأتْـــقَـــى
بـــأن أفْـــنَـــى فـــيـــه عِـــشْـــقـــاً
بـــأن أفْـــنَـــى فـــي الـــفَـــنَـــا حَـــقّـــاً
فَـــوَجْـــدٌ بَـــيْـــنَ فَـــقْـــدَيْـــنِ
وحـــيـــاةٌ فـــي فـــنـــاءيـــن
مُـــنَـــائِـــي مَـــنْ بِـــهِ هِـــمْـــتُ
وقُـــوتُ الـــرُّوحِ إنْ مُـــتُّ
وحَـــرْفُ الـــبَـــيْـــنِ أنْـــشَـــدتُّ
مَـــتَـــى يـــا قُـــرَّةَ الْـــعَـــيْـــنِ
أرَى وَصْـــلاً بِـــلَا أيْـــنِ

معناه، والله أعلم، أن ألف الأحدية مقدم على لامي التجلي في زي

التعدد والتثنية لأن التجلي في ذلك الزي إنما هو لأجل هاء بهاء الكمال من الكبير المتعال، حيث أظهر به الضد في عين الضد، والحقيقة في نفس الحقيقة، فأظهر به البعد في عين القرب والقرب في عين البعد، والظهور في البطون والبطون في الظهور، والقدرة في عين العجز والعجز في عين القدرة. وهكذا جميع الأشياء المتباينة البارزة من عين الوحدة فكان ظهور الإثنينية في نفس الأحدية من كمال الحقيقة الذاتية، إذ لا يبرز الكمال في عين النقص والنقص في عين الكمال، أعني نقص التعدد وكمال الأحدية هذا في عين هذا إلاَّ القاهر فوق عباده الفاعل ما شاء باختياره ومراده. ولذلك قال الشيخ رحمه الله: وهاء يعني هَاء بهاء الكمال بتجلي الألف في لامين قرّة العين، رصدها من محاسن الرصد في نفس البين وإلاَّ فألف الأحدية أول اسم الوجود ولاما التعدد والتثنية لطافة أزلية بلا جسم الكثافة في عين الشهود، فهو أي الجسم وجود في فقدٍ ووحدة في ضدِ إظهار البهاءِ آية رسوم القدرة القاهرة والحكمة الباهرة، ولذلك أخذ من البهاء الهاء فقال: وهاء آية الرسم.

ثم قال رحمه الله: تهجى بلسان رفع همّتك عن شهود نفسك سرٍّ حرفين في حرف ولامين في ألف حتى تراه غاية في البهاء والكمال لا غير، وإلاَّ فالوحدة باقية بحالها، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه، تجد اسم الوجود الأول كما كان بلا أين، أي مكان ويتبين لك أن اللامين بلا جسم الكثافة لأن الكثيف من آثار صفات القدرة فتعدد الصنعة لا ينافي وحدة الصانع والله تعالى أعلم.

حروف، يعني حروف الإثنينية في عين الأحدية، كما تتلى بلسان أسرار العارفين بربهم فلا تقتصر أسرارهم في الشهود على الأحدية دون الإثنينية ولا على الإثنينية دون الأحدية، ترى القلب بها يُجْلَى على نقطة التفريد من دائرة التوحيد كاجتلاء العروس على منصتها، ويسلى ببقائه في فنائه وبفنائه في بقائه بعدما يبلى من البلا ويدرج بين الغيبة في الصفات أولاً والذات ثانياً كفنين برمزين وهما الفناء وفناء الفناء، رقيقين لا يفهمهما إلاَّ من فتح الله بصيرته وإلاَّ فهما بمعنى البقاء والفناء ولا فناء، وإنما زال الحجاب غرامي لفنائي في

محبوبي وبقائي به في الهوى قد باح فصارت الجسمانية من المكنى به فلا أعظم من هذا التصريح وفجري وُصُولي بعد ليلى هجري لاح وظهر وصرت للوجود مصباح، فكلما ورد علي شيء وجدته عن فور وشمس الجمع بين قمرين الذين هما الظهور والبطون القدرة والحكمة، ولم أدر أنا أين، أي حيث مجموع الأمرين ذهب المكان والأين، فمعنى حبي الأتقى بأن أفنى فيه عشقاً وأفنى في الفنا حقاً فوجد بين فقدين، فقد الوجود للفناء وفقد ذلك الفقد بالبقاء في عين الفناء، فهما فقدان الفناء وفناء الفناء وهو البقاء، والوجد بينهما ظاهر في البطون وباطن في الظهور، وباق في الفناء وفان في البقاء، حتى في الفناء وفي فناء الفناء. ولذلك قال: الوجد بين فقدين حياة في فناءين منائي من به همت تحيّرت ابتداء وسكنت انتهاء، وقوت الروح أي مادتها التي بها بقاؤها، إن مت، أي فنيت عني وبقيت بك أي بالفناء في البقاء وبالبطون في الظهور، وبالأولية في الآخرية. وحرف أي وصار حرف البين عندي والفرق من قبيل الإنشاء في الظاهر لا عن دون الإنشاء البين بالبقاء في الفناء، والظهور في البطون، والآخرية في الأولية أنشدت بلساني أي ظاهري من غير إنشاء بسري لأنه يقال: أنشده إذا كان حاكياً متى يا قرة العين أرى وصلاً، بلا أين مخالفاً لأنواع وَصْلِ العشاق بمعشوقهم لأنهم يزورونه في أمكنتهم الخفية مخافة الرقباء الذين يبوحون بأسرارهم ويخبرون بأحوالهم، وأنت لا يتأتى في حقك لترقيك عن المكان الذي هو الأين لظهور الأين بك وبروز الأشياء جميعاً منك فلا يمكن وصلك إلاً من حيث لا مكان ولا أين، وحينئذ يحصل الجمع في عين الفرق والبين ألف قبل لامين وهاء قرة العين.

شرح نبذة من الحِكَم العطائية

قال رضي الله عنه: الحمد لله بالله عجزاً عن أداء الحمد المناسب لعظمة ذاته، واعترافاً بقصور العبد الحقير عن القيام بشيء من ذلك إلاَّ أن يكون من جملة مسخرات أسبابه وآلائِهِ واستصغار النفس، الفقير إليه أصالة ودواماً أن يوهم فيه استطاعة ما عليه في بعض أحواله ومقاماته، واستعظاماً للملك الحق أن يواجهه الوضيع بأهلية الثناء عليه ببعض كمالاته، ونشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله الوتر الذي يحب الوتر من عبيده من حيث أنه سبحانه أرقاه لذروة الغيبة عن سواه باستغراقه في شهوده، فكان موحِدّاً على الحقيقة من حيث الغيبة في الوتر بمحو الأكوان بسبحاته، شهادة قائم على قدم الذل بباب فضل سيده الكريم يستقيله من عثراته وهفواته، ويمد إليه يد السائل الملح عساه أن يمنّ عليه سبحانه بغفران جرائمه وسيئاته، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وبرهان وحدانيته الواضح ودليله الناطق بأسرار الحكم العرفانية لخاصة أهل مصافاته والفاتح لما أغلق على غيره من معرفة الحق سبحانه حتى كانت معرفة الرسل والأنبياء والأولياء من جملة معجزاته وآياته ﷺ وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار وجميع أزواجه المكرمات وأتباعه وذرياته صلاة وسلاماً نستمدُّ بهما من عين جود المصلى عليه ونحرز بهما شرف السلوك للحق والوصول بمعرفته إليه حتى ننخرط في سلك من فاضت عليهم سجال فضله وأشرقت عليهم أنوار بركاته.

وبعد: حمداً لله قبل كل شيء وبعده ومعه فيقول العبد الفقير لمولاه الغني محمد بن محمد بن عبد الواحد الحرَّاق الحسني: لما أنعم الله علينا من فضله بمعرفة المحتاج إليه من ظاهر العلوم الدينية ووفقنا بمحض كرمه بعد ذلك للدخول في الطريقة الصوفية الكفيلة لمن وفق فيها بشروق الأنوار وظهور الأسرار وعلى الخصوص طريقة شيخنا الإمام الكبير والعارف الشهير شمس العلوم اللدنية، وقطب مدار أهل التربية، وترياق علل القلوب بالفتح الرباني،

أبو محمد مولاي العربي بن سيدنا أحمد بن سيدنا الحسين الدرقاوي الشريف العمراني أفاض الله علينا من ماء مدده المعين وجعلنا من فريقه وحزبه آمين.

وكان من جملة سنن الطريقة المذكورة مطالعة كتب القوم، واستغراق النظر فيها أكثر أجزاء الليلة واليوم، لما في ذلك من هداية الحائر وتقوية البصائر، وتصحيح المقامات وتحقيق العلامات، جعلت أجيل النظر في مضمر سطورها وأقلب الفكرة في درر عقود نحورها، فألفيت كلها جديراً بالمذكور حقيقاً بالسعي المشكور، قد حصل في النصح على مقصده ومرامه وترجم على قدر منزلته ومقامه، ولكني وإن كنت لست من رجال الترجيح، ولا ممن يميز السقيم من الصحيح، رأيت الحكم العطائية أحسنها ترتيباً، وأتمها تنقيحاً وتهذيباً، وأشدها موافقة للعقائد السنية، وأجراها على نهج الكتاب والسنة السنية، وأقواها رفعاً لهمة القاعد والسائر، وأزكاها شهادة لكل واصل ومناظر، حتى نقل شيخنا عن الشيخ بنَّاني أنه قال: «كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم» أو كلاماً هذا معناه.

غير أن كنوز معانيها لا تكاد تستوفى بعزيمة، ولآلِيءَ عقدها لا توجد لها في أسواق هذه الطريقة قيمة. فترى الشارحين، وإن بلغوا الغاية في التعبير، والنهاية في التحرير، يتنصلون من ذنوب تقصيرهم، ويعتذرون عن بيان مراد المصنف من توضيحهم وتقريرهم، لأن كلام أهل الله لا يستوفيه إلاَّ هم من حيث أن الحق سبحانه قد خصهم بالعناية وتولاهم. ولما رأيتُها بحراً زاخراً بأمواج القول المجرد، ولباب التنوير راميا لبر الفلاح بلطائف المنن وطرائِف الإكسير، والشراح قد أكبوا على الخوض فيه بسُفونِ أفكارهم المواخر، والتهالك بصون العزائم على استخراج ما هنالك من النفائس والذخائر، سولت لي نفسي الأمارة، وفكرتي الخامدة الغرارة، أن آكل من مائدتهم الفضائل، وألتقط ما أوصلته يد اتصالهم السديدة لطرف الساحل، وأضم الربح لأصله، وأتشبه بأهل الخير إن لم أكن من أهله.

فتشبَّهُوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام رباح

إلاَّ أنه حيث كان باعي في الفهم قصيراً، ومحمولي من العلم يسيراً، بقيت بين إقدام وإحجام، ونقْض عزيمة وإبرام، حتى قضى الحق سبحانه بزيارة الشيخ المذكور ومثلت بين يديه رضي الله عنه مثل الولد البار بين يدي الوالد المبرور. فكان من جملة كلامه أسماه الله أن قال: إن العارف بربه العلامة سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه لم يصادف في شرحه للحكم أولاً ولا ثانياً، ولو شرحها شرحاً ثالثاً لكان بعين الصواب آتياً. فقلت له: يا سيدي أنا أقوم عنه بهذا الأمر. فأعرض عني، فتخيَّل لي في نفسي أن الشيخ لم يرني أهلاً لذلك وإن استئذانه رضي الله عنه من سوء الأدب مني. وحين أراد الله أن يتحفني بلطائف أسراره، دعاني أبقى الله بركاته لإِصْطوَانِ داره، فأنشدته قصيدتي التي أولها:

أماطتْ عن محاسنها الخمارا
فغادرت العقول فيها حيارا

فلما بلغت لقولي:

شربناها فلَمَّا أن تجلّت
نسينا من ملاحتها العقار

حصل له حال فاض به بحر شهوده الخضم فما شعرت حتى جعل يضرب على ظهري بيده المباركة ويقول: والله لتشرحن الحكم فجد الطلب في تحصيل الخيرات، ولئن ابتدأته لترين إن شاء الله بركات. فحمدت الله سبحانه على ما أولى. وعلمت أن الإذن منه تعالى جرى على لسان الشيخ تكرماً وفضلاً، وأيقنت أن دعاء الشيخ رضي الله عنه مستجاب، وأن قسمه مبرور عند الملك الوهاب. فزال التردد الذي كان يخالج سري وانتدبت للشرح بإذن الشيخ الذي هو إذن الله، وما فعلته عن أمري مشيراً بصورة عبد لما أنقله من شرح الشيخ ابن عباد لأنه أول شرح وبصورة طِبي، لما أنقله من شرح الشطيبي، وبصورة كن لما أنقله من شرح شيخنا ابن كيران، وبصورة جب لما أنقله من شرح الشيخ ابن عجيبة طالباً من كل ذي فهم عجيب ورأي مصيب أن يعامله معاملة الكرام، وينظر إليه بعين المبرة والاحترام، فإن رأى حسنة نماها وحمد لي من

تفضل بها وأعطاها، وإن أطلعه الله فيه على خطأ أصلحه، أو نقص كمله وصححه. وأعتذر عن واضع هذا الرقيم بقوله عليه السلام: «شوهاء ولود خير من حسناء عقيم»، وسميته «أثمِدَ القَلَمِ، في أحْدَاقِ الحِكَمِ» تفاؤلاً بقول سيد البشر: «عليكم بالأثمد فإنه يجلو البصر».

والله سبحانه أسأل أن يجعله خدمة لباب كرمه وفضله، وأن ينفع به من قرأه أو كتبه أو حصله أو سعى في شيء منه كما نفع بالمشروح من قبله إنه ولي العاجز الذليل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

ولما كانت معرفة مؤلف الكتاب من الأمور الباعثة على تعاطيه وتداوله وكان العلم بمبادىء الفَنِّ من براهين التسهيل لتحصيله وتناوله، ناسب أن نَبْدأ هذا الشرح بذكر التعريف بالمصنف رضي الله عنه وذكر محاسنه وذكر مباديء علم التصوف فنقول: أما المؤلف، رحمه الله تعالى ورضي عنه، هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام، تاج الدين وترجمان العارفين، أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسن بن عطاء الله الجرامي نسباً، المالكي مذهباً، الإسكندري داراً، العراقي حرزاً، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجبة زمانه ونخبة عصره وأوانه، المتوفى في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة، قاله الشيخ زروق، وله رحمه الله أوصاف حميدة ومناقب عديدة.

قال في «الديباج»: كان ابن عطاء الله رحمه الله جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك، وكان متكلماً على طريق التصوف واعظا انتفع به خلق كثير وسلك طريقته.

قلت: وكفى دليلاً على عظيم قدره وعلو رتبته وشرف أمره شهادة شيخه له بالتقدم على غيره وذلك بإخبار المؤلف عن ذلك وذكره.

قال في «لطائف المنن»: قلت لبعض أصحاب الشيخ ـ يعني أبا العباس المرسي شيخه ـ: لو نظر إليَّ الشيخ برعايته وجعلني في خاطره، فقال ذلك للشيخ، فلما دخلت عليه قال رضي الله عنه: لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم بأن يكون الشيخ في خاطركم، فعلى مقدار ما يكون

عندكم تكونون عنده. ثم قال: أي شيء تريد أن تكون، والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا، والله ليكونن لك كذا، لم أثبت منه إلاَّ على قوله: ليكونن لك شأن عظيم. قال: فكان من فضل الله سبحانه ما لا أنكره.

قال: وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال: قلت للشيخ: هم يريدون أن يصَدِّرُوا ابن عطاء الله في الفقه، فقال الشيخ: هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف.

قال: ودخلت عليه فقال: إذا عوفي الفقيه ناصر الدين نجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنت من ناحية، وتتكلم إن شاء الله في العَلَمين. فكان ما أخبر به رضي الله عنه.

وسمعته يقول: أريد أن أستنسخ كتاب التَّهذيب لولدي جمال الدين. فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أُعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول، فقال: ما هذا؟ قلت: كتاب «التهذيب» استنسخته لكم فأخذه فلما نهض ليقوم قال: اجعل بالك، الولي لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله في ميزانك. فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه عند نزولي من عنده فقال: قال الشيخ عنك: والله لأجعلنه عيناً من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر والباطن. فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال: أطلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء فقال: هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله، والله ما أرضى له بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف.

وقال: وأخبرني في بعض أصحابه قال: قال الشيخ: إذا جاء ابن فقيه الإسكندرية فأعلموني به. فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك فقال: تقدم، فتقدمت بين يديه ثم قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له: هذا ملك الجبال قد أمره الله أن يطيع أمرك في قريش، فسلم عليه ملك الجبال وقال: يا محمد إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت. فقال رسول الله ﷺ: «لا، ولكن أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم، من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً» فصبر عليهم ﷺ رجاء أن يخرج الله من أصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه.

قال: وخرجت يوماً من عند الفقيه المكين الأسمى وخرج معي أبو الحسن الحريري، وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن. فسلمت عليه وسلم علي فقلت له: من أين تعرفني، فقال: وكيف لا أعرفك، كنت يوماً جالساً عند الشيخ أبي العباس وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له: يا سيدي إنه يعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان من الملازمة وهذا الشاب ملازم. قال فقال الشيخ: يا أبا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعوا لطريق الله. فكان ما قال الشيخ رحمه الله.

قال: وكنت كثيراً ما يطرأ عليّ الوسواس في الطهارة، فبلغ ذلك الشيخ فقال: بلغني أن بك وسواساً في الوضوء، فقلت: نعم، فقال رضي الله عنه: هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بها. ثم مكث أياماً ودخلت عليه فقال: ما حال ذلك الوسواس، قلت: هو على حاله، فقال: إن كنت لا تترك الوسواس فلا تعد تأتينا. فشقّ ذلك عليّ، فقطع الله الوسواس عني. قال: وكان رضي الله عنه يُلَقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: الآية 19] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: الآية 20].

قال: وعملت قصيدة أمدحه بها، فقال حين أنشدت: أيدك الله بروح القدس. ثم قال: عملت قصيدة أخرى بإشارته جواباً لقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد أخميم، فلما قرأت عليه قال رضي الله عنه: صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين. يشير الشيخ إلى مرض الوسوسة. قال: فقد انقطع ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التي أجدها قد ساهلت بعض الأمر. والمرض الآخر كان فيّ ألم برأسي فشكوت ذلك إليه فدعا لي، فعافني الله وشفاني.

قال: وبت ليلة من الليالي مهموماً فرأيت الشيخ في المنام فشكوت إليه ما أنا فيه فقال: اسكت والله لأعلمنك علماً عظيماً. قال: فلما انتبهت جئت إلى الشيخ رضي الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال: هكذا تكون إن شاء الله تعالى.

قال: وجاء يوماً من السفر فخرجنا للقائه، فلما سلمت عليه قال: يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وفهمك بين خلقه. قال:

فقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق وأني مراد بهم لقوله: وفهمك بين خلقه.

قال: وكنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين، لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه، حتى جرى بيني وبين بعض أصحابه مقاولة وذلك قبل صحبتي إياه، وقلت لذلك الرجل: ليس إلاَّ أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأباها، فقال لي ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ: تدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا، قلت: لا، قال: دخلت عليه فأول ما قال لي: هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك. فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا، ولعمري لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاماً فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الأذى. قال: وكان سبب اجتماعي معه أن قلت في نفسي بعد المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل: دعني أذهب فأرى هذا الرجل، فصاحب الحق له إمارات لا يخفى شأنها. قال: فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها، فقال: الأول إسلام، والثاني: إيمان، والثالث: إحسان. وإن شئت قلت: الأول: عبادة، والثاني: عبودية، والثالث: عبودة أي حرية، وهو مقام الإحسان. وإن شئت قلت: الأول: شريعة، والثاني: حقيقة، والثالث: تحقيق. ونحو هذا، فما زال يقول: وإن شئت قلت، إلى أن بهر عقلي وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلٰهي ومدد رباني فانفردت في مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته. فحملني ذلك على العود إليه مرة أخرى، فأتيت فاستأذنت عليه فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلاً واستصغرت نفسي أن أكون أهلاً لذلك، فكان أول ما قلت له: أنا والله أحبك، فقال: أحبك الله كما أحببتني. ثم شكوت إليه ما أجد من هموم وأحزان، فقال: أحوال العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة والمعصية. فإن كانت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كانت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر، وإن كانت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة، وإن كانت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار. قال: فقمت من عنده وكأنما كانت تلك الهموم والأحزان ثوباً نزعته.

قال: ثم سألني بعد ذلك بمدة: كيف حالك، فقلت: أفتش على الهم فلم أجده. فقال شعراً:

لـيـلـي بـوجـهـك مـشـرق
وظـلامـه فـي الـنـاس سـار
والـنـاس فـي شـدة الـظـلام
ونـحـن فـي ضـوء الـنـهـار

إلزم، فوالله إن لزمت لتكونن مفتياً في المذهبين ـ يريد مذهب أهل الشريعة أهل علم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل علم الباطن ـ انتهى عن نقل ابن عباد رحمه الله.

قال الشيخ زروق: والمعروف من كتبه عندنا خمسة، الأول: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن. والثاني: التنوير في إسقاط التدبير. والثالث: مفتاح الفلاح في كيفية الذكر والخلوة ونحو ذلك من كيفية السلوك. والرابع: تاج العروس، وأظنه مجموعاً من تآليفه. والخامس: هذه الحكم.

قلت: وله أيضاً المجرد في الاسم المفرد، قاله طبي.

قال الشيخ زروق: وليس في فن التصوف أجمع للبابه من هذا الكتاب، يعني الحكم. قال: ومضمنه من علوم القوم أربعة:

الأول: علم التذكير والوعظ وقد حاز منه أوفر نصيب وهو لمقام العوام وموارده من كتب ابن الجوزي وبعض تعاليق المحاسبي وصدور كتاب الإحياء والقوت وتحبير القشيري وما جرى مجراها.

الثاني: تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال لتحلية الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهيره من الأوصاف المذمومة، وهذا حظ المتوجهين من الصادقين والمبتدئين من السالكين، وقد حاز منها جملة صالحة، ومادتها من كتب الغزالي والسهروردي ونحوهم.

الثالث: تحقيق الأحوال والمقامات وأحكام الأذواق والمنازلات، وهو نصيب المستشرفين من المريدين والمبتدئين من العارفين، وهذا النوع من أكثر

ما وقع فيه، ومادته من مثل كتب الحاتمي في المعاملات والبُوني في المنازلات إلى غير ذلك.

الرابع: المعارف والعلوم الإلهامية، وفيه منها ما لا يخفى لكن كتبه ملأت بشروحها لا سيما التنوير ولطائف المنن اللذان هما كالشرح لهذا الكتاب، وبالجملة فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولات والمختصرات مع زيادة البيان واختصار اللفظ والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدي لا يسع أحداً إنكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للمعتني به صفة حميدة إلاَّ أكسبه إياها، ولا صفة ذميمة إلاَّ أزالها عنه بإذن الله تعالى.

كما قال الشيخ ابن عباد في وصف التنوير: وهما أخوان من أب وأم.

وأول من شرح هذه الحكم الشيخ العالم العامل إمام جامع القرويين من فاس وخطيبها البليغ أبو عبد الله سيدي محمد بن عباد، المولود سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، المتوفى بفاس سنة اثنين وتسعين وسبعمائة، المدفون بكدية البَراطل قرب باب الفتوح، وقبره هنالك مشهور.

وممن شرحها أيضاً: الشيخ أبو المواهب التونسي، المتوفى سنة اثنين وثمانين وثمانمائة.

ومن تكلم عليها أيضاً: رجل شامي يعرف بالصَّابوني.

وممن شرحها أيضاً: الشيخ الإمام سيدي أحمد زروق البرنوسي المولود بالمغرب سنة ست وأربعين وثمانمائة، المتوفى ببلد اطرابلس الغرب.

وممن شرحها أيضاً: الشيخ الإمام سيدي الحاج محمد بن علي الشطيبي البرجي الأندلسي.

وممن شرحها أيضاً: شيخنا العلامة الحافظ سيدي الطيب بن عبد المجيد بن كيرَان.

وممن شرحها أيضاً: أخونا في الطريقة العلامة سيدي أحمد بن عجيبة، وهذا التأليف مجموع مما تيسر منها ومما عسى أن يفتح الله به علينا من فضله وهو سبحانه المستعان وعليه التكلان.

وأما مبادىء علم التصوف، فهي عبارة عن حده وموضوعه واسمه

واستمداده وحكم الشارع فيه وتصور مسائله وفضيلته ونسبته وفائدته، والعلم بهذه الأمور قبل الشروع في الفن مما يعين على تحصيله لأنه بمعرفة الحد يعرف ما هو ساع فيه. قاله السعد وبمعرفة الموضوع يتميز له ذلك العلم عن غيره، لأن العلوم كلها جنس واحد، وإنما تختلف بالموضوعات وموضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية وبمعرفة حكم الشارع يخرج عن عمدة الإقدام على الشيء قبل معرفة حكم الله فيه، وبمعرفة الفائدة يعرف فضيلته، وبمعرفة الفضيلة والنسبة والواضع واسمه واستمداده يقوى الباعث على الطلب، وبمعرفة تصور مسائله إجمالاً يسهل تحصيله في الذهن تفصيلاً.

وطريق معرفة كل واحد من هذه المبادىء على انفراده أن يقال:

أما حده، بمعنى التعريف الشامل للحقيقي والرسم، فقال الجنيد: هو أن يميتك الحق عنك وَيُحْيِيك به. وقال أيضاً: أن تكون مع الله بلا علاقة. وقيل: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني. وهذا التعريف يرجع لمعنى قول من عرفه بأنه النبو عن الرتب الدنيا والسمو إلى الرتب العليا. وقيل: هو حمل النفس على الشدائد للري من أشرف الموارد.

وقيل: هو الإكباب على العمل تطرقاً لبلوغ الأمل.

وقيل: هو الرغبة في المحبوب إلى درك المطلوب.

وقيل: هو التماس الذريعة إلى الدرجة الرفيعة.

وقيل: هو الموافقة للحق والمخالفة للخلق.

وقيل: هو أن لا تملك شيئاً ولا يَمْلِكُكَ شيء.

وقيل: هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد.

وقيل: هو الأخذ بالحقائق والإياس مما في أيدي الخلائق.

وقيل: هو ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع.

وقيل: الإناخة على باب الكريم وإن طُرد.

وقيل: الجلوس مع الله بلا هم.

وقيل: هو العصمة من رؤية الكون.

قلت: والتصوُّف عندي، والله أعلم، هو قصر الهمة على مفيض الرحمة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: الآيتان 5،6]، ففي الآيات إشارة إلى تلقين العبد الحالة التي يكون عليها مع سيده ومولاه سبحانه وتعالى.

قال التادلي في «شرح المباحث»: واعلم أن أصل التصوُّف هو مقام الإحسان وعليه دورانهم وكلما سطروه في كتبهم.

وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله: وقد عرف التصوُّف بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هذه التعاريف وجوه فيه، فكل واحد ممن عرفه عبر على قدر ما ناله من صدق التوجه علماً وعملاً وحالاً وذوقاً وغير ذلك. والاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر دل على بُعد إدراك جملتها. وهذا الكلام يفيد أن كل من له نصيب من التوجه له نصيب من التصوُّف، وأن تصوُّف كل واحد على قدر صدق توجهه، ونحوه لابن أبي شريف، ولكن صدق التوجه إلى الله تعالى إنما يرجع إلى هذه التعاريف المذكورة بشرط أن يكون بما يرضاه الحق من الأعمال التي هي مضمن الإسلام من حيث يرضى وذلك بأن تكون على وجه الإيمان بما يجب الإيمان به من العقائد من الشيخ زروق بزيادة بيان، وحينئذ فلا يصح التصوف إلاَّ مع تحقق الإيمان والإسلام اللذين لا يصح أحدهما بدون الآخر وإن اختلفا في الحقيقة من حيث أن الإيمان اعتقاد بالقلوب والإسلام عمل بالجوارح، ومن قال: إن أحدهما نفس الآخر فباعتبار أنه لا يصح بدونه. قاله الأبي في «شرح مسلم».

قال مولانا جل ثناؤه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: الآية 7]، وقال سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: الآية 3].

ويلزم من توقف التصوُّف على الأعمال توقفه على معرفة أحكامها التي هي الفقه، كما أن معرفة الأحكام التي هي الفقه لا تصح قربة لله إلاَّ مع صدق التوجه الذي هو مرجع التصوُّف فأحدهما متوقف على الآخر من حيث المعاملة مع الله والكل متوقف على الإيمان كتوقف صحته أيضاً عليهما. ولذلك قال مالك رحمه الله: «من تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوَّف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق».

قال الشيخ زروق: تزندق الأول لأنه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة، أي حكمة الله في الأحكام، ونفي الأحكام التي لأجل بيانها بعث الرسل. وتفسُّق الثاني لخلو علمه من صدق التوجه الحاجز عن معصية الله تعالى وعن الإخلاص في الأعمال لله. قال التادلي في «شرح المباحث»، قلت: ولوقوع العجب المحبط للأعمال. وتحقق الثالث: لقيامه بالحقيقة في عين تمكسّه بالحق.

وهذا هو الذي تكون الشريعة على ظاهره موجودة والحقيقة في باطنه مشهودة، قاله التادلي.

قلت: وهو المسمى بالصوفي على الحقيقة لاتصافه بمعنى التصوُّف.

قال بعضهم: الصوفي مَن صافت سرائره واستقامت على الكتاب والسنّة ظواهره. ولابن طاهر المخزومي:

ليس التصوُّف صاحِ أن تلقى الفتى
وعليه من نسيج الخيوش مرقع
بطرائق سُودٍ وبِيضٍ نفقت
فكأنهُ فيها غراب أيْقَعُ
إن التصوُّف ملبس متعرف
يخشى الفتى فيه الإلٰه ويخضع

وأنشد ابن عطية في تفسيره لبعضهم:

ليس التصوُّف لبس الصوف مرقعة
ولا بكاؤك إن غنا المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا تغش كأن قد صرت مجنونا
إن التصوُّف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن تُرى خاشعاً للّه منكبتاً
على ذنوبك طول الدهر محزونا

وهذا الذي ذكره ابن طاهر وابن عطية إنما يقول به مَن لم يذق من الطريقة شيئاً.

وانظر ما رضيه الشيخ أبو العباس واختاره. قال أبو العباس المرسي: أحسن ما قيل فيه قول من قال:

تحالف الناس في الصوفي واختلفوا
وكلهم قال قولاً غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافا فصوفي حتى سمي الصوفي

أي صافاه الله فسمي صوفياً. وهذا الذي اختاره الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في معنى الصوفي هو الحق الذي لا غبار عليه لأن الذي صافاه الله هو الذي اصطفاه سبحانه لنفسه واختاره لدخول حضرة قدسه، قال تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: الآية 41] ولم يتعرض رضي الله عنه للقدحِ في المُرَقَّعَةِ والرقص والطرب كالمخزومي ومن بعده حسبما نقله شيخنا كن ومال إليه إذ سلمه، وذلك لكمال علم الشيخ أبي العباس المرسي بطريق القوم لأنه لا ينكر ذلك من أحوالهم إلاَّ من لا ذوق عنده ولو كان عنده ذوق من ذلك ما أنكَرَهُ لأن أرباب الأشواق لحضرة التلاق لا يطيقون الصبر عند ذكر كل من يشير إلى محبوبهم أبداً، ولذلك قال. شعر:

سَقَوْني وقالوا لا تغنِّ ولو سقوا
جبال حنين ما سقوني لغنت

وقال الشيخ أبو مَدْيَن رضي الله عنه:

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله
إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا

وقال:

فلا تلم السكران في حال سكره
لقد رفع التكليف في سكرنا عنا

إلى أن قال:

فنحن إذا طبنا وطابت نفوسنا
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

قلت:

إني نظرت بمقلة الإنصاف
فرأيتني واللّه صرت خلافي
لما استوى حب الذي أهوى على
كلي وأطت بالهوى أكنافي
وشربت من خمر الملاحة شربة
هززت من طربي بها أعطافي
حتى غدوت أخال من أهواه قد
مزجت بخمر شهوده أوصافي

وترى ذوي المروءات الذين يأبون رفع أصواتهم بمحضر الناس ولو بالتلاوة يفعلون ذلك كرهاً عليهم ولكن بحلاوة الإيمان وصدمة الشهود ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: الآية 66] والحمد لله رب العالمين.

وسيأتي لهذا مزيد تحقيق إن شاء الله.

ثم إن علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، والكذب بضده، قاله أبو حمزة.

قلت: وهذا غير لازم لأن من أئمة الصوفية من لا يستطيع إخفاء نفسه ولو فعل ما فعل حيث يريد الحق سبحانه إشهاره، وهذا بالغ من الشهرة مبلغاً لا ينكره أحد.

قال الحسن بن منصور: الصوفي وحداني الذات لا يقبل أحداً ولا يقبله أحد.

قلت: وهذا في غير ذَوي الرسوخ من العارفين ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: الآية 7] فلا يستوحِشوا كما يأتي للمؤلف: استوحش الزهاد

والعباد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء ولو شهدوه في كل شيء ما استوحشوا من شيء.

وقيل: الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه إلاَّ كل مليح، وأقبح كل قبيح صوفي شحيح.

وقيل: الصوفي لا تقله الأرض ولا تظلُّه السماء، أي لا يسعه الكَوْن لما له من العز والافتخار بالله حيث خلصت عبوديته، وأنى يساويه فخر من كان عبداً لله ربِّ العالمين الرحمٰن الرحيم ملك يوم الدين، وهذا كما يقال: فلان لعزته لا تسعه الدنيا أو لا تقله الأرض ولا تظله السماء، أي لا يرضى بالأرض قائلة له ولا السماء مظلة له، ويحتمل أن يكون: ولا تقله أرض ولا تظله سماء لفنائه في الله وبقائه به، فليس لأرض منه ما تقل ولا السماء ما تظل ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النُّور: الآية 35] ويحتمل أن يكون معناه: لا تقله أرض الخمول ولا تظله سماء الظهور بخروجه عنهما معاً. ويحتمل أن يكون معناه: لا تقله أرض الحضور ولا تظله سماء الشهود لغيبته عنهما في المشهود. سبحانه وتعالى، ويحتمل غير ذلك وبالله التوفيق.

وأما موضوع علم التصوُّف فهو معرفة الحق سبحانه، لأنها هي التي يبحث عنها في هذا العلم من حيث إنه يتوصل إليها بالدليل والبرهان وبالشهود والعيان. والأول للطالبين، والثاني للواصلين. ولكن المعرفة درجات بعضها فوق بعض، يشير لذلك قول مولانا جل وعلا: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 253] الذي هو نبينا محمد ﷺ ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعَام: الآية 165] وذكر درجات للتكثير والتعظيم، فهو عليه الصلاة السلام أعرف خلق الله بالله فلم يدركه منا سابق ولا لاحق.

وقيل: موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث في هذا العلم عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن قال إن موضوعه الذات العالية فقد سهى سهواً ظاهراً والله تعالى أعلم.

وأما واضعه فإن نبينا ﷺ أنزل عليه على ما هو معلوم أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة، فواضعه هو

الحق سبحانه. ويشير له قول مولانا: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 91]. وهذا كما قيل في وضع اللغة لأنه وإن كان عليه الصلاة والسلام ألهمها فقط فيكون عليه السلام هو واضع هذا العلم. وقيل: الحق سبحانه أوحى لآدم، وقيل: علمه بإلهام. انظر الشرازي.

وعلى كل حال فقد خص به بعضاً دون بعض، لنبو كثير من العقول عن إدراكه بل كلها إلاَّ من فتح الله عليه، ويشير لذلك قول مولانا العزيز: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يُونس: الآية 25]. فبطريق الإشارة يدعوا سبحانه إلى دار السلام شريعة ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم حقيقة، فإن قيل: هل لتفسير القرآن الحكيم بطريق الإشارة أهل، قلنا: نعم يدل لذلك سؤال سيدنا عمر لابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النّصر: الآية 1] الخ السورة، وجوابه له بأن هذا أجل النبي ﷺ أعلم به إذ ليس في الآية إلاَّ الأمر بالتسبيح والاستغفار وليس لها دلالة بطريق التصريح على الإعلام بحضور الأجل وإنما يؤخذ ذلك بطريق الإشارة. تأمله منصفاً والله تعالى أعلم.

وأول من تكلم في هذا العلم وأظهره سيدنا علي رضي الله عنه، ثم أخذه عنه أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده ثم عنه أبو محمد جابر ثم عنه القطب سعيد الغزواني، ثم القطب فتح السعود، ثم القطب سعد، ثم القطب سعيد، ثم القطب سيدي أحمد المرواني، ثم إبراهيم البصري، ثم زين الدين القزويني، ثم القطب شمس الدين، ثم القطب تاج الدين، ثم القطب نور الدين أبو الحسن، ثم القطب فخر الدين، ثم القطب تقي الدين الفقير بالتصغير، ثم القطب سيدي عبد الرحمٰن المدني، ثم القطب الكبير مولانا عبد السلام بن مشيش، ثم القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي، ثم خليفته أبو العباس المرسي، ثم العارف الكبير سيدي أحمد بن عطاء الله، ثم الولي الشهير سيدي داود الباخلي، ثم العارف سيدي محمد بحر الصفا، ثم العارف ولده سيدي علي بن وَفَا، ثم الولي الشهير سيدي محمد القادري، ثم الولي الشهير سيدي أحمد بن عقبة، ثم الولي الكبير سيدي أحمد زروق، ثم سيدي إبراهيم الحاج،

ثم سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار، ثم العارف الكبير سيدي عبد الرحمٰن المجذوب، ثم الولي الشهير سيدي يوسف الفاسي، ثم العارف بالله سيدي عبد الرحمٰن الفاسي، ثم العارف سيدي محمد بن عبد الله، ثم العارف سيدي قاسم الخصاصي، ثم العارف سيدي أحمد بن عبد الله، ثم العارف سيدي العربي بن عبد الله، ثم العارف الكبير سيدي علي بن عبد الرحمٰن العمراني المدعو بالجمل، ثم العارف الشهير والولي الكبير شيخ المشايخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي الحسني، ثم عنه عبد ربه وأقلّ عَبيده محمد بن محمد الحراق الحسني الموسوي، ثم عنه من شاء الله من عبيده.

وأما اسمه بالتصوُّف خلافاً لأخينا جب حيث قال: اسمه علم التصوُّف، لأن العلم مسمى والإضافة في علم التصوُّف بيانية، أي العلم الذي هو التصوُّف لأن لفظ التصوُّف موضوع لهذه الحقائق التي تتضمن صدق التوجه إلى الله. قال معناه ابن عباد في «النزهة» كما يقال علم النجوم وعلم الفقه وما يقتضيه كلام شيخنا كن من أن علم التصوُّف شيء والتصوُّف خلافه حيث عرّف علم التصوُّف تعريفاً مستقلاً. ثم قال: وأما التصوُّف نفسه الخ، فسبق قلم كلام والله تعالى أعلم والكمال لله. واختلف في اشتقاقه على أقوال كثيرة مرجعها إلى خمسة، الأول: أنه من الصُّوفة لأن الصوفي مع الله كصوفة مطروحة لا تدبير لها. الثاني: أنه من صوفة القَفَا للينِهَا والصُّوفي ألين. الثالث: إنه من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة. الرابع: إنه من الصفا وهذا هو الذي نظمه أبو الفتح التونسي واختاره أبو العباس المرسي كما نقل عنهم. الخامس: إنه من صفة المسجد النبوي وهي زاوية من زوايا مسجد النبي ﷺ كانت منزلاً لقوم حبسوا أنفسهم على طاعة الله وزهدوا فيما سواه، لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله تعالى لهم من الوصف، إذ قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: الآية 28] قاله الشيخ زروق رضي الله عنه.

وأما استمداده، فهو مستمد من الكتاب والسنّة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين، وقد أدخلوا فيه شيئاً من علم الفقه ما تمس الحاجة إليه فيه

وهو فيه كمال إلاَّ ما لا بد منه في باب العبادات قاله جب. قلت: وكذلك التعفف عما في أيدي الناس حتى يحسبه الجاهل بحاله إنه غني من الأغنياء.

قلت: ومما لا بد منه ما يريد تناوله من غير العبادات للقاعدة المجمع عليها وهي قولهم: لا يحل لامرىء مؤمن أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. وقد تقدم أنه متوقف على الإسلام الذي هو أعمال الظاهر، والأعمال تتوقف على أحكامها، فهو متوقف على ما يتوجه به إلى الله.

وأما حكم الشارع فيه، فقال الغزالي: إنه فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلاَّ الأنبياء عليهم السلام.

وقال الشاذلي: من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر.

وقال ابن عباد في «نزهة الناظر المتأمل» بعد أن ذكر أن جملة التصوُّف كون العبد على حالة توافق رِضَى الله عنه ومحبته له وهو العلم بأصول الدين، والعمل بالأدب بين يدي رب العالمين. فإذا كان هذا معنى التصوُّف لم يتصور من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يهمله ويشتغل بغيره، ومن هذا تعلم أن أكثر طلبة العلم مغرُورُون لأنهم إذا اشتغلوا مثلاً بعلم الفقه المصطلح عليه الذي هو أقرب العلوم للمقصود ولم يعتنوا قبل ذلك بتصحيح نياتهم ومقاصدهم بطريق التصوُّف كانوا بذلك متبعين لَهْواً منقادين لأهوائهم وذلك هو اللهو واللعب الذي لا جدوى له في المنقلب وذر ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: الآية 51] ومن ادعى منهم أن نيّته صحيحة قيل له: من أين لك هذا وأنت لم تضرب في طريق القوم بسهم، لأن هذه الطريق بها تظهر لك خدع النفس وخفايا متابعة الهوى ويتراءى لك خفي الشرك وجليه ودقائق الآفات حتى يكون أخذك له بباعث ديني، وحيث كان واجباً فرضاً يجب السفر إلى من يؤخذ عنه إذا عرف بالتربية وإن خالف والديه.

قال الشيخ السنوسي: النفس إذا غلبت كالعدو إذا فجَأ تجب مجاهدتها والاستعانة عليها وإن خالف الوالدين كما في العدو إذا بارز. قاله في شرح الحريري. وما أحسن قول من قال:

أخــاطــر فــي مــحــبــتــكــم بــروحــي
وأركـــب بـــحـــركـــم إمـــاً وإمـــا
وأســلــك كــل فــج فــي هــواكــم
وأشــرب كــأســكــم لــو كــان ســمــا
ولا أصــغــي إلــى مــن قــد نــهــانــي
ولــي أذن عـــن الـــعـــذال صـــمـــا
أخــاطــر بــالــخــواطــر فــي هــواكــم
وأتـــرك فـــي هـــواكـــم أبـــاً وأمـــا

وأما تصور مسائله فعبارة عن حصولها في الذهن فإن قلت: إذا كان تصور مسائله التي هي عبارة عن حصولها في الذهن من مبادىء الفن فأين الفن المقصود بالذات إذ ليس المقصود بالذات إلاَّ حصول مسائل العلم في الذهن، قلت: تصور المسائل التي هي المبادىء معرفة ذلك بطريق الإجمال. والمقصود بالذات هو معرفة ذلك بطريق التفصيل. وأما نسبته من العلوم فهو كلي لها إذ لا علم ولا عمل باعتبار الصحة الشرعية التي هي محل الجزاء والثواب إلاَّ بصدق التوجه إلى الله تعالى.

وأما باعتبار الوجود المَخرجي فالعلوم توجد بدونه ولكنها ناقصة وساقطة، ولذلك قال السيوطي: نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو، أي به تظهر أسرار العلوم الشرعية كما تظهر أسرار العربية بالبيان حتى لا يبقى مع الإنسان ريب في صحة هذه الشريعة المطهرة وأن رسالة النبي ﷺ حق وأنه لا يمكن أن يشرع أحدٌ تلك الشرائع من عند نفسه لكمونها من وراء ما تهتدي إليه العقول وإن بلغت النهاية في الصفاء.

وقال الشيخ زروق رضي الله عنه: نسبة التصوُّف من الدين كنسبة الروح من الجسد، الإحسان الذي فسره النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه» الحديث، لا معنى له سوى ذلك إذ مداره على مراقبة بعد مشاهدة، أو مشاهدة بعد مراقبة، وإلاَّ لم يقع له وجود.

وأما فائدته، فالفوز بالملك الأبدي والنعيم السرمدي، وذلك من حيث

تأهيل القلوب بحضرة علام الغيوب: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسَان: الآية 20]. وأما فضيلته فهي مرتبة على فائدته ومعلومه، ولا شك أن معلومه من أجّل المعلومات إذ هو معرفة الحق سبحانه التي لا شيء فوقها. وفائدته من أجّل الفوائد إذ هي الفوز المذكور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور، والعلم يشرف بشرف معلومه وفائدته.

نسأل الله سبحانه أن يتفضل علينا بما تفضل به على أوليائه وأصفيائه بمحض فضله وكرمه آمين ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

ولما أمر الحق سبحانه وتعالى بعبادته والفرار منها إلى التوكل عليه في قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾ [هُود: الآية 123] وكان عمل السالك على ذلك من أقرب طريق الوصول إليه لأن اعتماده على الله تعالى في بدايته دليل نُجُحه في نهايته، وكان معنى الفرار إلى الله تعالى سارياً في جميع هذا الكتاب. بدأ المؤلف رحمه الله بما يشير إلى ذلك مقتصراً على ما يعرف به الاعتماد على العمل لإخفائه فقال: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل، علامة الشيء ما يعرف به ويتميز به عن غيره، والاعتماد عليه الاستناد إليه واتخاذه عدة والعمل ما يوجده الله عند الحركة الظاهرة أو الباطنة المجعولة في المتحرك المنسوبة إليه، وذلك كله بمحض الحكمة وإلاّ فليس له من الأمر شيء. وهو قسمان: قسم موافق لطلب الشرع ويسمى طاعة وحسنة. وقسم مخالف لطلب الشرع ويسمى معصية وذنباً وسيئة. والقسم الأول الذي هو طاعة ينقسم عند أهل الفن إلى ثلاثة أقسام: عمل الشريعة، وهو تطهير الظاهر من دنس المخالفة للشرع بحيث لا يراه الحق في موقف نهاه عن الوقوف فيه ظاهراً. وعمل الطريقة، وهو تطهير الباطن من كل ما يشم فيه رائحة سوء الأدب بين يدي الحق سبحانه وتعالى، باطناً كالأوصاف المذمومة نحو الحقد والحسد والحدة والجهل وغير ذلك من أمراض القلوب. وعمل الحقيقة وهو الجلوس على كرسي التفريد بالغيبة عن كل ما سوى الله تعالى. والقسم الأول من أقسام الطاعة يسمى بداية، والثاني يسمى وسطاً، والثالث يسمى نهاية.

ويقال أيضاً: الأول إسلام، والثاني إيمان لاعتقاد صاحبه أن عمله قيام

بالحكمة فقط فمشربُهُ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 53]. والثالث: إحسان. وكل واحد من هذه المقامات الثلاث مشتمل على مقامات كثيرة، فالإسلام درجات، والإيمان درجات، والإحسان درجات. ولا يصح الانتقال من مقام إلى آخر حتى يحقق ما قبله، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته، فلا ينتقل إلى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة وترتاض جوارحه معها بحيث لا يثقل عليه شيء من أعمالها بأن يحقق التوبة بشروطها، ويحقق التقوى بأركانها، ويحقق الاستقامة بأقسامها، وهي متابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإذا تزكى الظاهر وتنوّر بالشريعة انتقل إلى عمل الطريقة ويجده بعد تطهير الظاهر سهلاً لا مشقة عليه فيه لأن من تحقق بمقام الإسلام دفعه قطعاً إلى عمل الطريقة الذي هو مقام الإيمان. وكذلك من تحقق بمقام الإيمان دفعه قطعاً إلى مقام الإحسان لأن المقامات يرفع بعضها إلى بعض ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: الآية 23].

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

وكل ذلك بواسطة الشيخ الذي يرحل المريد من مقام إلى مقام بِهِمَّتِهِ. وقوله: وما أفلح مَنْ أفْلح إلاَّ بصحبة من أفلح. والنقصان ضد الزيادة والمساواة. ونقصان الرجاء عدم بقائه على ما كان عليه أولاً، والرجاء على ثلاثة أقسام: رجاء العامة، ورجاء الخاصة، ورجاء خاصة الخاصة. فرجاء العامة عبارة عن انبساط أنفسهم وسرورهم بانتظار الجزاء على ما يعملونه من العمل الصالح وهو في حقهم محمود لأنه يحملهم على الاجتهاد في الطاعة ويطفيء نار الخوف عنهم لئلا ييئسوا من رحمة الله، وفي حق من فوقهم مذموم لما فيه عندهم من العبادة على حرف. وهؤلاء العامة هم أهل مقام الإسلام المجتهدون في العبادة، الواقفون معها. ومن تحقق منهم في هذا المقام وتمكن فيه لا يكاد يفتر عن العمل الصالح لأن فيه راحته وبه يتسع رجاؤه. وهذا النوع من الرجاء، أعني المرتب على جزاء الأعمال، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها كما ينقص أيضاً بوجود الزلل وربما إذا كثرت الزلل انعدم؛ لأن ظلمة

الأعمال الخبيثة تؤثر في نور الأعمال الحسنة والعكس بالعكس. وإذا غلب أحدهما كان الحكم له وزيادة هذا الرجاء بزيادة الأعمال ونقصانه، ووجود الزلل دليل على اعتماد أصحابه على حسن أعمالهم لا على فضل ربهم، إذ لو اعتمدوا على فضل ربهم لم ينقص رجاؤهم من درجته بوجود الزلل لأن ظلمة الزلة إنما تؤثر في نور العمل الصالح، ولا تأثير لها في فضل الله سبحانه لاستحالة تغييره. ومشرب هؤلاء قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: الآية 32] وقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحَشر: الآية 18].

وكما أن نقصان الرجاء دليل على الاعتماد على العمل، كذلك أيضاً زيادته بعد نقصانه أو مساواته لزيادة العمل، وكما أن نقصانه لوجود الزلل دليل على الاعتماد على العمل، كذلك أيضاً إذا نقص للفترة عن الاجتهاد وإن لم توجد زلّة، وكذلك أيضاً مما يدل على الاعتماد على العمل نقصان الخوف أوذهابه بالكلية عند وجود العمل.

وقال شيخنا: كن، ومن جملة ما يزاد على المصنف مما يدل على الاعتماد على العمل تكبر العامل بعمله وترفعه على غيره وليس كذلك لأن من تكبر بعمله تصاغر عند وجود الزلل قطعاً لاستناده في تكبره لعمله، فهو داخل في كلام المصنف رحمه الله. ولما كانت علامة الاعتماد على العمل غير منحصرة فيما ذكره المصنف رحمه الله جاء بمن التبعيضية، فقال: من علامة الخ. والمراد من هذه الحكمة بيان الميزان الذي يقيمه السالك على نفسه في ادعائها الاعتماد على ربها دون شيء من أعمالها لأن من زادت به الطاعة رجعت به المعصية، فإذا سقط الجميع من عين بصيرته استوى وكملت نشأته وترقيه في سلوكه عن الاعتماد على عمله إلى الاعتماد على ربه من غير طلب جزاء ولا إرادة شيء سوى ما تقدم في علمه ومضى به حكمه مع شدة الحرص على الطاعة والعكوف عليها، والله تعالى أعلم.

هذا ملخص القول في رجاء العامة.

وأما رجاء الخاصة، فهو انبساط أرواحهم وسرورهم بما يشاهدون من

إحسان الله تعالى من غير سبب ولا موجب لرؤيتهم أعمالهم من ربهم لا من أنفسهم، كما أن خوفهم لما يشاهدون من سطوة القهار الفاعل لما يشاء بالاختيار فهم يرجون رحمته لجماله ويخافون عقابه لجلاله، فلا رجاؤهم ينقص بوجود الزلل، ولا خوفهم يزول بكثرة العمل لشهودهم الأعمال على أي حالة كانت من الحق سبحانه وتعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يُونس: الآية 107] لا يرون في اليقظة والطاعة إلاّ الرضى والتوفيق من الله سبحانه، ولا يرون في الغفلة والمخالفة إلاّ السابق من الله تعالى، كل ذلك مع سكون قلوبهم لاستغراقهم في التوحيد والاتصاف بوصف العبيد دون اعتماد على نظر لأنفسهم وأن الدية في مذهبهم على القاتل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: الآية 68]، فخوفهم ورجاؤهم مرتبطان بجلاله وجماله وهما لا يزيدان ولا ينقصان، فكذلك ما ارتبط بهما ومن تمكن منهم في هذا المقام ورسخ فيه لا يكاد يرى فعلاً لغير الله أبداً، ومشرب هؤلاء قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: الآية 78]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 53]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لن يدخل الجنة أحدكم بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا. إلا أن يتغمّدني الله برحمته.

ولا يكاد يجري على بالهم قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: الآية 32] إلا بطريق الشريعة لا غير. لذلك لما كُلّم بعضهم في تصحيح التوبة أجاب بقوله: لو كانت التوبة بابي على أن أنجو من الله ما فتحتها ولو كان الزهد والإخلاص عبدين لي لبعتهما زهداً فيهما. كل ذلك من جهة أن هؤلاء لا يرون المخلص من الله إلا الله لاضمحلال الأعمال في أعينهم برؤيتها من ربهم سبحانه. ولذلك قالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، وقال الشيخ مولانا عبد السلام لتلميذه أبي الحسن: بما تريد أن تلقى الله؟ فقال: بفقري، فقال له: لو لقيته بفقرك للقيته بالصنم الأعظم.

وأما رجاء خاصة الخاصة فهو انبساط أسرارهم وفرحهم بشهود الحق سبحانه وأنسهم به في جميع الأحوال في بدايتهم أي في بداية شهودهم لأنوار ربهم وغيبتهم عن كل ما سواه في نهايتهم حتى عن السرور والفرح وغيرهما،

فهم يرون الخوف والرجاء بالمعنى السابق عقالاً للقلوب وسوء أدب بين يدي علّام الغيوب، فلا يكادون يلتفتون لشهود الأعمال ولا ملاحظة الأحوال، خوفهم ورجائهم شريعة الظاهر لا غير وإلّا فهم وأحوالهم ومقاماتهم بالله ومن الله وإلى الله، فالحضرة معشش قلوبهم أبداً ومستقر أسرارهم سرمداً، لو كلّفوا أن يروا غير الله ما رأوه، قد فنوا عن أنفسهم باستغراقهم في الذات وغابوا بمحبوبهم عن الآلام واللذات، واستراحوا من ظلمة الحدوث بظهور القِدَم، ونجوا ببذل النفوس من وحل توحيد كالخضخاض لا تستقر عليه قَدَم لكونه بالدليل والبرهان دون الشهود والعيان، مشربهم قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22-23] ومطمع قلوبهم قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 91]، ولكن هذا كله بعد شدّة الخدمة ورعاية الحرمة ويسهّلها الله على من شاء من العبيد. وأنشدوا:

أيها العاشق معنى حسننا
مهرنا غالٍ لمن يخطبنا
جسد مُضْنَى وروح في العَنَا
وجفونٌ لا تذوق الوَسَنَا
وفؤاد ليس فيه غيرنا
فإذا ما شئتَ أدِّ الثمنا
واخلع النعلين إن جئت إلى
ذلك الحي ففيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعاً
وأزل ما بيننا من بيننا
وافن إن شئت فناء سرمدا
فالفَنا يدني إلى ذلك الفِنَا
وإذا قيل من تهوى
فقل أنا من أهوى ومن أهوى أنا

تتميم: أشكل على بعضهم قول مولانا جلّ ثناؤه: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: الآية 32] مع قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحدكم بعمله».

والجواب: إن الكتاب والسنّة كل ورد بين حقيقة وشريعة فإذا رأيت القرآن حقق في موضع فلا بد أن يشرع في موضع آخر، والعكس بالعكس. والسنّة كذلك، وربما حققت السنة ما شرّعه القرآن وشرّعت ما حققه القرآن. فقول مولانا: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: الآية 32] شريعة، وقول رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» حقيقة، والله تعالى أعلم.

ولما أحال الشيخ رحمه الله أهل السلوك في الحكمة السابقة على الاعتماد على الله لأن من كانت هجرته إلى الله ورسوله بداية، كانت هجرته إلى الله ورسوله نهاية. ولأن من أشرقت بدايته بالاعتماد على الله أشرقت نهايته في سلوك الوصول إليه. ولأن من علامة النجح في البدايات الرجوع إلى الله في النهايات وذكر الميزان الذي يعرف به الإنسان كونه معتمداً على الله أو على العمل ليمكنهم الوصول إلى معرفة الله تعالى، أشار رحمه الله إلى ترقّيهم عن علائق الشهوات وعوائق الاختيارات، لأن الاختيار إما عائق عن الوصول، أو عائق عن أعالي المقامات في بعض الأحوال، وسوء أدب في بعضها. فقال: إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية. إرادتك الشيء: تعلق القَلْب به وطَلبَ حصوله لكونه راجِحاً في اعتقادِ المُرِيد على غيره وأنفعُ له منه. وتعلق القلب درجات، وطلب الحصول درجات بعضها فوق بعض، ولذلك اختلف أهل الفن في إرادة المريد لله اختلافاً عبر فيه كل واحد على قدر مقامه وذوقه، فقيل: الإرادة ألا يريد العبد مع سيده شيئاً.

وقيل: الإرادة لوعة يجدها المريد في قلبه تحول بينه وبين ما كان عليه.

وقيل: الإرادة قصد خاص في المعرفة بالله.

وقيل: الإرادة عند العوام ترك العادة، وأما عند الخواص فهي معنى يوجب نهوض القلب في طلب الحق المشروع المرضي عند الله قولاً وفعلاً لا رغبة في نعيم ولا خوفاً من ضده مع قطع خواطر الحظوظ النفسية، إلى غير

ذلك مما لا نطيل بذكره.

والتجريد في اللغة يقتضي بمادته مطلق الإزالة، وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام: القسم الأول: يسمى بتجريد الظاهر، ويسمى أيضاً: توكلاً، وهو الانقطاع إلى الله تعالى بدوام عبادته وترك كل ما يشغل عنها من الوسائل التي يتوصل بها إلى جلب المنافع أو دفع المضار الدنياوية اعتماداً على الله في نيل المقدور من ذلك بدون استعمال وهذا هو المراد في كلام المصنف رحمه الله لمقابلته إياه بتعاطي الأسباب.

الثاني: يسمى بتجريد الباطن وبدايته تعرية القلب من كل وصف مذموم وتحليته بالأوصاف المحمودة، ونهايته تعرية القلب من النظر إلى غير الله، وتجريد الباطن يسري لتجريد الظاهر غالباً، لأن من تنشّب بشيءٍ ظاهره تنشّب به باطنه والعكس بالعكس.

القسم الثالث: تجريد الظاهر والباطن جميعاً، وهو تجريد الظاهر من كل ما يشغل عن عبادة الله، وتجريد الباطن من كل ما يشغل عن الحضور مع الله. وهذا أعلى أقسام التجريد عند أهل الفن. ثم يليه تجريد الباطن. وأما تجريد الظاهر دون الباطن فلا يعتبر عندهم أصلاً إلاَّ من حيث أنه وسيلة لتجريد الباطن لمنافاة ظاهره لباطنه والمعول عليه في نظر الله للعبد باطنه. وأيضاً تجريد الظاهر دون الباطن لا يتأتى معه الوصول إلى الله أبداً، والعبد قنٌّ ما بقي عليه درهم ومدار الطريقة من حيث هي على الوصول إلى الله تعالى. وهذه الأقسام كلها ترجع إلى تجريد الذات وذلك إلاَّ للأواسطِ وأهل البدايات.

وأما التجريد عند أهل النهايات فهو التجريد من الذات والأحوال والمقامات ومن نفس التجريد ومن كل شيء غير الله تعالى باطناً مع القيام بحكمة الشرع ظاهراً على بطون الظاهر وظهور الباطن وامتزاج الكل بالكل من حيث الغرق في بحر التفريد، وهذا النوع من التجريد هو الذي قصده شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمٰن المجذوب:

أقـاريـيـن عـلـم الـتـوحـيـد

أهـنـا الـبحـور إلـي تَـغْـبِي

هــذا مــقــام أهــل الــتــجــريــد
الــواقــفــيــن مــع ربــي

وذلك، والله أعلم، لأن بحور أهل التفريد تغبى وتغيب جميع ما عليه أهل التوحيد من الدليل والبرهان، لأن هذا التجريد يصير الدليل عين المدلول، وقد كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان بشهود ذي العرش المجيد ولا يتأتى ذلك إلاَّ بهذا النوع من التجريد. ولذلك قال: هذا مقام أهل التجريد، الواقفين مع ربي لا مع شيء سواه. والمراد بالأسباب هنا الوسائل التي يتعاطاها الإنسان في تحصيل أغراضه الدنيوية. والشهوة ميل المرء بالطبع البشري إلى المشتهى والخفية ضِدُّ الجلية وإقامة الله للشخص في الشيء إدامته عليه مع حصول نتائجه كما يأتي للشيخ رحمه الله، والانحطاط الهبوط من أعلى إلى أسفل، واستعير لاختيار الأدنى على الأعلى، والهمة قوَّة إرادة وغلب انبعاث إلى نيل مقصود ما، وَتكون عالية إن تعلقت بأعالي الأمور، وخسيسة دنية إن تعلقت بأدانيها. قال الشاعر:

وقــائــلــة لــم عــلــتــك الــهــمــوم
وأمــرك مــمــتــثــل فــي الأمــم
فــقــلــت ذريــنــي عــلــى حــالــتــي
بــقــدر الــهــمــوم تــكــون الــهــمــم

وقال آخر:

إذا أعــطــشــتــك أَكُــفّ الــلــئــام
كــفــتــك الــقــنــاعــة شَــبْعــاً وريــا
فــكــن رجــلاً رجــلــه فــي الــثــرى
وهــامــةً هــمــتــه فــي الــثــريــا
أبــيــاً لــنــائــل ذي ثــروة
عــلــيــه بــمــا فــي يــديــه أبــيــا
فــإن إراقــة مــاء الــحــيــاة
دون إراقــة مــاء الــمــحــيــا

ويعني، رحمه الله، أن السالك إذا كان ينال أمور معاشه في هذه الدار بأسباب يتعاطاها ووسائل يدلي بها من تجارة وغيرها مع إدامة الله عليه ذلك من غير تعذر عليه ولا إخلال بشيء مما يقتضيه الشرع منه مع حصول نتائج ما يفيئه الله عليه من تلك الأسباب من قيام بأود الأهل ومواساة فقير أو أخ في الله مع سكون قلبه إلى الله وعدم الالتفات إلى ما في أيدي الناس، فالواجب عليه أن يفهم عن الله أن الحق سبحانه أراد منه ما أقامه فيه فلا تتعلق نفسه بما هو أعلى من ذلك من طرح تلك الأسباب والانقطاع إلى الله تبارك وتعالى والتجرُّد لعبادته لما في ذلك من الشهوة الخفية. وإنما كانت شهوة، لأن الإنسان إذا كان في هذه الدار على حالة هو معها مقيم لدينه ساكن القلب إلى الله ثم طلب أن يتبدل بها حالة غيرها من غير أن يأذن الله له في الانتقال عنها بتعذُّرها عليه حساً أو شرعاً أو بإشارة شيخ كانت إرادته الانتقال عنها شهوة محضة إذ لا موجب له غيرها، فيكون ذلك سوء أدب مع الله إذ المتأدِّب مع الله لا يريد غير مراد سيده ومولاه. وإنما كانت خفية لأنه ربما يقال: بحسب الظاهر ليس في الانتقال من الأسباب إلى التجريد إلاّ المبالغة في الأدب بالانقطاع إلى الله جملة واحدة مع أن الأمر ليس كذلك، كما غر بذلك كثير ممن رأيناه فعل ذلك، ثُمَّ لما تجرّد تحزَّبت عليه جيوش الفقر وولّى هارباً إلى الأسباب لا يُفرّق بين حلال وحرام. وما ذلك إلاّ لاتباع هواه وخروجه عن الأسباب بنفسه لا بربه، ولو جلس حيث أقامه الله حتى يكون الله هو الذي يخرجه عنها ويذيقه سر التوكل عليه من تَهْيِيءِ الأمور من غير مشقة ولا تعب لم يتسلط عليه جيش الفقر بالمحاربة ولو حاربه لأيّده الله عليه، ومن انقطع إلى الله كفاه، لكن المسكين جاءه إبليس على هيئة ناصح حيث رآه ساكن القلب إلى الله في أسبابه التي لا يخالطه فيها حراماً ولا شغلته عن الله، فقال: انقطع إلى الله دفعة واحدة لتصير ولياً من حينك. ومراده أن يقطعه عن الأسباب فَيَكِرُّ عليه الفقر فيتحصن بالسبب أينما كان حراماً كان أو حلالاً لانزعاج قلبه بخوف الفقر، فتحصل له الخسارة الكبرى. نعوذ بالله من الانقطاع عن الله واتباع الهوى وغرور الشياطين.

قال في «التنوير»: والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجك كما تولى إدخالك، وليس الشأن

أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب.

قال بعضهم: تركت السبب كذا وكذا مرة فَعُدتُّ إليه فتركني السبب فما عدت إليه.

قال: ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلاً في نفسي: إن الوصول إلى الله على هذه الحالة التي أنا عليها من الاشتغال بعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس بعيد. فقال من غير أن نسأله: صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فنال من الطريقة شيئاً، فجاء إليّ وقال: يا سيدي نخرج مما أنا فيه ونتفرغ لصحبتك، فقلت له: ليس الشأن هذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو لك واصل. ثم قال الشيخ، ونظر إليّ: وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم. فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى. ولكنهم كما قال ﷺ: «هم القوم لا يشقى جليسهم».

وأما المريد المتجرِّد عن الأسباب، الخالي عقله من شواغلها وخيالات حسها، المنزّه عن مخالطة الغافلين ومجالسة البطالين، المسقط عن نفسه كلفة سعة العيش الداعية إلى كسب الحرام غالباً وإلى كسب الحلال المفضي بسبب السعة إلى التبَحُّرِ في الشهوات الجالبة للخواطر، المانعة من صفاء مرآة العقل، الباحث هو عن صفائها لِيُلاقي النور الأصلي فيقع الوصول إلى العلم بالله الذي هو غاية مراده ثم يريد الدخول في الأسباب التي هي بهذه الحالة المضادة لمراده المخالفة لما قصده بتجريده من قطع العلائق دفعة أو التخلي عنها شيئاً فشيئاً بمعونة الله له على ذلك حتى يدخل حضرة الله ويُلاقي الأحباب بعد أن أقامه الله سبحانه في تجريده بتهيئة شرائعه من دوام ذلك عليه من حيث قوته في أسباب الوصول بفضل الله ورحمته من الاجتهاد في أوراده وأذكاره ووجود ما يقيم الأود من طعام وملبس مع صفاء الوقت من لَغْط الناس الذي يشوش عليه سَيْره لحضرة مولاه ورفع همته عن مداخلة الدنيا التي أهلكت كثيراً من الناس بقطعهم بغوائلها عن الوصول إلى المراد من وجودهم في هذه الدار فذلك

انحطاط عنِ الهمة العلية إلى الهمة السافلة من غير إشكال لأن الهمة تعلو بعلو ما تعلقت به وتنسفل بانسفال ما تعلقت به، والهمة التي تتعلق بالانقطاع إلى الله سبحانه بالخدمة ورعاية الحرمة والرضى عن الله باللباس الدون والطعام الدون الذين لا يؤديان مَنْ رضي بهما إلى فتنة مزاحمة أهل الدنيا في دنياهم فتقع بسبب ذلك فترة المجتهد وانقطاع سواه هي والله همة عالية فإذا أراد صاحبها أن يعلقها بمقابل ما تعلقت به الآن من تعاطي الأسباب المؤدية لخلاف ما تعلقت به أولاً فقد نقلها والله من قِنَّة المعالي إلى حضيض الانسفال فصاحبها، إذ خسيس الهمة كاذب في دعوى الصدق في التوجه إلى الله تعالى، إذ لو كان صادقاً في ذلك ما رجع القهقرى واستبدل ما يؤديه لصفاء الوقت بما يكدره عليه ويعوقه عن سيره لمراده من الوصول لسيده ومولاه.

تـركـت كـل طـريـقٍ كـنـت أعـرفـهـا
إلاَّ طـريـقـاً تـؤدّيـنِـي لـربـعـكـم

ويفهم من كلام الشيخ رضي الله عنه أن مجرد إرادة التجريد من المتسبب شهوة خفية وإن لم يقع تجريد بالفعل وإن مُجَرَّد إرادة الأسباب من المتجرد انحطاط عن الهمة العلية، وإن لم يقع دخول في الأسباب بالفعل، وهو كذلك، لأن إرادة الشيء القصد إليه وجزم النية والجد في طلبه ووسيلة الشيء تعطي حكم المتوسل إليه وفاقاً ثم إذا ظهرت للمتسبب علامة عدم إقامة الله إياه في الأسباب بحيث يكون إذا بقي في الأسباب اختل دينه وتزلزل حاله وكان على خلاف ما ذكرناه في إقامة الله إياه في الأسباب تعيّن عليه التجريد، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً كما نقل سيدي مَيَّارَة عن بعض الحرارين أنه تعذرت عليه صنعته من جهة ملابسة ما لا يحل له فتركها وانقطع إلى الله فكانت نفقته توجد تحت سجادته. وكذلك المتجرد إذا ظهرت علامة عدم إقامة الله له في التجريد بأن ظهر فيه الاهتمام بالرزق وكثر فيه الطمع في الخلق، وعظم فيه الحرص على جمع الدنيا بالسؤال وغيره وتشوش عقله واختل حضوره مع الله فيتعين عليه الدخول في الأسباب ليسكن جأشه ويتدارك بالأسباب علاج قلبه ليتمكن من السير إلى الله تعالى من طريق المواساة للفقراء والمساكين والإخوان

من المريدين والواصلين، لأن من فتح قلباً بمفتاح الإحسان لاح عليه ما فيه ففتح قلوب المساكين يلوح على فاتحها منها انكسار الفقر وذلّه، والذل عبودية توصل إلى الله تعالى بما أودع فيه من الخروج عن النفس، فهو من أنفع الأحوال الموصلة إلى حضرة الله تعالى. قال عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» فهو يوصل إلى الله تعالى بالجعل، أي بما جعل الله فيه وفتح قلوب المريدين والواصلين يلوح على فاتحها منها ما فيها من أنوار الربوبية والأخلاق الحميدة، ففتحها يوصل إلى حضرة الله تعالى بالفعل لأنها لا تلوح على حادث إلاّ نسخ بها حكمه.

وظاهر كلام الشيخ رضي الله عنه حيث قال في إرادة المتجرد الأسباب انحطاط عن الهمة العلية: أن التجريد بقيوده السابقة أفضل من تعاطي الأسباب لحماية صاحبه من الدنيا التي حلالها حساب وحرامها عقاب، لأن مداخلتها غالباً تؤثر في الحضور خللاً أو وقوفاً وحبساً عن الزيادة.

قال شيخنا الإمام مولاي العربي رضي الله عنه: ما زاد في الحس نقص من المعنى. وهو كذلك. قال بعض الشعراء:

إن السلامة من سلمى وجارتها
أن لا تحل على حال بواديها

وقال آخر:

وقائلة ما لي أراكَ مُجانِباً
أموراً وفيها للتجارة مَرْبَحُ
فقلت لها ما لي بربحك حاجة
ونحن أناس بالسلامة نَفْرَحُ

وهذا الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه إنما هو باعتبار السائرين. وأما الواصلون المتمكنون الراسخون، فلا كلام عليهم، إذ هم رضي الله عنهم لله لا لشيء دونه، فهم يأخذون ما في الأشياء من أسرار الله ولا تأخذ الأشياء منهم شيئاً لأنهم لله تعالى فهم يقبضون من الله بالله ويدفعون بالله لله، قد حفظ الله أسرارهم من شهود الآثار وملاحظة الأغيار وعليه يحمل حال الصحابة في

الأسباب رضي الله عنهم ونفعنا ببركتهم آمين، لكونهم غائبين في حضرة مسبب الأسباب عن نفس الأسباب.

ثم الحق الذي لا شبهة فيه، أن مشرب المتجرِّد من نور الحقيقة، وإن كان في الغالب أصفا من مشرب المتسبب منه فمقام المتسبب المخالط للخلق، أتم وأوفى لأن مقامه مقام الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وليس الشجاع من يهرب من الحية إنما الشجاع من يقبضها وهي حية. على أن الذي يناله المتجرد من أنوار التوجه إلى الله بعبادته ليس بأوفى مما يناله المتسبب بمواساته، لأن الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله. والذي يظهر لنا في هذا الزمان القبيح الذي كثر فيه الطمع والحرص مع كون الناس كثر فيهم البخل والشح أن تعاطي الأسباب خير من التجريد وأفضل كما كانت عادة أبي العباس فيمن يريد أن يصحبه فيمتنع من صحبته حتى يكون محترفاً، لأنّا نرى كثيراً ممن يتشبه من أهل الطريقة يلبس المرقعة ذريعة للسؤال وجمع المال. وقد كان شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول لنا: كنا أمرنا الإخوان بالسؤال لذبح النفوس فإذا بهم اتَّخذوه لجمع الفلوس، فحرمناه في طريقتنا إلاَّ عن الضرورة كما في ظاهر الشرع.

وذلك كما قال رضي الله عنه وأرضاه، فإنّا نرى كثيراً ممن يتشبه بالقوم ظاهراً ومقصوده طلب الدنيا بذلك حتى يلبس المرقعة ويقف على أبواب الحكام يسأل ويتذلل لهم لأجل أن يواسوه بالمال الحرام، وذلك مناف لما يظهره من التقشف والقناعة والزهد والعفاف كل من يدَّعِي بما ليس فيه كذّبته شواهد الامتحان، وإن كان المريد لا يفيده شيء سوى الحق نجاة من هلاك ولا جلباً لمصلحة فليكن بحكم الموافقة لمراد الله قانعاً، فكلما أقامه الحق في مقام فيحسن الأدب معه فيه من غير استشراف لسواه تجريداً كان أو سبباً. هذا ويحتمل أن يكون معنى قول الشيخ رضي الله عنه: إرادتك التجريد الخ، الحكمة أن السَّالك في زمان سلوكه وشغله يؤمر بتجريد نفسه عن الشهوات وقطع العلائق والخيالات المانعة له من الوصول، وذلك بدوام الذكر وأنواع العبادات وضروب التقربات، وهي أسباب الوصول إن يسره الله فمقتضى أدبه

مع الله سبحانه أن يشتغل بأوراده وما هو عليه ولا يعلق همته بتجريد باطنه من السوى إذ ذاك حتى يكون الله هو الذي يتولى تجريده منه لأن اشتغال همته بتجريده من السوى إذ ذاك من الشهوة الخفية الحائلة بينه وبين الوصول لخوض فكرته في الخواطر، وهو يظن أن ذلك لا يضر به لكونه نورانياً من جهة أنه إنما يريد التجريد من السوى من جهة محبته لله مع أن المحبة الاشتغال بالمحبوب عنها وعن كل شيء سواه. ومن هنا كانت شهوة خفية حتى حجب بهذه الإرادة، أي إرادة التجريد من السوى كثير من الناس.

ومن ذلك ما وقع لأبي الحسن الشاذلي في الخلوة لانتظار الفتح مع أن انتظار الفتح من حرمان الفتح لوجوب قطع العلائق عامة وحذف الإرادة جملة، إرادة الفتح وسواه.

وقوله: وإرادتك الأسباب، إلى آخره، معناه والله أعلم: أن الفاني المجرد الباطن من السوى إذا أراد ظهور الأسباب له مصحوبة بالأنوار في مظاهر الاضطرار وهو مقام البقاء بعد حصول الفناء وذلك مقام الكمال، انحطاط عن الهمة العلية القانعة بما وهب لها مولاها من المواهب وبسط عليها من المنح والرغائب، التي ليست مريدة لغير ما يريد بها الحق سبحانه وتعالى.

والحاصل: أن تشوُّف المريد للوصول بالتجريد من السوى من حرمان الوصول وهو شهوة خفية، وتشوق الفاني لمقام الكمال وهو الفناء عن الفناء وقطع النظر عنه بشهود الوجود الأول المقتضي دوام البقاء في ظهور الأسباب الفانية، انحطاط عن الهمة العلية التي لا تريد من الله غير ما أراد، وهذا المعنى أرق من الأول والله تعالى أعلم.

ثم قال: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار. لما قدم رضي الله عنه النهي عن الإرادة في قوله: إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب الخ، أتى بما هو كالعلة له كأنه قال: لا فائدة في إرادة المتسبب التجريد ولا في العكس لأن سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، فإرادة الله ومشيئته هي النافذة دون إرادة العبيد إذ العبد الصادق العبودية يقيم حيث أقامه مولاه سواءٌ كان ذلك في التجريد أو الأسباب، إلاَّ إذا أذن له في الخروج عن ذلك كما تقدم وكما هو،

وكلامه هنا كالتعليل لما قبله، هو كالتوطئة والتمهيد لما بعده من إسقاط التدبير والاختيار، فللّه در المؤلف، نفعنا الله ببركاته، ما أحسن إفادة كلامه مع الاختصار.

ومعناه، والله أعلم، أن الهمة التي هي عبارة عن انبعاث النفس لطلب مراد ما لا يمكنها الخروج عن أسوار الأقدار المحيطة بها وإن كانت سابقة، أي عالية عن جميع الهمم في القرب من الله بحيث تكون قد بلغت في ذلك المبلغ الذي عجز عنه سواها، فكل ما قدر لصاحبها من الخير أو قدر عليه من الشر لا بد أن يناله وليس له خروج عن ذلك حتى يكون خرقاً لأسوار الأقدار وتفلتاً عن إحاطتها بعد أن قدر الله ذلك في سابق علمه وتعلقت مشيئتُهُ به وإلاَّ لو كان يمكن خرق أسوار القدرة بهمة لما نال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مكروه أبداً لأنهم أعلى الناس همة وأقربهم إلى ربهم، كيف وسيد المخلوقين وإمام العارفين يخاطبه الحق سبحانه بقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [يونس: الآية 49]، وكما أنه ليس لصاحب تلك الهمة أن يخرج في خاصة نفسه عن أسوار الأقدار بهمته، فليس له أن يخرج أحداً عن أسوارها ويخرقها بعد أن أحاطت به في سابق العلم. وما يقع للرسل والأنبياء والأولياء من موافقة ما يخبرون به مما يبرز من عالم الغيب من موافقة الأقدار معجزة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ليثبت الله بذلك تحقيق رسالة الرسل ونبوة الأنبياء عليهم السلام، وكرامة للأولياء تثبيتاً لهم على ما هم فيه وزيادة بهم لا خرقاً لأسوار الأقدار بإبراز الهمة لمخالفة المشيئة، فإذاً صرف الهمة وإرادة الإنسان لتحصيل أمر لم تتعلق به مشيئة الله عياء وسوء أدب لأن ذلك إرادة لخرق أسوار الأقدار وهي لا تخرقها همة أبداً، ولذلك طلب من القائل: إني فاعل ذلك، أن يقول: إن شاء الله، ليحصل مطلوبه غالباً وينجح مرغوبه لكونه مستنداً في إرادته لمشيئة الله لا إنه يحصل شيئاً لم يقدره الله فيكون خرقاً لأسوار الأقدار، لأن أسوار الأقدار لا تستطيع همة خرقها بفعل المخالف، وإن كانت أعلى من جميع الهمم سابقة عليها في القرب من الله، وإذا كان الإنسان في إرادته مستنداً للمشيئة وإرادة الله سبحانه كان طالباً لمراده بالله لا بنفسه التي لا تجدي شيئاً. وسيأتي للشيخ رضي الله عنه قوله: ما تعذر مطلب

أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك.

فإذاً الهمم التي لا أعلى منها ولا أسبق في ميادين الفضل لا تنزل إلى ملاحظة الأقدار، أي ما وقع تقديره من المقدورات أو ما يقع حتى تتعلق بشيء وقع أو يقع لأنهم يرون ذلك شغلاً عن الله ونزولاً عن منصبهم الذي هو الغيبة في المحبوب.

ويحتمل أن يكون معناه: أن الهمة السابقة عن الهمم كلها هي التي لا تخرق أسوار الأقدار بأن لا تشتهي خلاف البارز من مراد الله منها، فترضى بما جرى القدر به من كل شيء لأنها بالله.

ويحتمل أن يكون معنى كلام الشيخ رضي الله عنه: أن الهمم السوابق عن الهمم كلها بشدَّة التوغل في حضرة الله والتمكن فيها هي التي لا تمس أسوار الأقدار بخرق الود للشيء ولا التمني له سواء كان مما أراد الله وجوده أو تركه، أو كان مما لم يرده الله لوقوفهم مع الله لا مع شيء دونه، فهم يستحيون منه تعالى أن يراهم غير واقفين معه بل هو سبحانه يغار عليهم أن يكونوا في غير حضرته، فكلما أراد شيء أن يجذبهم حرس قلوبهم بسبحات وجهه الكريم، نفعنا الله بهم وجعلنا في جملتهم آمين.

وقول مولانا عبد القادر رضي الله عنه: وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن الخ، فلعله كان في غير نهايته وإلاً فقد قال صاحب «الإنسان الكامل»: هؤلاء هم الأدباء الأمناء لكونهم ينظرون إلى ما يفعل الله من غير إفشاء سر ولا دخول في تصرف الله في ملكه. قلت: ودعاء هؤلاء إنما هو عبودية لا لأنهم يريدون من الله غيره لغيبتهم في أنواره عن كل شيء لكونهم لله لا لشيء دونه، وغالب دعائهم إن وقع منهم دعاء أن يقولوا: اللهمَّ احفظنا فيك مخافة النزول عن مقامهم. وسيأتي للشيخ رضي الله عنه: ماذا فقد من وجدك وإلا فأي شيء يحتاجون إليه وهم أغنياء بالله عن كل شيء، قد سكنوا ذروة الجبل ويذكر أن أعرابياً ضلت ناقته ليلاً فطلبها وأكثر الفحص عنها والظلام يحول بينه وبينها، وإذا بالقمر قد طلع فرآها باركة بقربه فنظر للقمر وقال: أي شيء نثني به عليك، وأنشد:

مـاذا أقـول ومـا فـي الـقـول فـائـدة
وقـد كـفـيـتـنـي الـتَّـفـصِـيـل والـجـمـلا
إن قـلـت لا زلـت مـرفـوعـاً فـأنـت كـذا
أو قـلـت زانـك ربـي فـهـو قـد فـعـلا

وهذا الاحتمال الثاني هو الذي عرضته على الشيخ رضي الله عنه فرضيه، وقال لي: به اشرح هذه الحكمة. والسوابق جمع سابقة وإضافته إلى الهمم من إضافة الصفة إلى الموصوف لا من إضافة الموصوف للصفة، كما قال أخونا العلامة سيدي أحمد بن عجيبة، فذلك منه سبق قلم رضي الله عنه.

ولما قدم الشيخ رضي الله عنه قوله: سوابق الهمم لا تَخْرِقُ أسوار الأقدار. وكان في ضمن ذلك النهي عن التدبير والاختيار، لأنه إذا كانت سوابق الهِمم إنما تجري على مختار الله وتدبيره، فلا فائدة إذ ذاك في التدبير والاختيار صرح بما هو مضمون ما قبله إذ لا تكرار للمصرح به مع المفهوم ضِمناً، فقال: أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك. فأفاد كلامه أن التدبير مطلقاً كلفة يتحملها الإنسان وتعب يستعجله لنفسه على كل حال لقوله: أرح نفسك من التدبير، وذلك لأن حصول الراحة بالترك يدل على حصول التعب في الفعل. ولذلك قال أحمد بن مسروق: من ترك التدبير فهو في راحة. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين».

ثم التدبير لغة النظر في عواقب الأمور وما يؤول إليه حالها، وفي الاصطلاح تقدير شؤون وأحوال يكون الإنسان عليها في دينه أو دنياه. وظاهر كلام المؤلف أنه مذموم مطلقاً سواء كان مع الاستعداد للوقوع والاهتمام به أو العزم والتحصيل، أو كان مع التفويض للمشيئة لأن الخوض في التقدير كله سوء أدب ومشاركة للربوبية في أوصافها الخاصة بها لقوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القَصَص: الآية 68] مع ما في ذلك من المضادة لأحكامها إن كان ما يقدره غير موافق لما في باطن العلم فيحصل الحجب بذلك عن الله لكون مراد السالك قطع العلائق الظاهرة والباطنة ليحصل

الوصول إلى العلم بالله، وكون مراد الواصل صفاء الوقت والكون مع الله بلا علاقة وتدبيره، وإن كان بالله فهو نزول عن مقامه الأعلى ومشربه الأصْفَا، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: «لا تختر من أمرك شيئاً واختر ألا تختر وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله سبحانه». وقال أيضاً: «إن كان ولا بد من التدبير فدبر ألا تدبر» يعني أنْفِ التدبير جملة.

وقال سهل بن عبد الله: «ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم». ويعني والله أعلم أنهما يؤثران في صفاء الحضور مع الله تعالى.

وقد خاف الشيخ الكامل القطب مولانا عبد السلام رضي الله عنه أن يحجب بالرضى والتسليم اللذان هما مقامان جليلان، فما بالك بالتدبير والاختيار حيث قال له تلميذه الشيخ أبو الحسن: كيف أصبحت يا سيدي؟ فقال له: أصبحت أشكو برد الرضى والتسليم مخافة أن يحجباني كما أصبحت تشكو حر التدبير والاختيار». على أن جميع التدبيرات والاختيارات سواء في ذلك أمور الدنيا والآخرة، قد قام به الحق سبحانه عن العبيد لئلا يقع الشغل عنه سبحانه بشيء من ذلك، فلا محل لقيام العبد بذلك لنفسه بعدما قام به من ينفذ تدبيره واختياره لكمال قدرته وعدم المعارض له في حكم من أحكامه أو اختيار من اختياراته، إذ لا تدبير مع المدبر الحكيم الذي يوقع الأشياء في مواقعها اللائقة بها سواء أطلعنا عن ذلك أو أخفاه عنا.

وأما القيام بتحصيل الأمور المطلوبة من العبد شرعاً ونية تحصيل ذلك منه فليس ذلك من تدبير العبد لشؤون أمور يكون عليها لأن الله سبحانه قد دبر له ذلك واختار له فلم يبق له في ذلك تدبير ولا اختيار وإنما ذلك سمع وطاعة خلافاً لمن سموا ذلك تدبيراً فلا ينطبق عليه حد التدبير السابق.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: وكل مختارات الشرع وترتيباته فليس لك منها شيء، إنما هو مختار الله فاسمع وأطع. وهذا محل الفقه الرباني والعلم الإلٰهي وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى، لمن استوى أي استوى في الأضداد في الشهود فلا يحجبُ عن الله في ضدٍّ من

الأضداد ويتعين على العبد هنا الجزم والتصميم، فإن وافق القدر وحصل فقد أطاع نية وفعلاً، وإن لم يوافق القضاء والقدر بأن لم يحصل كانت نيته صالحة. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «نية المؤمن خير من عمله» إذا لم تساعده الأقدار على حصول العمل بالفعل لأنه إذا لم يساعده القدر كانت له نيته وهي من الأمور الخفية التي لا تعرضها العوارض المبطلة للأعمال الظاهرة كالرياء والعجب وغيرهما بخلاف الأعمال الظاهرة والله تعالى أعلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «وإنما لكل امريء ما نوى». ولما ذكر الشيخ رضي الله عنه فيما سلف علامة الاعتماد على العمل ودليله. تكلم هنا على دليل انطماس البصيرة الذي هو عبارة عن عمى القلوب. ولا شك أن الشيخ رضي الله عنه أفاد بقوله: أرح نفسك من التدبير الخ، لزوم العبد للرضى والتسليم، لكن الرضى يوجب قبول الحكم والحكمة، والتسليم يوجب قبول الحكمة فقط. فبينهما العموم والخصوص بالإطلاق، فالرضى أخص مطلقاً والتسليم أعم مطلقاً، وأيضاً الرضى لا يكون إلاّ طوعاً بخلاف التسليم، فتارة يكون طوعاً وتارة يكون كرهاً.

قال بعضهم: وقد يكون الرضى في أوله حالاً ولا يكون في آخره إلاّ مقاماً. والفرق بين الحال والمقام أن الحال لا يدوم على صاحبه بل يلُوح عليه ويفارقه بخلاف ما يكون مقاماً فإنه لا يفارق صاحبه. وأيضاً الحال لا يكون إلاّ موهوباً والمقام قد يكون مكسوباً، بل الرضى في خاصته قد يكون في حق بعض مكسوباً وفي حق بعض موهوباً، وهذا بالنسبة للخلق. وأما بالنسبة للخالق فلا يقال: مكسوبا ولا موهوباً، وقد اختلفوا في التعبير عنه، فقيل: الرضى ارتفاع الجزع في أي حكم كان. وقيل: رفع الاختيار. وقيل: سكون النفس تحت مجاري الأقدار وهو راجع للأول. وقيل: استقبال للأحكام بالفرح. وقيل: نظر القلب إلى قدم اختيار الرب وهو ترك التسخط.

وأصح الأقوال قول شيخ الإسلام الهروي حين قال: الرضى اسم للوقوف الصادق حيث يوقف العبد ولا يلتمس متقدماً ولا متأخراً. وهذا حقيقة

العبودية، لأن مراد الحق من الخلق أن يكونوا حيث أوقفهم، إن قدمهم تقدموا وإن أخّرهم تأخروا، كما قيل شعراً:

وقف الهوى بِي حيث أنت
فليس متأخر عنكم ولا متقدم

والرضى قسمان، الرضى بالله رباً، وعلامة صحته أن يكون الله تعالى أحب الأشياء إليه، وأولى الأشياء بالتعظيم وأحق الأشياء بالطاعة كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية 164]، ومن رضي بالله رباً فقد رضي بما أمر به وما بعث به الرسل وهو مقام الإسلام.

والقسم الثاني: وهو أعلى من الأول، الرضى عن الله، وعلامة صحته استواء الحالات وسقوط مخاصمة الخلق والتخلص من الاحتجاج يقيناً بأن لله الحجة البالغة، وأن لا عذر لأحد في إرادة الله تعالى به. ولذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «لا أبالي على أي حالة أصبحت من شدة أو رخاء». وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «الفقر والغنى مطيتان لا أبالي أيهما ركبت». وقيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: أن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فحسن اختيار الله خير لي ولم أرد غير ما اختار الله لي.

والرضى على التحقيق لا يكون إلاَّ بعد القضاء، ولذلك لما سئل بعضهم عن قول رسول الله ﷺ: «وأسألك الرضى بعد القضاء» قال: لأن الرضى قبل القضاء عَزم وتدبير وبعد القضاء وقوف مع تدبير الله تعالى، وهو الرضى. فصح إن مطلب الله من عبيده أن يفرغوا قلوبهم من غيره لأنه مدبر عليم حكيم عالم بمصالحهم وجميع شؤونهم فلا يصح تدبيرهم معه في شيء وإنما يجب عليهم الامتثال فيما أمروا به، وقد جف القلم بما هو كائن. ولا تصح العبودية إلاَّ لمن امتثل من غير اختيار لشيء.

قال بعضهم: فحقيقة التوحيد لا تحصل إلاَّ لمن لا يعترض القضاء بشيء ولا ينازع ما جرى به القدر في شيء، ومتى ضاق ذرعه بحالة ما أو نازعته النفس في شيء ما، ففي الشريعة متسع ومجال. ومعناه: أن المباحات إنما

وضعت للتخفيف لا سبيل لغيرها بل ولا سبيل للتمتع بها إلاّ مع غلبة الحال أو لضرورة ما.

وهنا اتسع العلم حتى نجا من نجا، وهلك من هلك، فمن نصب النجاة بين عينيه فر من المباحات ولو مات ورعاً، ومن وسع على نفسه بالمباحات وقع في الإصرار على الكبائر وهو لم يشعر، وكان كالراعي حول الحما يوشك أن يقع فيه، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: «من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصراً على الكبائر وهو لم يشعر».

وإنما قال المصنف: أرح نفسك من التدبير، لأن التدبير والتقدير كلفة وكيف تدبر الأمور في نفسك وأنت عن إنفاذ ذلك عاجز، بل إنفاذُها غيب لا تدري هل يقع أولاً، وقد قام به غيرك عنك في سابق عِلْمِه من قبل أن تكون وما قام به هو واقع لا محالة لعدم المعارض له سبحانه. ولا فرق في ذلك بين تدبير أمور الدنيا أو أمور الآخرة أو مقامات السلوك، لأن الكل حاجب إذا وقع وأحرى إذا لم يقع فهو أشد حجاباً عن الله سبحانه لأن فيه زيادة نقصية عدم الموافقة لما دبر فَيُفْسد عليه الوقت وربما وقع به الرجوع إلى الوراء فضلاً عن الوقوف. ولذلك نهى الشيخ رضي الله عنه، وبالله التوفيق.

ولما قدم الشيخ رضي الله عنه علامة الاعتماد على العمل في معرض الذم لذلك كما ذكر أيضاً إرادة المتسبب التجريد وإرادة المتجرد الأسباب كذلك، وأشار إلى أن إرادة خرق أسوار الأقدار عياء وأن تدبير الأمور مع المدبر الحكيم سوء أدب. وذلك كله حاصل إما عن ضعف نور البصيرة أو انطماسه. أشار إلى ما يدل على انطماس البصيرة لا أنه به انطمست البصيرة، فقال: اجتهادك فيما ضُمِنَ لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك، الاجتهاد في الشيء بذل الطاقة والوسع فيه.

والمراد بالضمان هنا التعيين في سابق العلم، والتقصير ترك الجد في الطلب، والدليل: البرهان، والانطماس: الانغلاق، والانحجاب وهو متفاوت، والبصيرة: نور مودع في القلب مستمد من عالم الغيب. أو تقول: من عالم اللطافة، به يدرك الإنسان الفرق بين الحق والباطل، وبين المنافع

والمضار، والمفاسد والمصالح، وانطماسه يقع بإحاطة دوائر الحسِّ المجتلب من عالم الشهوات به وبسبب ذلك يصير الإنسان غير مفرق بين الحق والباطل والمنافع والمضار، وعلى قدر قوة هذه الدوائر وضعفها يشتد الانطماس ويضعف، وبقدر إزالتها كلاً أو بعضاً يتمكن الإنسان من إدراك حقائق الأمور، وحيث كان الإنسان ربما تكذب عليه نفسه مدعية أنها غير مفتقرة إلى تهذيب ولا إلى تزكية لكون بصيرتها مفتوحة، فهي عارفة بالحق جارية على النهج القويم، والصراط المستقيم، وهي على خلاف ذلك.

ذكر الشيخ رحمه الله الميزان الذي يقيمه عليها، فإذا وجد نفسه مُجْتهداً فيما ضمن من الرزق في سابق علم الله ومقصراً فيما طلب منه فليعلم يقيناً أنه مطموس البصيرة، وإذا وجد نفسه مجتهداً فيما طلب منه ومقصراً فيما ضمن له فليعلم أنه مفتوح البصيرة. والذي ضمن للإنسان هو رزقه قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ [هُود: الآية 6].

وقال ﷺ: «فرغ ربك من أربع: خَلق وخُلق ورزق وأجل».

وقال بعض العارفين: علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا.

والذي طلب من الإنسان فشيئان: وهو ما خلق من أجله وما أمر به. فالذي خلق من أجله معرفة الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريَات: الآية 56].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي ليعرفون. ولقوله تعالى في الحديث القدسي: «كنت كنزاً لم أعرف فخلقت الخلق لأُعرف».

والذي أمر به الإنسان هو عبادة الله على الإخلاص لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنَة: الآية 5]، فأنت ترى الآيتين سيقتا مساق الحصر فلم يبق ملتفت للسوى ولا اشتغال به لمن كان يفهم خطاب الحق سبحانه ويمتثل أمره.

ثم معرفة الله درجات، وعبادته على الإخلاص درجات، فكلما انفتحت بصيرة العبد بالإقبال على مولاه ترقى في المعرفة والإخلاص حتى يصير عمله

لله وحده فلا يلاحظ الثواب لأنه أيضاً مضمون بل حتى يصير عمله بالله فلا ينسب لنفسه عملاً أصلاً وذلك لترقيه في مقامات الإخلاص. وسيأتي للمؤلف رحمه الله مطلب العارفين من ربهم الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية، جعلنا الله ممن تحقق صدقه مع الله وأخلص الوجهة لمولاه بجاه مولانا رسول الله ﷺ.

قال مقيده الحج محمد بن العربي الدلائي الرباطي: إلى هنا انتهى شرح الشيخ رضي الله عنه على الحكم الذي هو محرر في أحسن نسق وما عدا ذلك هو طرر وتقييد على المَتْنِ فلم يظهر لي أن ألحقه بهذا لما بينهما من التباين لأن هذا من صنيع الشرح العجيب جامع بين حل ألفاظ وترتيب المعاني وتوفيق وتهذيب، حتى إن من طالعه كاد أن يكتفي بهذه النبذة عن غيرها بل بأول حكمة منها، بل بالمقدمة التي لم يسبق إليها فللّه درّه من إمام ما أوجز عبارته وما أنصع إشارته، فلقد ورث حظاً وافراً من الإرث المحمدي من قوله ﷺ: «أُعطيت جوامع الكلم» واختصرت لي العبارة، وقد قال التاج بن عطاء الله: «من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته».

وهذا الإمام رضي الله عنه ممن أذن له في التعبير قطعاً، وكفى بالحال دليلاً فجزاه الله عن المسلمين خيراً وأبقى مدَده في الوجود منتشراً وأفاض علينا من ماء مدده المعين نحن والإخوان والمسلمين أجمعين. ونختم هذا المجموع بهذا الدعاء المبارك الذي كان الشيخ سيدي محمد الحراق رضي الله عنه يختم به مجالسه: اللهمَّ أجمعني على محبَّتِك، وأعنِّي على طاعَتِكَ وخِدْمتكَ، وطهِّرني تطهيراً نَصْلُحُ به لحضرتِكَ، ولَقِّني بنبِيِّك عليه السلام، وزِدْني فيك تحيُّراً، وبك افْتِتاناً، وغيِّبني فيكَ عن كل شيء سِواك حتى لا نَكُونَ إلاَّ بك ولك، واحْفَظني فيك سائر يومي وبقيَّة عمري حتى تتوفَّاني وأنت عنِّي راضٍ وأنا عنك غير مفتونٍ بحقِّ مولانا رسول الله ﷺ. ومن دعائه أيضاً قال رضي الله عنه: لما خرجت إلى زيارة الشيخ مولاي العربي رضي الله عنه ألْهَمَني ربِّي هذه الصلاة على النبيّ ﷺ؛ ونصها: اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ الفاتح بك ما أُغْلِق على غيره من معرفتك، وعلى آله وصحبه وسلِّم في الدارين آمين.

فهرس المحتويات

تقديم وترجمة سيدي محمد الحراق لسيدي محمد بن العربي الرباطي الدلائي ٣

الباب الأول: رَسائِل سيّدي محمَّد الحَراق رضي الله عنه

الرِّسالة الأولى ٢١

الرِّسالة الثَّانية ٢٤

الرسالة الثالثة ٢٦

الرِّسالة الرَّابعة ٢٩

الرِّسالة الخامسة ٣١

الرِّسالة السَّادِسة ٣٢

الرِّسالةُ السَّابِعَةُ ٣٦

الرِّسالة الثَّامِنة ٣٨

الرِّسالة التاسعة ٤٠

الرسالة العاشرة ٤١

الرِّسالة الحادية عشر ٤٢

الرِّسالة الثَّانية عَشَر ٤٥

الرِّسالة الثالثة عشر ٤٨

الرِّسالة الرابعة عشر ٥٠

الرِّسالة الخامسة عَشَرَ ٥٠

الرِّسالة السادسة عشر ٥٢

الرِّسالة السابعة عشر ٥٣
الرسالة الثامنة عشر ٥٦
الرِّسالة التَّاسعة عشر ٥٨
الرِّسالة العشرون ٥٩
الرِّسالة الواحدة والعشرون ٦٠
الرسالة الثانية والعشرون ٦١
الرِّسالة الثالثة والعشرون ٦٢
الرِّسالة الرَّابعة والعشرون ٦٥
الرِّسالة الخامِسَةُ والعشرون ٦٦
الرِّسالة السادسة والعشرون ٦٧
الرِّسالة السابعة والعشرون ٧٠
الرِّسالة الثامنة والعشرون ٧١
الرِّسالة التاسعة والعشرون ٧٢
الرِّسالة الثلاثُونَ ٧٣
الرِّسالة الواحدة والثلاثون ٧٦
الرِّسالة الثانية والثلاثون ٧٧
الرِّسالة الثالثة والثلاثون ٧٨
الرِّسالة الرابعة والثلاثون ٧٩
الرِّسالة الخامسة والثلاثون ٨٠
الرِّسالة السادسة والثلاثون ٨١
الرِّسالة السَّابعة والثلاثون ٨٢
الرِّسالة الثامنة والثلاثون ٨٣
الرِّسالة التاسعة والثلاثون ٨٥

الرِّسالة الأرْبَعُون ٨٦
الرِّسالة الواحدة والأربعون ٨٨
الرِّسالة الثانية والأربعون ٩١
الرِّسالة الثالثة والأربعون ٩٤
الرِّسالة الرابعة والأربعون ٩٥
الرسالة الخامسة والأربعون ٩٥
الرِّسالة السادسة والأربعون ٩٦
الرِّسالة السابعة والأربعون ٩٧
الرِّسالة الثامنة والأربعون ٩٨
الرِّسالة التاسعة والأربعون ٩٩
الرسالة الخمسون ١٠٠

الباب الثاني: ديوانه

الباب الثالث: حكمه

الباب الرابع: في تقاييده رضي الله عنه على آي قرآنية وأحاديث نبوية وبعض كلام الصوفية

فصل في الأحاديث ٢٠٢
فصل في الكلام على المشاهدة والفناء والبقاء ٢١٣

الباب الخامس: في شروحه رضي الله عنه

الفصل الأول في شرح الصلاة المشِيشية ٢٢٧
الفصل الثاني في شرح الحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ٢٤١
شـرح توضأ بماء الغيب ٢٩٣
شرح نبذة من الحِكَم العطائية ٢٩٨